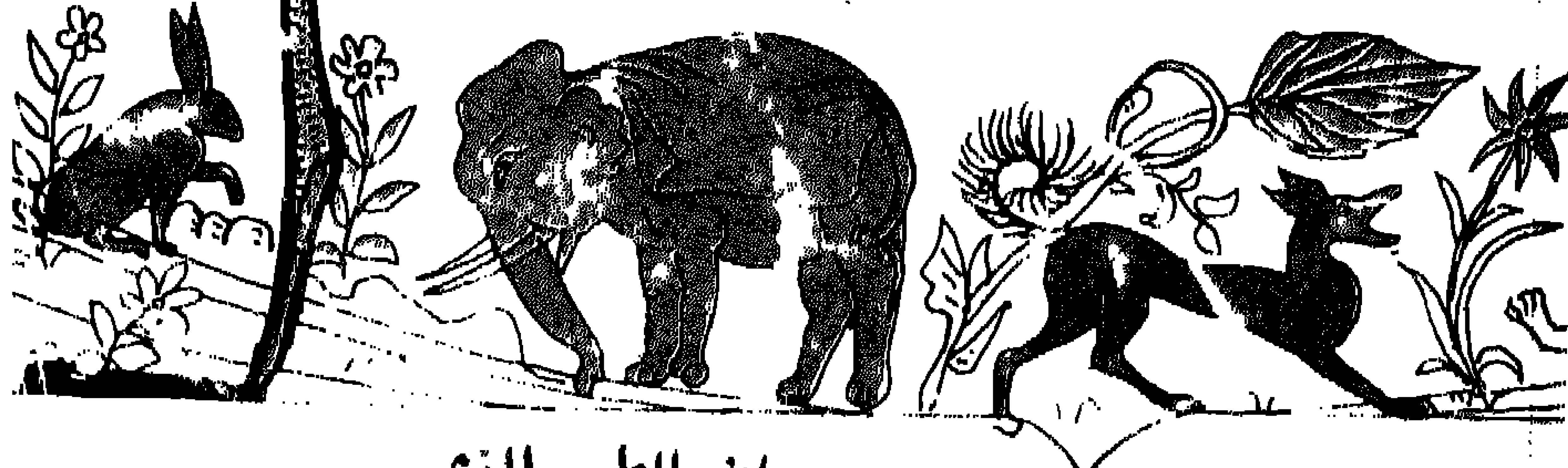
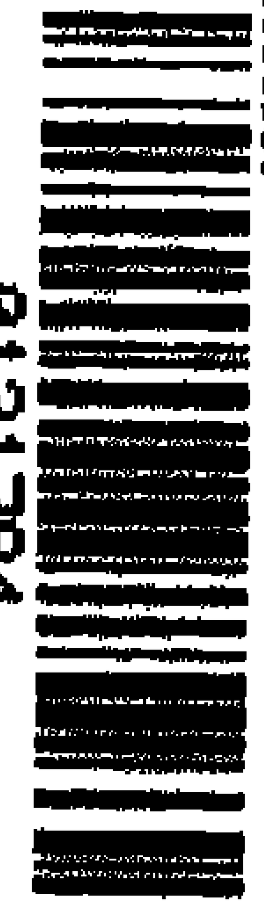
كليلة ودمنة

بين

والمحاكاة الشعبية







مجدي محمد شمس الدين إبراهيم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ

بين

الأصول القديمة والمحاكاة الشرقية

تأليف

الدكتور مجدي محمد شمس الدين ابرهيم

مدرس بكلية التربية جامعة عين شمس (قسم اللغة العربية)

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسني / القاهرة

ص ب : ١٣٠ - ت ٧٦٠٥٢٣



إهداء

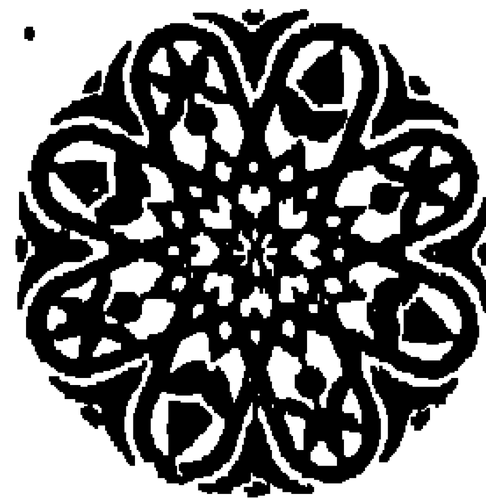
الى ملكي الحارس اهدي هذا الكتاب الذي آمل أن يكتب له جزء من الخلود الذي كتب لتلك الرائعة الأدبية الخالدة التي يتناولها هذا الكتاب •

وأنا لا أريد أن أذكر اسمك أيها الملك حتى لا يتردد على الألسن والأفواه فاسمك عالي المكانة رفيع المنزلة عظيم القدر جليل الشأن وهو أسمى من أن يتردد على هذا النحو •

أيها الملك القريب الى نفسي العزيز عليها تقبل هذه الهدية المتواضعة وانك أن فعلت أسعدتني وأدخلت على قلبي البهجة والهناءة •

الدكتور/مجدي محمد شمس الدين

٢ – ٤ – ١٩٨٦



تقــــديم

للأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد

رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس

للدكتور مجــدى محمد شمس الدين ابراهيم فى نفسى منزلة خاصــة فهو واحــد من تلاميذى الأعزاء الذين سعدت بالتدريس لهم فى قسم اللغــة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس والذين لم تنقطع صلتى العلميــة بهم طوال الفترة التى انقضت بين تخرجهم ومواصلة حياتهم العلمية فقــد عرفته فى دراسته بمرحلة الليسانس طالبــا جــادا ثم عــدت فعرفته فى دراســاته للمــاجستير والدكتوراة باحثا دائبا عن الحقيقة العلمية يتجشمها فى ســبيل الكشف عنها ظروفا لم تستطع رغم صعوبتها أن تصرفه عن المضى فى البحث العلمى حتى حصل لعى الدكتوراة •

وكتابه أو فلنقل بحثه الذى بين أيدينا (كليلة ودمنة بين الأصول القــديمة والمحاكاة الشرقية) من جنس دراساتيه فى المــاجستير والدكتوراه •

بحث عن حقيقة كتاب لا تزال ـ بعــد مضى أكثر من ألف عام على ظهوره فى العربية على يد كاتب العربية العظيم (عبد الله بن المقفع) سرا مستغلقا على القــداما والمحــدثين •

وعمل الدكتور (مجــدى) فى هــذه الدراسة فى جوهره محاولة جــديدة تضــاف الى محاولات السابقين من قــداما ومحــدثين لحل هــذه المعضــلة التى تتلخص فى سؤال واحــد (ما أصل هــذا الكتاب ؟) وقــد حاول الاجابة عن هــذا السؤال من خلال أربعة بحوث أساسية تنتظم فصول الكتاب المختلفة من الأصول القــديمة والأصول العربية والأصول الدينية لكتاب كليلة ودمنة وأصــول فارسية •

وقــد اتخــذ من المقــارنة بين القصص الواردة فى كتــاب البنجاتنترا ومثيلتها فى كليلة ودمنة دليلا على استقاء ابن المقفع لمــادة كتابه من هــذا السفر القصصى الهندى • وهو كتاب فيما يرى الباحثون المحــدثون لا يمثل

(البنجاتنترا) فى صورته الأولى ولكن فى صورة أخرى مأخوذة منه أو مكتوبة عى شاكلته ذلك أن نسخته الأصلية قـد ضاعت كما أنها كتبت فيما يرجح هؤلاء الباحثون لأغراض سياسية تتلخص فى تعليم صغار الأمراء •

وقـد عمد الدكتور مجـدى شمس الدين لتوثيق الصلة بين عمل ابن المقفع وبين هـذا الأصل الهندى وغيره من الأصول الهنـدية الأخرى الى تحـديد القصص الواردة فى الكتابين والمقارنة بينها بما يكشف عـن عناصرها المتماثلة فوقف عند باب (الأسـد والثور) وباب (كسب الأصدقاء) أو (الحمـامة والغراب والفأر) وباب (الحرب والسلام) أو (الغربان والبوم) ••• الخ •

وهو يلاحظ ان بعض الحكايات الواردة فى هذا الباب أو ذاك وان لم ترد فى كتاب ابن المقفع بعناوينها فى البنجا تنترا فانها ترد فيه بمضامينها كما يلاحظ فيها اثارا هندية واضحة منبئة عن أصلها الهندى ففيها ذكر للدراويش والرهبان وفيها ذكر لبعض العبارات التى كان يلقى بها بعض الهنود على الثعابين وفيها اشارات لبعض العقائد البوذية كالنار المطهرة والحيوان المقدس وقد اتخذ المؤلف فيما يتصل بتحديد الاصول الفارسية (البهلوية) لكتاب (كليلة ودمنة) من أشارة ابن المقفع فى مقدمة الكتاب الى معرفة (كسرى أنو شروان) بهذه القصص الهندية وسعيه لمحبته للعلم والادب الى جلبهـا وحفظهـا فى خزانته عن طريق فيلسوف معروف هو (برزويه بن أزهر) دليلا على وجود ترجمة فارسية لكتاب البنجاتنترا ويرتب على ذلك نتيجة علمية تتلخص فى أن الترجمة البهلوية لكتاب كليلة ودمنة قـد أخـذت مباشرة من الأصول الهنـدية السنسكريتية المتمثلة فى مجموعات القصص الخرافية فى الكتب الهندية ••• وان الفرس أضافـوا الى ما ترجموه عن الهندية •••• فصول كاملة ليتم لهم تأليف كتـاب متكامل يجمع بين القصص التى ترجموها والأخرى التى أضافوها وهـو ما يعرف بكليلة ودمنة ولكنه يعود فيقرر أنه ليس بين أيدينا من الأصول الفارسية ما يؤيد هـذا الزعم فقـد ضاعت ولم تبق كما بقيت الكتب الهندية التى تشتمل على مجموعات القصص الخرافية ومع ذلك فالمؤلف يعتمد على ما انتهى اليه نودلكهفى بعض بحـوثه من أن باب (برزوية) فارسى النشاة وباب ملك الجرذان مما اضافـة الفرس الى الحكايات الهندية معتمدا فى تأكيد هـذه النشاة الفارسية على خلو البابين من الاشارات التى يمكن أن ترد الى أصول هندية •

وقــد الح الدكتور مجــدى فى اثبات هــذا الأثر الفارسى فى قصص كليلة ودمنة فى صورته العربية فوقف عند ظواهر وردت فى الحكايات المختلفــة وجهد فى ردها الى أصول فارسية من ذلك ما جاء فى باب البــوم والغربان فى حــديث عن أثر النار فى تطهير النفس والقرب بها من الله (وقــد روى عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه فأحرقها فقــد قرب لله أعظم قربان لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له ٠٠٠٠) مفسرا الاشارة هنا الى نار (زرادشت) اله الخير الذى كان الفرس يتعبدون له ٠

ومن هــذه الظواهر أيضا ما جاء فى باب الأســد والثور من الاشارة الى القضاء والقــدر فى قوله (فالم يكن هــذا ولا ذاك فهو اذن من مواقع القضاء والقــدر) الذى لا يدفع والقــدر هــو الذى يسلب الأسد قوته وشدته ويدخله القبر وهــو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج وهــو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها ٠٠٠ الخ) ٠

وكما يفسر الاشارة الى النار بأنها نار الفرس فهــــو يفسر الاشارة الى القضاء والقــدر هنا بأن يقرنها الى مثيلها فى رسالة (داترسنان مينوك خرد) أو (روح الحكمة والحكمة السماوية) (ان الانسان رغم قوته وسعة ذكائه وعلمه لا يستطيع مغالبة القــدر لان القــدر المحتوم حين يقــدر الخير والشر يعجز الحكيم عن العمل ويقــدر الشرير عليهم ٠٠٠٠) الى غير ذلك من الاشارات الأخرى التى يحملها المؤلف على التأثير الفارسى فى كتاب ابن المقفع كليلة ودمنة وتتمثل الأصول العربية فى رأى المؤلف فى عــدد من الحكايات التى يمكن ارجاعها الى خرافات الجاهليين وأمثالهم التى أجروها على لسان الحيوان منها حكاية الحمامة المطوقة وحكاية الثعلب والأسد ووفاء الكلب وقصة الصائغ والسائح وحرب البوم والغربان وهى حكايات راح المؤلف يقابل بينها وبين أصول جاهلية أخرى مشابهة تجرى فى أحــداثها على نمط كليلة ودمنة ٠

كما تتمثل الأصول الدينية فى ورود اشارات وظواهر يمكن حملها على اليهودية والمسيحية والاسلام تخللت حكايات كليلة ودمنة على اختلاف أصولها الهندية والفارسية والعربية ٠

يطول بنا الأمر اذا حاولنا الوقوف عندها فى هـذه المقـدمة القصيرة وقـد تتبع المؤلف كثيرا منها فى دراسته من مثل مبدأ القصاص واثبات الجريمة والجبر والاختيار وحكم قتل البرىء وجزاء من يفسد فى الأرض وغيرها من الاشارات التى يمكن حملها على الديانات السماوية الثلاث •

ويضم الكتاب بالاضافة الى هـذه المباحث الخصبة دراسات أخرى تابع فيها المؤلف أثر كليلة ودمنة فى تراث الأدب العربى القـديم من نظم ومحاكاة من ناحية وأثره فى الأدب الفارسى من ترجمة واضافة ومحاكاة من ناحية أخرى •

ولا اشك فى أن الدكتور مجدى شمس الدين قد وفق الى عرض مشكلات هـذا الكتاب عرضا علميا ومناقشة كثير من قضاياه مناقشة خصبة •

والله الموفق ••

الأستاذ الدكتور/ابراهيم عبد الرحمن محمد

السادس عشر من رمضان سنة ألف وأربع مائة وست •

٢٤ مايو ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

تتحقق قيمة العمل الأدبى بثلاثة أمور :

أحـــدها : أن يستقى العمل من منابع أصيلة تضرب بجـــذورها فى أعماق حضارات وثقافات عريقة وهــذه تتفاعل فيما بينها لتكون مزيجا متجانسا يتمثل فى هـــذا العمل بحيث يكون ملتقى الحضارات والثقافات العريقـــة التى استمد منها هـــذا العمل •

الثانى : أن يؤثر هـــذا العمل الأدبى بدوره فى أعمال أخرى تستقى منـــه وتحاكيه ليس فقط فى لغته وانما يمتد تأثيره الى لغات عالمية أخرى تتأثر آدابهـــا به وكلما اتسعت دائرة التأثر بهـــذا العمل كلما تأكدت قيمته وثبتت أصالته •

الثالث : أن يبقى هـــذا العمل ويستمر ولا يضيع فالعمل الأدبى الجيـــد يثبت وجـــوده بتناول الأدباء والنقاد له وبذلك يكتب له الخلود بخـــلاف العمل الهابط أو النازل فان مصيره الحتمى هـــو الاهمال لعـــدم تناول الأدباء والنقـــاد له وبذلك يضيع ويفنى ولا يبقى له ذكر •

وتتحقق فى كتاب كليلة ودمنة الثلاثة أمور مجتمعة فنحن نجـــد فى الكتاب التقاء لحضارات متعـــددة وثقافات متنوعة :

هندية وفارسية وعربية وسريانية ويونانية •

كما نجـــد فيه التقاء لديانات مختلفة يهودية ومسيحية واسلامية وغيرها •

ثم ان الكتاب قـــد أثر بدوره فى روائع أدبية عالمية فى الشرق والغرب •

وقـــد عمد كثير من الأدباء والشعراء فى أدبنا العربى الى محاكاة كليـــلة ودمنة فقـــدموا لنا ابداعات أدبية فنية رائعة فى مجال القصة على لسان الحيوان وحـــدث مثل هـــذا فى الأدب الفارسى ورغم أن الكتاب قـــد نقـــل من الهندية

السنسكريتية الى البهلوية قبل أن ينقل من البهلوية الى العربية فان الفرس لم يتأثروا اطلاقا بالأصول البهلوية التى كانت حلقة الاتصال بين الأصل الهندى السنسكريتى والترجمة العربية لابن المقفع ، وانما تأثروا بهذه الترجمة الأخيرة لأن الأصول البهلوية كانت قد ضاعت فلم يجد الأدباء الفرس الا نسخة ابن المقفع يأخذون عنها ويحاكونها وينسجون على منوالها وينظمونها شعرا • وانتقل الكتاب الى اللغة التركية العثمانية عن طريق التراجم الفارسية ولعب فى الأدب التركى دورا لا يقل خطورة عن الدور الذى لعبه فى الأدب الفارسى • كما انتقل الكتاب الى معظم لغات العالم وأثر فى آدابها تأثيرا عظيما بصورة أو بأخرى •

وممن تأثروا بالكتاب من الأوربيين الشاعر الفرنسى العملاق (لافونتين) حيث اقتبس منه عشرين حكاية ضمنها الجزء الثانى من خرافاته على ما صرح فى مقدمة هذا الجزء ، ثم أثر هذا الشاعر الفرنسى العملاق بدوره فى كل من جاءوا بعده من مؤلفى الخرافات سواء فى الشرق أو الغرب ومن الذين تأثروا فى أدبنا العربى الحديث ، عثمان جلال وأحمد شوقى وجبران النحاس وابراهيم العرب ورزق الله حسون وأحمد فارس الشدياق •

والنتيجة المجردة هى : أن كتاب كليلة ودمنة لعب دورا عظيما وفعالا فى حضارات وثقافات متنوعة فى الشرق والغرب ثم انه استمر وبقى عبر التاريخ الطويل للحضارة الانسانية يسلمه جيل الى جيل وتحمله حضارة الى حضارة بكل أمانة وتحفظه الثقافات المتنوعة فى سجلاتها لتنقله الى ثقافات أخرى بكل اعزاز وتقدير •

وبهذا كله حقق الكتاب الهدف الذى كان يرمى اليه ابن المقفع وهو أن يبقى الكتاب ويستمر (فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا) •

وكتاب كليلة ودمنة اذن رائعة أدبية خالدة وذكرى لا تفنى ولا تمحى أبدا على مدى العصور ولدى سائر الأجيال وعبر مختلف حقب التاريخ وبين سائر الشعوب ومن حقه على الانسانية جمعاء أن يوليه الباحثون والنقاد والأدباء أهمية عظيمة وان يفيدوا من نتائج الأبحاث العلمية الحديثة المتطورة فى مزيد من البحث حول هذا الكتاب ليقفوا على ما فيه من درر نفيسة ويكشفوا النقاب

عن رموز هذا العبقرى الذى أودعها كتابه • تلك الرموز التى تلمح ولا تصرح وان فى الكتاب من هـذه الرموز ما لـو ذا فسر وشرح وكشف النقاب عنه أحـدث تطورا خطيرا فى تاريخ الثقافة العربية بل الحضارة الانسانية جمعاء وقـد اشار ابن المقفع فى باب غرض الكتاب الى أن هناك أربعة أغراض من وضعه كتاب كليلة ودمنة وكان رابع هـذه الأغراض ما لم ينص عليه بل اكتفى بالرمز اليه فقط فى قوله (والغرض الرابع وهـو الأقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة) •

فلتنهض همم العلماء وتقوى عزائم الباحثين علهم يستطيعون كشف النقاب عن هـذا الغرض ويقفـون على مدلولات رموزه فانهم ان فعـلوا وتمكنـوا من كشف النقاب عن هـذا الغرض الأقصى فسيحققون بذلك مجـدا عظيما يضاف الى التاريخ الحافل لهـذا الكتاب •

والهـدف من هـذا البحث تحـديد المنابع الأساسية التى يمكن أن يكون ابن المقفع قـد استقى مادته القصصية منها ومن جهة أخرى يهـدف البحث الى الوقوف على الأعمال الأدبية التى استقاها أصحابها من كتاب كليلة ودمنة فى الأدب العربى وفى كل من الأدبين الفارسى والتركى كما يهـدف البحث أيضا الى تتبع انتقالات كليلة ودمنة عبر القارات والمحيطات لينتقل من حضارة الى حضارة ومن ثقافة الى ثقافة وهـو فى جميع هـذه الانتقالات كان عظيم التأثير على الآداب العالمية المختلفة فى سائر أنحاء المعمورة شرقيها وغربيها •

أما سبب اختيارى هـذا البحث فهـو أننى شغفت برائعة ابن المقفع كليلة ودمنة منذ أن كنت طالبا بالمدارس الاعـدادية والثانوية وقـد اشتد ولعى بها عندما التحقت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس فى الستينيات وقرأت عـددا من الأبحاث حـول هـذا الكتاب وحول عبقرية واضعه ثم اننى وبعـد أن تخرجت من الجامعة أتيحت لى الفرصـة للاتصال بأبحـاث بعض المستشرقين حول هـذا الكتاب من أمثال د• ساسى تولدكه وشوفان وبيـكل وفالكـونر وهرتل وينـفى ورس وجـويدى وبروكلمـان وشـولتز وكرستنسن ورايت وغير هؤلاء فاشتد شغفى بالكتاب وتاقت نفسى للقيام ببعض الأبحاث حوله وقـد أتيحت لى الفرصة للقيام بأول بحث حول الكتاب فى سنة تسع وسبعين وتسع مائة وألف وقـد حصلت به على درجة الدكتوراه فى الآداب وكان عنوان هـذا البحث (حكاية الحيوان فى كتاب كليلة ودمنة) وفى ديسمبر

١٩٨٥ م نشر لى بحث فى مجلة آفـاق العراقية بعنوان (لافـونتين فى الأدب العربى الحـديث) •

وقـد حاولت أن أبين فيه الى أى حـد تأثر لافونتين بكتاب كليلة ودمنة وكيف أنه عاد فأثر بدوره على أدبائنا وشعرائنا العرب من أمثال عثمان جـلال وأحمد شوقى وغيرهما •

وها أنا ذا أقـدم هـذا البحث (كليـلة ودمنة بين الأ صـول القـديمة والمحاكاة الشرقية) ليكون حلقة من سلسلة الأبحاث التى أنوى القيام بها حول هـذا الكتاب وآمل أن يوفقنى الله تعالى فى المستقبل القريب فى القيام ببحث رابع حول تأثير كتاب كليـلة ودمنة فى الأدب الانجليزى لتتبعه أبحـاث أخرى متتالية حول تأثير الكتاب فى الآداب العالمية المختلفة كل على حـدة •

وقـد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى أربعة فصول بخلاف المقـدمة والخاتمة ــ المقـدمة وتهـدف الى القـاء الضوء على الموضوع كما تبين أهميته وسبب اختياره •

الفصل الأول ويتناول المنابع الأساسية التى يمكن أن يكون ابن المقفع قـد استقى منها حكاياته وهى :

(أ) المنابع الهندية السنسكريتية •
(ب) المنابع الفارسـية •
(جـ) المنابع العربية والاسلامية •
(د) المنابع اليهـودية •
(هـ) المنابع المسيحية •
(و) المنابع السريانية •

الفصل الثانى ويتناول كـلا من الترجمـة السريانية التى تمت فى القرن السادس الميلادى حوالى سنة ٥٧٠ م •

والترجمة العربية التى تمت فى القرن الثامن الميلادى حوالى سنة ٧٥٠ م
الفصل الثالث ويتناول :

أولا – محاولات نظم الكتاب شعرا فى الأدب العربى مثل :

(أ) محاولة أبان اللاحقى التى لم يصلنا منها الا نحو خمسة وسبعين بيتا وقد احتفظ بها الصولى فى كتابه الأوراق •
(ب) منظومة ابن الهبارية بعنوان (نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة) •
(جـ) منظومة عبد الرحيم ترة بعنوان (زعموا أن ••••) •

ثانيا – محاكاة الكتاب فى الأدب العربى القديم مثل :

(أ) كتاب ثعلة وعفراء لسهل بن هارون •
(ب) كتاب النمر والثعلب لعلى بن داود •
(جـ) كتاب القائف ومنار القائف وكلاهما لأبى العلاء المعرى •
(د) رسالة اخوان الصفا لاخوان الصفا •
(هـ) كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار لعز الدين بن عبد السلام •
(و) الصادح والباغم لابن الهبارية •
(ز) سلوان المطاع لحجة الدين أبى هاشم محمد بن أحمد •
(ح) فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لأحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقى •
(ط) مرزبان نامة لأحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقى أيضا •
(ى) كتاب الأسد والغواص وهو مجهول المؤلف •

ثالثا – محاكاة الكتاب فى الأدب العربى الحديث مثل :

(أ) كتاب العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ لعثمان جلال •
(ب) خرافات الشاعر أحمد شوقى وتبلغ اثنتين وخمسين خرافة فى الجزء الرابع من الشوقيات •
(جـ) تطريب العندليب لجبران النحاس •
(د) كتاب آداب العرب لابراهيم العرب •
(هـ) كتاب النفاثات لرزق الله حسون •
(و) كتاب اللفيف فى كل معنى طريف لأحمد فارس الشدياق •

رابعا – تلخيص الكتاب فى الأدب العربى الحديث :

(أ) كتاب نوادر الببغاء •
(ب) كتاب تمثيليات كليلة ودمنة لابراهيم عز الدين اسماعيل •

(جـ) كتاب السمير المفيد لابراهيم ماجـد •
(د) تلخيص الكتاب للأستاذ ابراهيم عزوز •

الفصل الرابع ويتناول أثر كتاب كليـلة ودمنة فى كل من الأدبين الفارسى والتركى •

أولا ــ الأدب الفارسى ــ ويتناول هـذا الجزء :

(أ) تراجم الكتاب الفارسية النثرية مثل :

١ ــ ترجمة البلعمى •
٢ ــ ترجمة أبو المعالى نصر الله •
٣ ــ ترجمة حسين الواعظ الكاشفى بعنوان (أنوار سهيلى) •
٤ ــ ترجمة أبو الفضل بن مبارك شاه بعنوان عيار دانشاى معيار الحكمة •

(ب) الترجمات الشعرية الفارسية للكتاب مثل :

١ ــ ترجمة الرودكى •
٢ ــ منظومة القانعى •
٣ ــ منظومة كلشن آرا (مزين حديقة الورد) لمزار عبد الوهاب ايران بور •
٤ ــ منظومة شكرستان (مزرعة القصب) لخسرو الدارائى •
٥ ــ منظومة راى وبرهمن (أى ملك الهنـد دبشليم والبرهمى بيـدبا الفيلسوف لجهانبخش بن على أكبر الجمهرى) •

(جـ) محاكاة كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى مثل :

١ ــ كتاب روضة العقول لمحمد بن غازى الملطيوى •
٢ ــ كتاب مزربان نامة لسعد الدين الوراوينى •
٣ ــ كتاب موش وكربه (حكاية الفأر والقط) لعبيد الزاكانى •
٤ ــ كتاب بند أهل دانشى وهـوش بزبان كربه وموش (الموعظة لأهـل المعرفة على لسان القط والفار) لبهاء الدين العاملى •
٥ ــ كتاب جـواهر المعقول لمحمد باقر •
٦ ــ كتاب بهار دانش لعناية الله •

ثانيا ــ أثر كتاب كليلة ودمنة فى الأدب التركى :

وقــد حاولت فى هــذا الجزء ان أعرض لأشهر الأعمال التى تولدت عــن كتاب كليلة ودمنة فى الأدب التركى مثل :

١ ــ ترجمة خواجة مسعود لكتاب كليلة ودمنة الى التركية .

٢ ــ ترجمة كليلة ودمنة بهرامشاهى لأبى المعــالى نصر الله الى اللغــة التركية العثمانية .

٣ ــ ترجمة نسخة حسين الواعظ الكاشفى الى اللغة التركية العثمانية وقد قام بهــذه الترجمة على شلبى بن صالح .

٤ ــ كتاب زبدة الأثمار فى الحكايات لأحمد نائب بن عثمان وهو مختصر لكتاب أنوار سهيلى لحسين الواعظ الكاشفى .

٥ ــ كتاب نافــع الآثار لعبد النافــع عفت وهــو اقتباس من كتاب زبد الأثمار السالف الذكر .

٦ ــ ترجمة كليلة ودمنة العربية الى اللغة التركية الحــديثة وقام بهــا عمر رضى دوغرول .

٧ ــ ترجمات كليلة ودمنة الى اللغة المغولية (التتارية) .

٨ ــ تلخيص كتاب بنجا تانترا عن الأصل السنسكريتى الى اللغة التركية وقام بها تاج الدين واسماه مفرح القلوب .

ثالثا ــ ترجمات الكتاب الى اللغات الأجنبية الأخرى ومنها :

١ ــ الترجمة الانجليزية وعنوانها (الفلسفة الخلقية لدونى) وقام بنشرها توماس نورث سنة ١٥٧٠ .

٢ ــ الترجمة الأســبانية .

٣ ــ الترجمة الفرنسية وعنوانها خرافات بلباى وظهرت سنة ١٦٤٤ م .

٤ ــ الترجمة اليونانية وقام بها سمعان بن شيث سنة ١٠٨٠ م .

٥ ــ الترجمة الروسية قام بها ميخائيل عطايا ونشرها فى موسكو سنة ١٨٨٩ .

٦ ــ الترجمة العبرانية : وهناك ترجمتان عبرانيتان •

(أ) الأولى ــ قام بها ربى يوئيل ولا يعرف تاريخ هــذه الترجمة •

(ب) الثانية ــ قام بها يعقوب بن المــاذر وهــو من كتاب القرن الثالث عشر وصاحب المعجم العبرانى سفر هشالم •

الخاتمة وتهــدف الى تلخيص النتائج التى حققها البحث •

والله سبحانه وتعالى أعلم ••

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ••

الدكتور/مجــدى محمد شمس الدين

الفصل الأول

المنابع الأساسية لقصص كليلة ودمنة

أريد فى هذا الفصل أن أعرض للمنابع الأولى لقصص كليلة ودمنة • وهذه المنابع متعددة ومتنوعة فمنها مجموعات القصص الهندية وفى مقدمتها كتاب (البنجاتنترا) ومنها قصص التوراة ومنها خرافات الجاهليين وغير ذلك من المنابع التى استقى منها ابن المقفع حكاياته فى كليلة ودمنة •

وسأحاول فيما يلى أن أعرض لهذه المنابع الأساسية ولكن أريد أن أنبه بادىء ذى بدء أننا ربما أرجعنا قصة واحدة الى أكثر من منبع عندما نجد تشابها دقيقا بين هذه القصة وبين أصلين آخرين أو أكثر يرجح أن تكون القصة قد أخذت عنها جميعا أو عن أى منها دون تحديد •

فنقول مثلا أن باب البوم والغربان فى كليلة ودمنة ربما يكون أصله هنديا سنسكريتيا لأنه وارد فى كتاب البنجاتنترا بنفس العنوان ونقول مثلا بعد هذا أو قبله أنه ربما يكون أصله عربيا لانه وارد فى المصادر العربية بصورة أو بأخرى وربما تكون القصة الرئيسية فى هذا الباب قد نشأت فى بلاد الهند ثم هاجرت منها الى بلاد العرب أو العكس وربما تكون قد نشأت فى بلاد العرب أولا ثم هاجرت منها الى الهند ثم عادت ثانية الى بلاد العرب أو العكس وربما تكون قد نشأت عند كل من الهنود والعرب فى وقت واحد فعرف هؤلاء قصة البوم والغربان وعرف هؤلاء قصة أخرى تشابهها تمام المشابهة تدور حول الذباء وجزيمة الابرش كما سنوضح فيما بعد •

على أن مثل هذا التشابه بين القصص الشعبى عند الشعوب المختلفة أمر طبيعى ومألوف فى تاريخ الآداب العالمية على نحو ما أشار الدكتور عبد الرازق حميدة[1] •

---

(١) قصص الحيوان فى الأدب العربى ـ عبد الرازق حميدة ص ٢٦ ط ٢٠ •

وهناك شبه اجماع على أن الأصل الأول لكتاب كليلة ودمنة يتمثل فى مجموعة من القصص الهندية السنسكريتية تسمى (البنجاتنترا) أى صناديق الحكمة أو الأسفار الخمسة كما أطلق عليها الدكتور عبد الحميد يونس(٢) •

ومع هذا فأننا نجد فى كتاب كليلة ودمنة آثار حضارات وثقافات وديانات متنوعة تنبىء عن منابع أخرى لكتاب كليلة ودمنة وسأحاول فى هذا الفصل أن أتتبع هذه الأصول التى يمكن أن تكون المنابع الأولى التى استقى منها ابن المقفع حكاياته سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر فربما تم التأثر بالمصدر الأول مباشرة وربما تم هذا التأثر بواسطة عمل قد تأثر من قبل بهذا الأصل ثم أثر هذا العمل فى قصص كليلة ودمنة •

مثل قصة الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة فقد تأثرت بنظيرتها فى البنجاتنترا فيما نرجح وهذه الأخيرة ربما كانت تأثرت من قبل بقصة الحمامة والغراب التى وردت فى العهد القديم على ما سنوضح فيما بعد(٣) •••••• بل ان قصة الحمامة المطوقة قد وردت فى شعر الجاهليين وأمثالهم أيضا فأى من هذه المصادر استمد ابن المقفع قصته وهل استمدها من مصدر واحد أم منها جميعا أم أنه اعتمد على الأصل الهندى للقصة فقط •

احتمالات كثيرة وكلها جائز ولا نستطيع أن نجزم بأى منها ولكن الذى نستطيعه الان هو أن نبحث عن جميع المصادر التى يحتمل أن تكون الأصل الأول لقصص كليلة ودمنة وأبدا بأول هذه المنابع وتتمثل فى مجموعات القصص الهندية وفى مقدمتها كتاب البنجاتنترا •

أولا — مجموعات القصص الهندية

(أ) كتاب البنجاتنترا :

وتكاد تجمع المصادر أن البنجاتنترا لم تأت الينا فى شكلها الأصلى فهذا الأصل قد ضاع ولم يصل الينا وما وصلنا منها قد كتب بعد الأصل الأول

---

(٢) الاسفار الخمسة أو البنجاتنترا " د• عبد الحميد يونس ط الهيئة المصرية العامة للكتاب •

(٣) راجع القصة فى صدر حديثنا عن المنابع اليهودية .

وعلى شاكلته الى حـــد كبير • ولعل الأصل كان كتيبا فى السياسة لتعليم صغار الأمراء •

ويتكون الكتاب من خمسة أبواب يشتمل كل منها على قصة رئيسية وعـــدد من القصص الفرعية كما هــو الحال فى كتاب كليلة ودمنة وتبلغ قصص الكتاب مجتمعة سبعا وثمانين قصة وأبواب الكتاب الرئيسية كما جاءت فى ترجمة فرانكلين ادجرتون Franklin Edgerton بالانكليزية هى :

١ ـــ كتاب التفريق بين صديقين أو الأسد والثور وأوله (الآن يبـــدأ هـــذا السفر الأول) وعنوانه (التفريق بين صديقين) وها هى ذى منظومة الاستهلال •

يحكى أن أسدا فى غابة نشأ بينه وبين ثور حب عظيم أخـــذ ينمو على الأيام فحقد عليه ابن آوى حقود طماع فقال أبنـــاء الملك (وكيف كان ذلك ؟) فروى فصنو شرمان هـــذه الحكاية •

٢ ـــ كتاب كسب الأصدقاء أو الحمامة والغراب والفأر والسلحفاء والغزال وأوله (أن الأذكياء والاوداء سرعان ما يكافأون بتحقيق أغراضهم مثلهم فى ذلك مثل الغراب والسلحفاة والغزال والفأر) •

٣ ـــ كتاب الحرب والسلام أو الغربان والبوم وأوله (لا تضع ثقتـــك فى امرىء آذيته من قبل ولا فى عدو انقلب الى صديق • الا ترى كيف أحرق الغربان عشا كان مملوءا بالبوم) ؟

٤ ـــ كتاب الخسران أو القرد والتمساح وأوله (كل من تخـــدعه الكلمات المعسولة فيتخلى عما حصل عليه يصيبه ما أصاب التمساح الأحمق من القرد) •

٥ ـــ كتاب العمل الطائش أو البرهمى والنمس وأولـــه (كل من يستسلم لثورة الغضب بدون أن يتحرى حقائق الأمور يخسر صديقه كما حـــدث للبرهمى والنمس) •

وتعتبر هـــذه الكتب الخمسة أصلا لأبواب خمسة فى كليلة ودمنة وهى :

١ ـ باب الأسد الثور وأوله قول دبشليم لبيدبا الفيلسوف (اضرب لى مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال) •

وتتفق هـذه البداية مع عنوان الكتاب الأول فى البنجاتنترا (كتاب التفريق بين صـديقين) •

٢ ـ باب الحمامة المطوقة ويبدأه دبشليم بقوله (فحـدثنى أن رأيت عن اخـوان الصفا كيف يبدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض) •

ويتشابه هـذا العنوان مع عنوان الكتاب الثانى (كتاب اكتساب الأصدقاء)•

٣ ـ باب البوم والغربان ويبدأه دبشليم بقوله (فاضرب لى مثل العـدو الذى لا ينبغى أن يغتربه وأن أظهر تضرعا وملقا) •

وهـذا القول يتفق مـع عنوان الكتـاب الثالث فى البنجاتنترا (كتـاب الحرب والسلام) •

٤ ـ باب القرد والغيلم ويبدأه دبشليم بقوله (فاضرب لى مثل الرجـل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها) وهو مقتبس من عنوان الكتاب الرابع فى البنجاتنترا الخسران أو القرد والتمساح •

٥ ـ كتاب الناسك وابن عرس ويبدأه دبشليم بقوله (فاضرب لى مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية أو نظر فى العواقب) •

وهـذا القـول اقتباس من عنـوان الباب الخامس فى البنجاتنترا (كتاب العمل الطائش أو البرهمى والنمس) •

وقـد اقترنت عناوين الأبواب الخمسة فى البنجاتنترا بذكر الحيوانات التى لعبت الأدوار الرئيسية فيها فقيل كتاب التفريق بين صديقين أو كتـاب الأسد والثور تماما كما قيل باب الأسد والثور فى كتاب كليلة ودمنة كما أطلق على الكتاب الثانى فى البنجاتنترا اسم الحمـامة والغراب والفـار والسلحفاة والغزال •

وهــذه هى الحيوانات التى لعبت الأدوار الرئيسية فى القصة فى حين أطلق عليه (الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة) وحــدها دون ذكر للحيوانات الأخرى التى اشتركت معها فى الأدوار الرئيسية فى القصة وهى الجرذ والظبى والسلحفاء والغراب مع أن كلا من هــذه الحيوانات لعب دورا لا يقــل أهمية عن الدور الذى لعبته الحمامة .

والأولى أن يسمى الباب باسم هــذه الحيوانات جميعا على نحو ما نجــد فى البنجاتنترا حيث سمى الكتاب الثانى باسم هــذه الحيوانات جميعا .

وأطلق على الكتاب الثالث اسم (الحرب والسلام) أو البوم والغربان وهو نفس عنوان القصة فى كليلة ودمنة .

أما الكتاب الرابع فهو كتاب الخسران أو القرد والتمساح وهــو فى كليلة ودمنة (القرد والغيلم) ويقوم التمساح فى البنجاتنترا بدور الغيلم فى كليــلة ودمنة وأخيرا فان البــاب الخامس فى البنجاتنترا يدور حــول النمس ووفاته لصاحبه البرهمى تماما كما هو الحال فى باب الناسك وابن عرس فى كتاب كليلة ودمنــة .

وفى مقــدمة البنجاتنترا يتحــدث المؤلف أيضا عن أهمية الكتاب فى الآداب العالمية وما جاء فى هذه المقدمة يتفق تماما مع ما جاء فى كتاب حكمة الهند(٤) .

وتروى القصص فى البنجاتنترا نثرا ولكن توجــد بعض المقطوعات الشعرية التى تشتمل على حكم وأمثال مأثورة فى نهاية بعض القصص بعــد أن تسبقها عبارة ولهــذا أقول These fore gsury . كما تستخدم بعض هــذه المقطوعات الشعرية للتقــديم لبعض القصص ويرجح الدكتور (هرطــل) أن يكون تدوين البنجاتنترا التى وصلتنا قــد تم فى القرون الثانى قبل الميلاد تقريبا فى كشمير أى قبل كتاب كليلة ودمنة بنحو عشرة قرون لكن القصص فيها أقــدم كثيرا كما تدل الشواهد فى المؤلفات السنسكريتية(٥) .

---

(٤) قصص الحيوان فى الأدب العربى – لعبد الرازق حميدة ص ١١٥ .
(5) Wisdom of India p. 245 .

أما الدكتور عبد الحميد يونس فانه يرجح أن تكون البنجاتنترا التى وصلتنا قـد وضعت فيما بين سنتى ١٠٠ ق٠م٠ و ٥٠٠ م٠ وانها مقتبسة من كتاب هندى أقـدم اسمه (كوطيلة أرثا شاستره)(٦) ٠

ويرى أوبرتان أن البنجاتنترا كانت فى الأصـل ثلاثة عشر فصـلا ف السياسة والحكم وانهـا فقـدت تماما وما عند الأوروبيين الآن من تراجمها قـد كتب بعـد الأولى وعلى شاكلتها الى حـد كبير ٠

ومعنى هـذا أن النسخة الأولى للبنجاتنترا قـد فقدت تماما وان ما وصلنا منها انما هـو كتاب آخر يشتمل على حكايات حيوانية تشبه حكايات الكتـاب الأول الذى فقد ويخبرنا كتاب حكمة الهند أن هناك مجموعتين من قصص الحيوان فى الأدب الهندى هما :

(أ) البنجاتنترا ٠

(ب) الهيتوباديسا « أى موعظة الصـديق » ٠

والأولى أقـدم وتشتمل على سبع وسبعين قصـة فى حـين أن الثانية لا تشتمل الا على ثلاث وأربعين قصة فقط منها خمس وعشرون قصة مقتبسة من البتجاتنترا(٧) ٠

ومعنى هـذا أن الهيتوباديسا قـد اقتبست شطرا كبيرا من قصصها من البنجاتنترا التى سبقتها ٠

وجاء فى كتاب الهند القـديمة وحضاراتها(٨) أن للبنجاتنترا الثانية محورا عاما وهو ملك يائس من تعليم ابنيه الأميرين لغباوتهما وأخيرا يستعين بحكيم فيلسوف برهمى ليعلم هذين الأميرين أصول المعاملات الانسانية ٠

---

(٦) الاسفار الخمسة أم البنجاتنترا ترجمة د. عبد الحميد يونس . جـ ١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٩ ٠

7 — Tho Wisdom of Imdia p. 245

(٨) ص ٣٢٣ ٠

ويعلم الحكيم هـذين الأميرين الدروس ويشرح لهما الطبيعة الانسانية عن طريق الحكايات وادخال قصة فى أخرى بلباقة وكثيرا ما يجعل شخصية فى القصة تبدأ قصة أخرى قبل أن تنتهى السابقة ويختم القصة بالمغزى وكثير من هـذه المواعظ اقتباسات من كتب أقـدم مثل (الفيدا) .

ومعنى هـذا أن هناك البنجاتنترا الأولى والبنجاتنترا الثانية كما يرى كتاب الهند القـديمة وحضاراتها ولكن الكتاب يذكر فى موضع آخر ان البنجاتنترا الجـديدة مؤلف من بقايا كتاب اسمه (تنترا خايابيكا Tantra Khyapika أى مجموعة القصص القصيرة وقصص أخرى(٩) .

فهل نفهم من كتاب الهند القـديمة وحضاراتها أن البنجاتنترا الثانية قـد استمدت قصصها من البنجاتنترا الأولى ومن كتـاب تنترا خايابيكا ومن كتب أخرى أقـدم كالفيدا وهـذه قـد اقتبست منها مقطوعات الشعر التى تتضمن الحكم والمواعظ ؟

أما الدكتور محمـد غفرانى الخراسانى فيذكر أن كتاب البنجاتنترا كان يسمى أولا باسم (نيتى شاستر) أى كتاب السياسة وألفه البرهمى (وشـنو نسرما)(١٠) .

ومهما يكن من أمر فان كتاب البنجاتنترا الذى وصـلنا هـو اقتباس من مجموعات قصصية خرافية أخرى لم تصلنا بل ضاعت وضلت طريقها الينا عـدا القليل النادر منها الذى احتفظت لنا به المصادر مثل قصة فشنو والنساج وهى احـدى قصص كتاب تنترا خايابيكا التى نقلهـا الينا كتاب الهنـد القـديمة وحضاراتها وملخصها :

(ان نساجا فقيرا راى أميرة فمرض من الحب فصنع صـديق له من صناع العربات (جارودا) من الخشب وهـذا الجارودا هـو النسر الاسطورى الذى يركبه الاله فشنو ولبس النساج صفات فشنو وركب النسر وطار به حتى دخـل جناح الأميرة فى قصرها فاعتقدت أنه الاله فشنو وتضرع اليهـا فقبلته زوجـا

(١٠) ابن المقفع لمحمد غفرانى الخراسانى ص ٢١٤ .

(9) Ancient India and Indian Civilization P. 324.

وأعلنت والديها أنها تزوجت فشنو وأنه صار صهرا لهما فرضيا بعـد غضب وثورة ورأياه فى الليل قادما من السماء يحمل عـلامات قـوته ومنهـا القرص والصدفة ولم يستطيعا أن يكلماه وامتلا الملك عجبا بهـذه المصاهرة فاثار حربا على جيرانه فصمدوا له وحاصروا مدينته وأحاطت به المصائب غير ان فشنو المدعى هـدأ الأميرة وأعـد نفسه للاشتراك فى النزاع وآثر ان يموت بطـلا فى الدفاع عن صهره فاحس فشنو الحقيقى أنه تورط وأبى أن يرى فشنو المدعى يهلك وهـو على شكله وصورته فساعده وكان له النصر) •

ومن يقرأ ألف ليلة وليلة يجـد قصة الحصان الابنوس ولبيدة هـذه القصة وان هـذه القصة قـد انتقلت عن ألف ليلة وليلة الى أوربا وكتبها Chaucer تشوسر مع شيء من التعديل نقلا عن أسبانيا فى قصة The Squires Tale (١١) •

وقصص البنجاتنترا طريفة تأخـذ بلب القارىء كالأرنب التى غلبت بذكائها وفطنتها كلا من الفيل والأسد ، والفأر التى قلبت قطة ثم أنها عندما ارادت أن تختار لها زوجا وجـدت عيبا فى كل من تقـدم لزواجها كالشمس والسـحاب والريح والجبل ولم يرقها الا الفأر الذى هـو من فصيلتها فتزوجته وأصـبحت سـعيدة •

وقـد افتتن كثير من آدبائنا العرب بهـذه القصة فحاكوها ونسجوا على منوالها فى تأليف قصص تحاكيها بدءا من ابن المقفع وحتى أمير الشعراء أحمـد شوقي كما سيأتى ومغزى القصة أن الرجل العادى هـو خير رجل يصلح أن يكون زوجا وأهم صفاته الكرم والاخلاص للأصدقاء •

ومن أهم الجوانب التى تعالجها حكايات البنجاتنترا ما يجب على الملك نحو رعيته فعليه أن يفـدى شعبه بنفسه وأن يقاتل من أجله بشجاعة وبسالة وعليه أن يحكم البلاد بديمقراطية فيستشير وزراءه فى ادارة شئون البلاد وفى الأمور الخطيرة للدولة •

وقـد ترجمت البنجاتنترا الى السريانية فى سنة ٥٧٠ م باسم (كليلاج ودمناج) والى الفهلوية فى القرن السادس والى العربية على يد ابن المقفع فى

---

(١١) قصص الحيوان فى الأدب العربى – عبد الرازق حميدة ص ١٢٧ •

القرن الثامن الميلادى كما ترجمت الى الفرنسية عــدة ترجمات من أهمها الترجمة المعروفة باسم L'ivre des lumieres, lu la canduite de Roys ترجمها دافيد ساهد سنة ١٦٤٤ م David sahid ثم قام أستاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس فى العصر الحــديث بترجمة البنجاتنترا الى العربية تحت عنوان الاسفار الخمسة عن الترجمة الانجليزية البنجاتنترا والتى قام بها من قبل فرانكلين أدجرتون أستاذ الأدب السنسكريتى وفقه اللغــة المقــارن بجامعــة (بيــل)(١٢) ٠

وأعقــد فيما يلى مقارنة بين أبواب البنجاتنترا الخمسة والأبواب الخمسة الأخرى التى تقابلها فى كتاب كليلة ودمنة وكذا القصص الفرعية التى تتضمنها الأبواب فى كل من الكتابين لنرى الى أى حــد تتفق القصص فى هــذه وتلك وسوف اعتمد فى هــذه المقارنة على نسخة الأب لويس شيخو فى كليلة ودمنة وعلى ترجمة فرانكلين أدجرتون الانجليزية للبنجاتنترا ٠

(أ) الكتاب الأول من البنجاتنترا

التفريق بين صــديقين ، أو الأســد والثور

ويشتمل على القصص الفرعية التالية :

١ ــ القرد والوتد ٠

٢ ــ ابن آوى والطبل ٠

٣ ــ (أ) الناســك والمحتــال ٠

(ب) الكباش وابن آوى ٠

(جـ) النساج الديوث والقوادة ٠

٤ ــ الغربان والحيــة ٠

٥ ــ طائر البلشون والسرطان البحرى ٠

٦ ــ الأســد والأرنب ٠

٧ ــ القمــلة والبرغــوث ٠

٨ ــ حاشية الأســد والجمل ٠

---

(١٢) الأسفار الخمسة ــ عبد الحميد يونس ص ٥ ٠

٩ ــ طائر البحر والبحر •
١٠ ــ الأوز والسلحفاة •
١١ ــ بصيرة وبديهة وتوكل •
١٢ ــ القرد والبراعة والعصفور •
١٣ ــ الخب والمغفل •
١٤ ــ طائر البلشون والثعبان والنمس •
١٥ ــ الجراذن آكلة الحـديد •

ويشتمل باب الأسد والثور فى كتاب كليـلة ودمنة على القصص الفرعيـة التاليـــة :

١ ــ قصة التاجر الذى يعظ أبناءه ويلومهم على سوء تصرفهم فى مال أبيهم •
٢ ــ قصة القرد والنجار •
٣ ــ الثعلب وهـو يفكر فى ضخامة الطبل •
٤ ــ الناسـك واللص •
٥ ــ امرأة الاسكاف وعشيقها ودور امرأة الحجام فى ذلك •
٦ ــ الغراب والأسود واغارة الثانى على وكر الأول لأكل فراخه •
٧ ــ العلجوم الذى أراد قتل السرطان وهـو يلتمس حيلة لاصطياده •
٨ ــ الأسد والأرنب وهلاك الأسد بسبب الحيلة التى دبرها الأرنب لقتله •
٩ ــ السمكات الثلاث والصيادين اللذين حاولا اصطيادهن •

١٠ ــ القمل الذى لزم فراش رجل من الاثرياء وهلك بسبب دعوته برغوثا لينزل ضيفا لديه فى فراش الرجل الثرى •

١١ ــ الأسد وأصحابه الثلاثة الذئب وابن آوى والغراب وقتل الجمـل بسبب مؤامرة هؤلاء الثلاثة •
١٢ ــ طائر الطيطوى وحـديثه مع زوجته •
١٣ ــ السلحفاة والبطتين •
٤ ــ جماعة القرود وهم يبحثون عن النار ليدفئوا بها أنفسهم من البرد •

١٥ ــ المكار والمغفل وعثورهما على سرة من الدنانير وحيلة المكار للاستيلاء على المـال وحرمان صـديقه من نصيبه •

١٦ ــ العلجوم والحيــة ونجــدة السرطان للعلجوم للقضاء على الحيــة والتخلص منها •

١٧ ــ التاجر والفأر الذى أكل حــديده •

ونجــد اتفاقا فى عناوين بعض القصص الفرعية فى كل من البابين مثل :

١ ــ قصة القرد والنجار •
٢ ــ قصة الثعلب وهو يفكر فى ضخامة الطبل •
٣ ــ قصة الناســك واللص •
٤ ــ قصة الأسماك الثلاثة •
٥ ــ قصة المكار والمغفل •
٦ ــ قصة الفأر الذى أكل الحــديد •
٧ ــ قصة الأســد والأرنب •
٨ ــ قصة القمــل والبرغــوث •
٩ ــ قصة الأســد والجمــل •
١٠ ــ قصة طائر البحر والبحر •
١١ ــ قصة الغربان والحيــة •
١٢ ــ قصة السلحفاة والبطتين •

وقــد تتفق القصص الفرعية فى كل من البابين مع اختلاف فى ترتيبها مثل قصة الثعلب وهو يفكر فى ضخامة الطبل فهى الثانية فى البنجاتنترا والثالثة فى كليلة ودمنة •

وقصة السلحفاة والبطتين الثالثــة عشرة فى كليــلة ودمنة والعاشرة فى البنجاتنترا وقصة الفــأر الذى أكل الحــديد هى الخامسة عشر فى البنجاتنترا والسابعة عشر فى كليلة ودمنة وقصة السمكات الثلاث التاسعة فى كليلة ودمنة والحادية عشرة فى البنجاتنترا •

ويرى المرحوم الدكتور عزام أن قصة السائح والصائغ قــد وردت ضمن قصص الباب الأول من كتاب البنجاتنترا وقــد عثر عليه فى مجموعة من الأساطير البوذية اسمها (سواهنى) وكتاب آخر بوذى اسمه (كرماجتكا) وأنه وضــع لأول مرة فى الآداب الهندية[١٣] •

---

(١٣) كليلة ودمنة للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٤٨ •

(ب) الكتاب الثانى فى البنجاتنترا

كسب الأصدقاء أو الحمامة والغراب والفار والسلحفاء والغزال

ويشتمل على القصص الفرعية الآتية :

١ ــ الفــأر والناسكين •
٢ ــ سمسم مقشور بآخر غير مقشور •
٣ ــ ابن آوى الجشع •
٤ ــ أسر الغزال لأول مرة •

ويقابله باب الحمامة المطوقة فى كتاب كليلة ودمنة ويشتمل على القصص الفرعية التالية :

١ ــ قصة الصياد وهو يضع الشرك لاصطياد الحمامة وانقاذ الجرذ الحمامة من فــخ الصــياد •

٢ ــ قصة الجرذ ونزوله فى بيت رجل ناسك من أهل المدائن •

٣ ــ قصة امرأة تعاقب زوجها وهو يعزم على دعوة جماعة من أصدقائه لتناول الطعام فى بيته •

٤ ــ قصة القناص والظبى والخنزير وقتل الوتر الذئب بسبب الجشــع الذى تملكه لادخار بعض اللحوم من فريسته •

٥ ــ قصة المرأة والكلب الذى أكل السمسم المقشر الذى أعــــدته المرأة لطهو الطعام •

٦ ــ قصة الناسك واخراج ألف دينار من جحر الجرذ •

٧ ــ قصة القانص واصطياده السلحفاة ومحاولة الجرذ والظبى والغراب تخليص صديقتهم من مصيدة القانص •

ومع اختلاف عناوين الحكايات فى كل من البابين فان المضمون العام فى كل منهما واحــــد فكل من البابين يتناول الأصدقاء وتصافيهم واخلاص بعضهم لبعض كما أن ابتداء الباب فى كليلة ودمنة يتشابه مع عنوانه فى البنجاتنترا كما أشرت من قبــل •

(ج) كتاب الحرب والسلام أو الغربان والبوم

ويشتمل على الحكايات الفرعية التالية :

١ ــ حمار فى جلــد نمر •
٢ ــ الطيور تختار ملكا •
٣ ــ الفيل والأرانب والقمر •
٤ ــ القط وطائر الحجل والأرنب •
٥ ــ البرهمى والمحتالين •
٦ ــ الرجل العجوز والزوجة الشابة واللص •
٧ ــ البرهمى واللص والغــول •
٨ ــ الفــأرة العــذراء •
٩ ــ الضفادع تركب الثعبان •

ويقابل هــذا الكتاب باب البوم والغربان فى كليــلة ودمنة ويشتمل على الحكايات الفرعية التالية :

١ ــ قصة الغربان واعتداء البوم على وكرها ومشاورة ملك الغربان مــع وزرائه الخمسة الذين كانوا موضع ثقة الغربان جميعا يستشيرونهم فى أمورهم وحــل مشاكلهم •

٢ ــ قصة سرب الطيور الذين اختاروا البوم ملكا عليهم ويشاورون الغراب فى هــذا الاختيار •

٣ ــ قصة الفيلة التى اشتكت العطش لدى ملكها لانقاذها من الموت •

٤ ــ قصة الصفرد والأرنب والسنور واحتلال الأرنب لجحر الثانى واقامة الدعوى لدى السنور ليحكم بينهما •

٥ ــ قصة الناسك واللصوص الذين سرقوا عريضته •

٦ ــ قصة التاجر وامرأته الجميلة التى كانت تراود رجلا آخر الى أن دخل اللص بينهما فاحتضنت المرأة زوجها التاجر خــوفا من اللص لا حبــا فى زوجها وشكر التاجر اللص على السطو على منزله •

٧ ـ قصة الناسك والبقرة الحلوب •
٨ ـ قصة الرجل النجار وامرأته الجميلة التى كان يحبها •
٩ ـ قصة الناسك العابد الذى كان مستجاب الدعوة •
١٠ ـ قصة أسود هرم قعد عن الصيد فأقام بمقربة من غدير فيه ضفادع •

والمضمون العام للباب واحـد فى كل من البنجاتنترا وكليلة ودمنة وأبطال القصة البوم والغربان وهـذه وتلك تقوم بالأدوار الرئيسية فى كل من كليـلة ودمنة والبنجاتنترا وقـد أطلق على الباب اسم البوم والغربان أبطال القصة فى كل من الكتابين •

(د) كتاب الخسران أو القرد والتمساح

ويشتمل على حكاية واحـدة هى حمار بلا قلب ولا اذنين ويقابل هـذا الباب باب القرد والغيلم فى كتاب كليلة ودمنة ويشتمل على الحكايتين الفرعيتين الآتيتين :

١ ـ قصة ملك القرود وخروج قرد شاب عليه •

٢ ـ قصة ابن آوى الذى ادعى للأسد أن الحمار لم يكن له قلب ولا اذنان وكان قـد أكلهما •

(هـ) كتاب العمل الطائش أو البرهمى والنمس

ويشتمل على الحكايتين التاليتين :

١ ـ البرهمى الذى بنى قصورا فى الهواء •
٢ ـ الحلاق الذى قتل النساك •

ويقابل هـذا الكتاب فى البنجاتنترا باب الناسك وابن عرس فى كتاب كليلة ودمنة ويشتمل على القصتين الفرعيتين التاليتين :

١ ـ قصة الناسك وامرأته التى لا تنجب •
٢ ـ قصة الزاهـد الذى كان يأتى له الطعام يوميا من بيت أحـد

الأغنياء فكان يدخر العسل والسمن ويضعهما فى الكوز لكى يتجربهما ويحصل على مال كثير وغلمان ولكن أمله خاب وحلمه لم يتحقق حينما انكسر الكوز أثر ضربة عصاه وهو يسرح فى عالم الخيال ومن هذه المقارنة يتبين أن هناك بعض القصص الفرعيـــة التى توجـــد فى أبواب كليـــلة ودمنة الخمسة ولا توجـــد فى أبواب البنجاتنترا وهـــذه ربما يكون قـــد أضافها الفرس أو ابن المقفع أو أنهـــا اقتباسات من كتب هندية أخرى ككتاب المهابهرتا كما يتبين من المقارنة أن هناك بعض القصص التى توجـــد فى أبواب البنجاتنترا ولا توجـــد فى أبواب كليـــلة ودمنة ومع هـــذا فان ابن المقفع قـــد تأثر بكثير منها فى قصصه وقـــدمها فى صورة جـــديدة تتلاءم مع العقلية الاسلامية المتأثرة بالمنطق اليونانى تلك العقلية التى اخضعت كل شىء للتفكير والعقل والمنطق .

فهـــذه القصص وأن لم توجـــد بعناوينها فى كليلة ودمنة فانها توجـــــد بمضمونها التى تشتمل عليه فى البنجاتنترا وخـــذ مثلا على ذلك قصة (حمار فى جلـــد نمر) .

وهى القصة الأولى من الكتاب الثالث فى البنجاتنترا ولا توجـــد القصـــة بهـــذا العنوان فى كتاب كليلة ودمنة ومع هـــذا فانى أرى أن قصة الأســـد وابن آوى وأذنى الحمار وهى احـــدى قصص باب القرد والغيلم فى كليلة ودمنة ليست عـــدا اقتباس من قصة البنجاتنترا المشار اليها (قصة حمار فى جلـــد نمر) بعـــد أن أدخل عليها ابن المقفع التغيير الذى يجعلها ملائمة للعقلية الاسلامية التى اخضعت كل شىء للمنطق والعقل .

أما قصة البنجاتنترا فتقول (يحكى أن غاسل ثياب كان له حمار وهنت قواه بسبب ما كان يحمله من أثقـــال عظيمة من الثياب تفوق طاقته . ورأى غاسل الثياب أن ينعشه فكساه بجلد نمر وأطلقه يرتع ويمرح ليلا ويأكل الحب الذى يملكه غيره وأخـــذ الحمـــار يأكل من الحب ما شـــاء بدون أن يقترب منـــه أحـــد ولم يفكر أحـــد أن يبعـــده عن الحب لان النـــاس ظنـــوه نمرا واتفق يوما أن رآه فـــلاح كان يعمـــل حارسا للحب وقال فى نفسه (هـــذا نمر اننى هـــالك لا محـــالة) وانحنى ولف جسده فى عبـــاءة رمادية وتسلل يبتعـــــد فى حـــــذر وفى يده قوس مشرعة وعندما رآه الحمار عن بعـــد وكان قـــد سمن واســـــتعاد قواه ظن أن الفلاح اتان ولمـــا كانت منيته قـــد حانت فقـــد عـــدا خلف الحمار

بأقصى ما يستطيع من سرعة وبدأ يطارده فأطلق الرجل ساقيه للريح وجرى كما لم يفعل من قبل وقال الحمار فى نفسه لعلها اخطـأت الظن بى واعتقدت انى نمر لأنى ارتدى جلده وأرى أن أعـود الى طبيعتى وأطمئنها بالنهيق •

وما أن استقر على هـذا الرأى حتى بدأ فى النهيق وسمع حارس الحب هـذا الصوت فدهش له وعرف أنه انما يواجه حمارا لا نمرا فاستدار وأطلق عليه سهما صرعه فى الحال)[١٤] •

وأما قصة الأسد وابن آوى وأذنى الحمار فى كليلة ودمنة فتقول (زعموا أن أسـدا كان فى أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فأصاب الأسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى : ما بالك يا سيد السباع قـد تغيرت أحوالك ؟ قال : هـذا الجرب الذى أجهدنى وليس له دواء الا قلب حمار واذناه قال ابن آوى : ما أيسر هـذا وقـد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف الى الحمار فأتاه وسلم عليـه فقال له : ما لى أراك مهزولا قال : ما يطعمنى صاحبى شيئا فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هـذا ؟ قال : فما لى حيلة فى الهرب منه لست أتوجه الى جهـة الا اذ أضر بى انسان فكدنى وأجاعنى قال ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان خصيب المرعى فيه قطيع من الحمر لم تر العين مثلها حسنا وسمنا •

قال الحمار : وما يحبسنا عنها ؟ فانطلق بنا اليها فانطلق به ابن آوى نحـو الأسـد وتقـدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسـد فأخبره بمكان الحمـار فخرج اليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فأفلت هائما على وجهه فلما رآى ابن آوى أن الأسـد لم يقـدر على الحمار قال له : أعجزت يا سيد السباع الى هـذه الغاية ؟ فقال له : ان جئتنى به مرة أخرى فلن ينجو منى أبدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له : ما الذى جرى عليك ان أحد الحمر راك غريبا فخرج يتلقاك مرحبا بك ولو ثبت له لانسك ومضى بك الى أصحابه فلما سمع الحمار كلام ابن آوى ولم يكن راى أسـدا قط صدقه وأخـذ طريقه الى الأسـد فسبقه ابن آوى الى الأسـد وأعلمه بمكانه وقال له : استعد لـه

---

(١٤) الأسفار الخمسة أو البنجاتنترا — د. عبد الحميد يونس ص ١٨١ .

فقــد خــدعته لك فلا يدركنك الضعف فى هــذه النوبة فانه أن أفلت فلن يعود معى أبدا فجاش جأش الأســد لتحريض ابن أوى له وخرج الى موضع الحمار فلما أبصر به عاجله بوثبه افترسه بها ثم قال : قــد ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل الا بعــد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى أعــود فآكل قلبه وأذنيه وأترك لك ما سوى ذلك قــوتا لك فلما ذهب الأســد ليغتسل عمد ابن أوى الى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأســد منه فلا يأكل منه شيئا ثم أن الأســد رجع الى مكانه فقال لابن آوى : أين قلب الحمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : الم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به واذنان يسمع بهما لم يرجع اليك بعــد أفلت ونجا من الهــلكة »(١٥) •

ونقاط الالتقــاء بين القصتين تتمثل فى الحمار الذى يحمل عليــه القصار الأثقال ويديم ارهاقه ومع هــذا يحرمه من حقوقه التى تتمثل فى الطعام وفى الاتان لذا يبحث الحمار عن المرعى أولا لكى يخفف عن نفسه عناء العمل الشاق ثم يبحث عن الاتان ثانيا وهــذه تتمثل له فى كل شىء حتى فى الحارس ثم انه يطرب عندما يذكرها ابن آوى ويشتاق لرؤيتها غير مكترث بأى شىء آخر •

فمحور القصتين هــو الحمار يكدّ وينفر من عمل القصار فيمضى الى عالم آخر يجــد فيه المرعى ثم الاتان وان كان لا يهنأ بهــذا أو بذاك •

وأرى أن قصة ابن المقفع ليست عــدا اقتباس من قصة البنجاتنترا ولكن ابن المقفع أخضع قصته للعقــل والمنطق حتى تتلاءم مع تفكير المجتمع الاسلامى •

هــذا المجتمع الذى كان يحكمه المنطق اليونانى والذى كان يخضع كل شىء للعقل بتأثير المعتزلة الذين حكموا العقل فى كل شىء •

لم تقتنع عقلية ابن المقفع ولا منطقه بصورة الحمار فى جلد النمر ورأى أنها صورة مزيفة مخادعة أحرى أن يرفضها حيوانه وقــد عرف فى كل القصص بالثقــة والاعتزاز بالنفس والظهور فى صورته الحقيقية دون اللجــوء الى التزييف أو الغش أو الكذب أو التزوير ولا نجــد فى كتاب كليلة ودمنة صورة

---

(١٥) كليلة ودمنة ص ٢٢١ : ٢٢٢ •

واحدة لحيوان لبس غير لباسه أو ظهر فى غير صورته وقد عرف حيوان ابن المقفع بالمنطق والعقل والأدب حتى فى هزله وحتى فى مجونه •

لذا رفض حمار ابن المقفع آن يتخفى فى صورة جلد النمر كما فعل حمار البنجاتنترا وانما قام بدوره كاملا وهو فى صورته الحقيقية فى جميع المراحل المختلفة حتى انتهت حياته على يد الأسد •

وأسوق فيما يلى مثالا آخر وهو قصة الأسد والأرنب فى كل من البنجاتنترا وكليلة ودمنة واذا كنا قد لاحظنا اختلافا ما فى القصة السابقة (الحمار فى جلد النمر) • فأننا لا نلمح مثل هذا الاختلاف فى هذه القصة وهى تحمل عنوانا واحدا فى كل من الكتابين كما أن الشخصيات فيها واحدة فى كل من كليلة ودمنة والبنجاتنترا •

فأما قصة البنجاتنترا فتقول :

(يحكى أنه كان هناك أسد يدعى (معتز) يعيش فى احدى الغابات وكان شديد البطش لا تسلم الوحوش أبدا من أذاه وعندئذ أقبلت الوحوش جميعا الى الأسد وقالت له فى تواضع : أى فائدة تجنيها يا مولاى من هذا القتل بالجملة لجميع الوحوش واعدامهم بلا رحمة ولا هدف ان هذا اثم كبير يطيح بآمال جلالتك فى نعيم العالم الآخر واذا لم تكف عن هذا العمل فأننا جميعا هالكون لا محالة وسوف تستيقظ يوما فلا تجد ما تتقوت به ومن هذا ترى أن الخطة التى تنتهجها سوف تؤدى الى هلاكك والقضاء علينا فهلا تفضلت وصنعت فينا معروفا لقد اتفقنا على أن نرسل لك كل يوم دابة من كل قبيلة على التوالى تكون طعاما لك فقال الأسد : لا مانع لدى •

وأخذت الوحوش منذ ذاك ترسل اليه كل يوم دابة واحدة كان يلتهمها ، واتفق يوما أن أصابت القرعة أرنبا من احدى القبائل فبعثت به جماعة الوحوش الى الأسد ليكون له طعاما فقال الأرنب لنفسه : كيف أضع نفسى بين براثن الموت ؟ أن هذا معناه أن أودع اليوم الحياة ترى ماذا أفعل ؟ ولكن هل هناك شىء يعجز عنه صاحب الحيلة ؟ أبدا وسوف أصرع الأسد بالحيلة وانطلق يسير فى بطء شديد فوصل بعد الموعد الذى اعتاد فيه الأسد أن يتناول غذاءه وتميز الأسد غيظا وعضه الجوع بنابه فقال للأرنب وهو يحتدم

غضبا : ما جـدوى الغضـب؟ ان أسوأ ما يمكن أن أعاقبك به هو القتل وأنب اليوم هالك لا محالة ولكن هلا قلت لى لمــاذا تأخرت على ؟ فانحنى الأرنب للأســد وقال له متلطفا : مولاى اذا كنت قـد تأخرت فقد حـدث هـذا لأسباب خارجة عن ارادتى فبينما أنا فى طريقى اليك اعترضنى أسـد آخر وهم بأن يلتهمنى فبادرته بقولى : انى ذاهب لمولاى الأســد (معتز) فقـد وقـع على الاختيار لان أكون له طعاما فقال : ومن يكون هـذا الأســد (معتز ؟) انه لص اذهب اليـه وعـد معـه الى سريعا وسوف أنازله ومن يتغلب على خصمه يكون من حقه أن يكون ملكا لجميع الوحوش ويستطيع أن ينعم وحـده بأكلها • وهـذا ما حـدث يا مولاى وهانذا أقصه عليك وما على الا البــلاغ • وما ان سمع الأســد (معتز) هـذا القول حتى انتفض غضبا وقال : كيف يكون هناك أسـد غيرى فى هـذه الغابة التى أحكمها بذراعى اليمنى هيا بنا وأرنى هـذا المحتال •

فقال الأرنب : وما دامت هـذه رغبتك فهيا معى يا مولاى لأريه لك • وأخـذه الأرنب الى بئر عميقة زاخرة بالمــاء الصافى وأشار اليها قائلا : أنظر هناك ها هو ذا • ورأى الأســد الأحمق خياله فى المــاء فقال فى نفسه : اذن فهذا غريمى • وتميز حنقا وأطلق زئيره المعروف فارتد صـداه على أثر ذلك من البئر مضاعفا وصك سمع الأســد فقال فى نفسه : لابد أنه قـوى جدا • ووثب واندفع اليه فلقى حتفه فى البئر غرقا ورقص قلب الأرنب من الفرح وعاد الى الوحوش يبلغها نبأ مصرع الأســد فهللت فرحا وقـدمت اليه شكرها الجزيل وعاش الأرنب فى تلك الغابة فى سلام)(١٦) •

وأما قصة كليلة ودمنة فتقول : (زعموا أن أسـدا فى أرض كثيرة الميـاه والعشب وكان فى تلك الأرض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شىء كثير الا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأســد فاجتمعت وأتت الى الأســد فقالت له : انك لتصيب منا الدابة بعـد الجهد والتعب وقـد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنــا فان أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة نرسل بهــا اليك فى وقت غـذائك • فرضى الأســد وصالح الوحوش عليه ووفين له به ، ثم أن أرنبا أصابتها القرعة وصارت غـذاء للأســد فقالت للوحوش : ان أنتن رفقتن

---

(١٦) الأسفار الخمسة او البنجاتنترا د• عبد الحميد يونس ص ٦٧ ، ٦٨ •

بى فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الأسـد فقالت الوحوش : وما الذى نكلفينا من الأمور ؟ قالت تامرن الذى ينطلق بى الى الأسـد أن يمهلنى ريثما أبطىء عليه بعض الابطاء فقلن لها : ذلك لك فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغـذى فيه الأسـد ثم تقـدمت اليه وحـدها رويدا وقـد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول الوحوش اليك بعثتنى ومعى أرنب لك فتبعنى أسـد فى بعض تلك الطريق فأخـذها منى وقال : أنا أولى بهـذه الأرض وما فيها من الوحـوش فقلت : ان هـذا غـذاء الملك أرسلنى به الوحوش اليـه فـلا تغضبنه فسبك وشتمك فاقبلت مسرعة لاخبرك فقال الأسـد انطلقى معى فأرينى موضع هـذا الأسـد فانطلقت الأرنب الى جب فيه ماء غامر صاف فاطلعت فيـه وقالت : هـذا المكان فاطلع الأسـد فرأى ظـله وظـل الأرنب فى المـاء فلم يشـك فى قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق فى الجب فانقلبت الأرنب الى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالأسـد)(١٧) ٠

وهكذا تتفق القصة فى كل من كليلة ودمنة والبنجاتنترا اتفاقا لا يترك أى مجال للشك فى اقتباس احـداهما من الأخرى ولابد أن تكون القصـة المقفعية العربية هى التى أخـذت عن جـدتها الهندية السنسكريتية ٠

(ب) كتـاب المهـابهرتا

وهى احـدى الملاحم القـديمة للهنـود وتعتبر أقـدم الآثار التاريخية والأدبية فى العالم وتشتمل على مائتين وخمسة عشر ألف بيت ولا يعرف بالضبط متى ألفت الا أن الدارسين يرجحون أن بعض مقطوعاتها قـد ألفت فى مرحـلة متأخرة نسـبيا عن التى ألفت فيهـا المقطوعات الأخرى وان هـذه المقطوعات المتأخرة قـد ألفت فى القرن الثالث الميلادى ٠

وتشتمل المهابهرتا على العـديد من الأساطير الهندية القـديمة التى تتحدث عن الحروب التى قامت بين (باوندان) و (كروان) وهما طائفتان من بهـارتا

---

(١٧) احـدى قصص باب الأسـد والثور فى كليلة ودمنة ٠

فالمهابهرتا ملحمة تتناول الحروب والوقائع والبطولات وتشبه فى ذلك الشـاه نامه الفارسية للفردوسى •

وقـد ترجمت المهابهرتا الى الفارسية باشـارة أكبر شـاه آخر المـلوك الكوركانية فى الهند وأشرف على ترجمتها وزيره العالم أبو الفضل بن مبـارك شاه الدكنى مؤلف كتاب (عياردا نش)(١٨) وأخـوه الفيضى كما قـدم أبو الفضل بن مبارك شاه للترجمة الفارسية بمقـدمة وجيزة قال فيها : أن ترجمة منظومة (مهابهرتا) قـد تمت على أيدى نفر من العلماء الكبار الذى اختيروا لهـذه المهمة وقـد أشار ملك الشعراء الأمير بهاء الدين أحمد القانعى فى مقـدمة منظومته لكتاب كليلة ودمنة الفارسى الى كتاب مهابهرتا وتحـدث بايجاز عـن الأساطير والوقائع التاريخية التى يحتوى عليها هـذا الكتاب •

وقـد طبع الكتاب فى ثمانية عشر فصلا بمدينة « لكنهو » وللكتاب ذيل تحت عنوان « هرينش » ومعناه « الحياة الخالدة » •

وقـد ورد فى ختام النسخة المخطوطة من كتاب مهابهرتا وهى محفوظة فى المكتبة « الرضوية » فى مشهد ومكتبة جامعة « طهران » وأما النسخة المطبوعة فخالية من الذيل ويظهران هـذه الخاتمة قـد ترجمت من الهندية الى الفارسية باشارة (أبى الفضل الدكنى)(١٩) •

ويشتمل كتاب المهابهرتا على ثلاثة أبواب من كليلة ودمنة وهى :

١ ــ باب الجرذ والسنور •

٢ ــ باب ابن الملك والطائر فنزة •

٣ ــ باب الأسـد وابن آوى •

(ج) قصص أخرى

وأرى أن الأبواب الهندية فى كتاب كليلة ودمنة عـدا ما تقـدم هى :

---

(١٨) انظر س ؟ من الكتاب •

(١٩) درباره كليلة ودمنة لمحمد جعفر المحجوب ص ١٦ ، ١٨ طبعة طهران نقـلا عن عبد الله بن المقفع لمحمد غفرانى الخراسانى ص ٢٤٨ •

١ ــ باب ملك الفيران •
٢ ــ باب ايلاذ وبيلاذ وايراخت •
٣ ــ باب اللبؤة والأسوار •
٤ ــ باب ابن الملك ورفقائه •
٥ ــ باب الأسد والشغبر الناسك وهو ابن آوى •

ويقول فلكونر أن لباب ايلاذ وبيلاذ وايراخت ذكرا بالفعل فى النسخة الموجودة ببرلين من كتاب المقالات الخمس البنجاتنترا •

ويقول ان هذا الباب من بين أبواب الكتاب جميعا يجب أن يكون بوذيا قبل كل شيء(٢٠) •

ونحن نجد فى الحكايات السابقة التى زعمت لك أن أصلها هندى سنسكريتى نجد فيها آثارا هندية واضحة منبئة عن أصلها الهندى ففيها ذكر للدراويش والرهبان وفيها ذكر لبعض العبارات التى كان يلقى بها بعض الهنود على الثعبان وفيها اشارات لبعض العقائد البوذية كالنار المطهرة والحيوان المقدس وتذكرنا قصة اللبؤة والأسوار بالفكرة الفلسفية البوذية التى ترتبط بالامتناع عن أكل اللحم وان كانت هذه الفكرة نفسها قد وجدت بعد ذلك فى مذهب المانوية •

ولا أريد أن أترك حديثى عن الأصول الهندية لقصص كليلة ودمنة قبل أن أشير الى هذا الأثر الهندى الواضح الذى أراه فى قصة الفارة المحولة جارية فى باب (البوم والغربان) حيث يقول ابن المقفع على لسان البوم : (زعموا أن ناسكا كان مستجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة فى رجلها درص فارة فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فأخذها ولفها فى ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعى ربه أن يحولها جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها : هذه ابنتى فاصنعى معها صنيعك بولدى فلما كبرت قال لها الناسك : يا بنية اختارى من أحببت حتى أزوجك به فقالت : أما اذ خيرتنى فانى اختار زوجا يكون أقوى الأشياء فقال الناسك : لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال : أيها

---

(٢٠) ابن المقفع لعبد اللطيف حمزه ص ١٨٨ •

الخلق العظيم لى جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الأشياء فهل أنت متزوجها ؟

فقالت الشمس : أنا أدلك على من هو أقوى منى السحاب الذى يغطينى ويرد حر شعاعى ويكسف أشعة أنوارى فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب : وأنا أدلك على من هو أقوى منى فأذهب الى الريح التى تقبل بى وتدبر وتذهب بى شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت : وأنا أدلك على من هو أقوى منى وهو الجبل الذى لا أقدر على تحريكه فمضى الى الجبل فقال له القول المذكور فأجابه الجبل وقال له : أنا أدلك على من هو أقوى منى الجرذ الذى لا أستطيع الامتناع منه اذا ثقبنى واتخذنى مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ فقال له : هل أنت متزوج هذه الجارية ؟ فقال : وكيف أتزوجها وجحرى ضيق ؟ وانما يتزوج الجرذ الفارة فدعى الناسك ربه أن يحولها فارة كما كانت وذلك برضى الجارية فأعادها الله الى عنصرها الأول فانطلقت مع الجرذ) .

وترتبط القصة بفكرة التناسخ وهى فكرة هندية فى أصلها والتناسخ هو الاعتقاد بأن الأرواح تحل بعد الموت فى أجساد أخرى غير التى كانت تسكن فيها وهذه الأجساد الجديدة قد تكون أجساد حيوانات أو أجساد اناس وعليه فان الانسان قد يتحول الى حيوان كالذئب مثلا اذا مات الانسان وحلت روحه فى جسم ذئب وهذا الاعتقاد يسمى L'y carnt hrapy .

وأرى أن فكرة التناسخ هذه وثيقة الارتباط بفكرة النفس المادية وخلاصتها أن النفس مستقلة عن الجسد وهى عبارة عن حشرة أو فراشة أو طائر أو ما شابه ذلك وهى تدخل الجسم وتخرج منه عن طريق الفم وهذه النفس المادية تستطيع أن تترك الجسم الذى تحل به وتخرج منه وتحل فى جسم آخر قد يكون جسم نبات أو حيوان أو انسان(٢١) .

وقد انعكس هذا الاعتقاد على عدد كبير من الحكايات الشعبية التى تنتشر انتشارا عظيما فى الفلكلور العالمى مثل تلك الحكاية التى يقصها علينا

---

(٢١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٣١ .

(فريد رش فون دير لاين) فى كتابه الحكاية الخرافية وهى تقول : بينما كان الملك نائما تسرب من فمه حيوان صغير وجرى الى جـدول ماء وأبصر خادم الملك هـذا فوضع سيفه فوق المـاء ولكن الحيوان الصغير جرى مبتعدا واختفى فى جحر ثم رجـع بعـد فترة وتسرب الى فم الملك مرة أخرى ثم استيقظ الملك وحكى لخادمه أنه رأى فى منامه وكأنه يعبر جسرا من حـديد فـوق نهر كبير حتى وصل الى كهف فى جبل حيث وجـد كنزا ثمينا عندئذ حكى له الخادم ما شاهـده فأسرع الملك مع خادمه الى مكان الكهف حيث وجـد الكثير من الذهب والفضـــة(٢٢) ٠

وفى حكاية أخرى تحل الروح فى صورة فأر أو عرس أو حية أو طائر على أن حلولها فى صورة الحية أكثر شيوعا وربما يرجع هـذا الى أن الحية تخرج من باطن الأرض وتزحف على سطحها وأن أجسام الموتى مآلهـا الى الأرض التى تخرج منها الحية كما تصور لنا بعض الحكايات الروح وهى تطير فى صورة طائر وربما يرجع ذلك الى اعتقاد الانسان الأول أن الروح شىء خفيف الوزن وربما يرجع هـذا أيضا الى أن صوت بعض الطيور فى كثير من الأحيان يتشابه بعض الشىء مع صوت الانسان(٢٣) ٠

وفى الحكاية الخرافية الألمـانية (ماخاندل بوم) تحولت روح الأخ الصغير المقتول الى طائر وأخـذ يتغنى بالشر الذى قـدر له أن يقاسيه وتصور لنـا بعض الحكايات الانسان الممسوخ يطير فى صورة طائر قـد يكون بجعة أو غرابا وهـو انعكاس لهـذا المعتقد دون شك(٢٤) ٠

والمهم أن فكرة التناسخ فكرة بوذية فى أصلها وان ابن المقفع قـد تأثر بها فى قصته المشار اليها ــ الفأرة المحولة جارية ــ حيث مسخت الفأرة جارية أو لنقل انتقلت الروح من جسم الفارة الى جسم الجارية ثم مسخت الجارية بعـد

---

(٢٢) الحكاية الخرافية فريد رش فون دير لاين ط دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥ ص ٦٩ ٠

(٢٣) السـابق ص ٦٩ ٠

(٢٤) السـابق ص ٦٩ ٠

دلك فأرة أى عادت الروح الى جسمها الأول •

كان هــذا عرضا موجزا للأصول الهندية التى أمكننا أن نقف عليهــا فى كتاب كليلة ودمنة وهــذه الأصول فيما نرى قــد ترجمت الى البهلوية فى عهــد كسرى أنو شروان كما سنوضح بعــد قليل •

واذن فقــد انتقلت الأصول الهندية السنسكريتية الى اللغة البهلوية التى كانت حلقة اتصال بين هــذه الأصول الهندية والتناول العربى المقفعى لكتاب كليلة ودمنة كما سنوضح فيما بعــد •

ثانيا : الأصول الفارســية

أشرنا من قبل الى الأصول الهندية السنسكريتية لكتاب كليلة ودمنة والتى تتمثل فى مجموعات من القصص فى كتاب البنجاتنترا وفى كتب هندية أخرى ككتاب المهابهرتا وكتاب الهيتوباديسيا وقــد عمد الفرس فيما يقال الى نقــل هــذه القصص الى اللغة البهلوية وقــد جاء فى مقــدمة كليلة ودمنة لابن المقفع أن كسرى أنو شروان أحيط علما بهــذه القصص الهندية وكان محبا للعلم والأدب فاستشار وزراءه فيمن يبعث به لجلب هــذه القصص الى خزانة الفرس فوقع الاختيار على طبيب فيلسوف اسمه (برزويه بن أزهر) فقام بهــذه المهمة على خير وجــه •

وهــذا الخبر فيما نرى يحمل شيئا من الواقع أو الحقيقة ونرى أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون هناك رجل من الفرس قــد ذهب الى بلاد الهند لأمر ما وهناك سمع بأمر هــذه القصص العجيبة ولابد أنها كانت لها شهرة عظيمة فى بلاد الهند فتحركت فيه الرغبة لنقلها الى بلاده عند عودته ، ونخال أن كثيرا من الأعمال الأدبية العالمية قــد انتقلت من مواطنها الأولى الى سائر أنحاء المعمورة بهــذه الطريقة والا فكيف انتشرت الالياذة والاوديسة وذاعت خرافات أيسوب وفيدر فى جميع أنحاء العالم ؟

واذا صح ذلك والراجح عندى أنه كذلك فان الترجمة البهلوية لكتاب كليلة ودمنة تكون قــد أخــذت مباشرة عن الأصول الهندية السنسكريتية المتمثلة فى

مجموعات القصص الخرافية فى الكتب الهندية المشار اليها آنفا .

ثم أن الفرس أضافوا الى ما ترجموه عن الهندية السنسكريتية فصولا كاملة ليتم لهم تأليف كتاب متكامل يجمع بين القصص التى ترجموها والأخرى التى أضافوها وهو ما يعرف بكتاب كليلة ودمنة ولكننا لم نستطع الوقوف على مصادر فارسية تشتمل على القصص الخرافية التى نقلها ابن المقفع الى العربية فى كتاب كليلة ودمنة لان هذه الأصول قد ضاعت ولم تبق كما بقيت الكتب الهندية التى تشتمل على مجموعات القصص الخرافية مثل كتاب البنجاتنترا والمهابهرتا والهيتوباديسيا كما أشرنا من قبل .

ومهما يكن من أمر فهناك اجماع على أن باب بعثة برزوية فارسى النشأة كما قام الأستاذ نولدكه ببحث قيم أثبت فيه أن الباب التاسع عشر من نسخة ده ساسى وهو باب « ملك الجرذان » لابد أن يكون كذلك من اضافة الفرس ولهذا الباب وجود فى النسخة السريانية القديمة(٢٥) والنسخة اليونانية المنسوبة الى سث(٢٦) والنسخة الايطالية المأخوذة عن هذه الأخيرة ثم لا يكاد يوجد فى غير هذه النسخ(٢٧) ويستدل الأستاذ نولدكه على فارسية هذا الباب (باب ملك الجرذان) بأدلة منها :

١ ـ يخلو الباب تماما من الاعلام الهندية عدا الاسمين الذين تصدر بهما الأبواب جميعها وهما « دبشليم » الملك و « وبيدبا » الفيلسوف .

٢ ـ أن عبارة أرض البراهمة التى تتردد فى هذا الباب لا يمكن أن تكون واردة فى باب كتب بأرض الهند وانما يجب أن يكون قد كتب فى بلد آخر غيرها .

٣ ـ هناك عبارتان فى هذا الباب تشير الأولى منهما الى جريمة من الجرائم هى جريمة انتحار بدافع شعورى يقول نولدكه أنه يتفق كثيرا والدين الزرادشتى ولا يمكن أن يكون هذا الشعور الذى دفع الى الجريمة هنديا بحال ما .

---

(٢٥) انظر حديثنا عن الترجمة السريانية القديمة .
(٢٦) انظر حديثنا عن الترجمة اليونانية .
(٢٧) فالكونر ص ٣٤ .

وتشير العبارة الثانية الى خرافة قريبة الشبه جـدا بأخرى ذكرها البيرونى فى كتاب من كتبه(٢٨) كما يذهب بعض المستشرقين الى أن باب بعثة برزويه ترجمة بزرد جمهر بن البختكان لابد أن يكون من اضافة الفرس •

ويختلف الدكتور عبد اللطيف حمزة مع هـذا الرأى وعنده أن الباب من اضافة ابن المقفع وليس من اضافة الفرس ويتفق فى هـذا مع المؤرخ الاسلامى أبو ريحان البيرونى(٢٩) ونحن نجـد فى كتاب كليلة ودمنة آثارا فارسية نتيجة لاضافة هـذه الأبواب من جهة ولان الفرس حاولوا أن يدسوا بعض عقائدهم ومبادئهم فى هـذه القصص من جهة أخرى ولا ننسى أن ابن المقفع نفسه فارسى الأصل يعنيه فيما يعنيه نشر الثقافة والحضارة الفارسية من خلال كتاباته بل لا استبعد أن يكون الرجل قـد عمد عمدا الى دس بعض الآثار الثقافيـة الفارسية والتى لم تكن موجودة فى النسخة البهلوية لكتاب كليلة ودمنة وانمـا اضافها اضافة ليعرف بثقافة قـومه خاصة فى هـذا الكتاب الذى لا حرج عليه فى كل ما يجىء فيه لانه يجىء على ألسن الحيوانات ويستطيع الكاتب أن يجرى على ألسنتها ما لا يستطيع أن يجريه على ألسن الأشخاص الحقيقيين •

وقـد يقال أن من هـذه الآثار الفارسية ما يرتبط بالعقيدة الزرادشتية ويتنافى مع الاسلام ومبادئه فكيف يأتى بها ابن المقفع فى كتابه مـع منافاتها للاسلام وهل لا يتنافى هذا مع اسلامه أقـول أن كتاب كليلة ودمنة كان من باكورة انتاج ابن المقفع الأدبى وربما يكون قـد ترجمه قبل أن يعتنق الاسلام وأنه كان وقتئذ يؤمن بهـذه الأفكار المـانوية ومن جهة أخرى فان عرض المبادىء بطريقة موضوعية بأسلوب موضوعى لا يلزم معه اعتناقها بالضرورة فهل فعل ابن المقفع عـدا الاشارة الى هـذه المبادىء بأسلوب موضوعى دون التعصب لها ؟

تماما كما لو قام أحـد الباحثين المسلمين فى العصر الحـديث بتناول بعض المبادىء المسيحية أو اليهودية أو عرض بعض الأفكار المـاركسية بأسـلوب موضوعى فهل يتهم هـذا الكاتب باعتناق هـذه المبادىء بمجرد عرضه لها ؟

---

(٢٨) فالكونر ص ٣٨ •

(٢٩) ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة ص ١٩٧ •

ومن الآثار الفارسية فى الكتاب :

١ ـ النار فى باب البوم والغربان حيث يقول الغراب : وقد روى عن العلماء أنهم قالوا بأن من طابت نفسه فأحرقها فقد قرب لله أعظم قربان لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له فان رأى الملك أن يأمرنى فأحرق نفسى وأدعو ربى أن يحولنى بوما فأكون أشد عداوة وأقوى بأسا على الغربان لعلى انتقم منهم .

والأصل فى هذا النار الفارسية التى قال فيها الزرادشتيون بأنها من نفس طبقة (أوهرمزد) (اله الخير) الذى يعبدونه[٣٠] .

٢ ـ وقد ذكرت من قبل أن باب البوم والغربان ربما يكون هندى النشأة لانه يوجد بنفس العنوان فى كتاب البنجاتنترا وربما يكون الفرس دسوا هذه الفقرة فى ثنايا الباب ليصبغوا الكتاب بطابع عقيدتهم الزرادشتية .

٣ ـ يقول دمنة فى باب الفحص عن أمر دمنة : وانى نطقت بالحق وجئت بالثبت والحجة والأصل فى هذا ما جاء فى الحكم الفارسية : بأن الكريم عادل وهو يعلم أن الانذار بالعقوبة أو بتوقعها غير جائزين الا بعد التثبت من حدوث الجرم من الجانى . فهذا عين قول دمنة السابق .

٤ ـ فكرة الجبرية وهذه الفكرة لم تختص بها أمة دون أخرى ولا دين دون آخر وهى توجد فى الاسلام واليهودية وغيرها من الديانات كما سأوضح فيما بعد ولكنى سأقصر الحديث هنا عن الجبرية حسب ما عبر عنه الفكر الفارسى وتأثيره فى قصص كليلة ودمنة .

وقد جاء فى باب الأسد والثور (وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقدر الذى لا يدفع ، والقدر هو الذى يسلب الأسد قوته وشدته ويدخله القبر وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج وهو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها وهو الذى يجعل العاجز حازما ويثبط الشهم ويوسع على المقتر ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير من العلل التى وضعت عليها الاقدار) .

---

(٣٠) ايران فى عهد الساسانيين طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ط ١٩٥٧ ص ٤١٦ . ترجمة يحيى الخشاب .

وهذا عين ما جاء فى رسالة (دازستان مينوك خرد) (روح الحكمة والحكمة السماوية) أن الانسان رغم قــوته وسعة ذكائه وعلمه لا يستطيع مغالبة القــدر لان القــدر المحتوم حين يقــدر الخير والشر يعجز الحكيم عن العمل ويقــدر الشرير عليه وهــذا يجعل الشجاع جبانا والجبان مقــداما والعامل كســولا والكسول عاملا(٣١) .

٥ — ومن الآثار الفارسية فى كتاب كليلة ودمنة تلك الأسطورة التى تتصل برحلة برزويه الى الهند لاحضار كتاب كليلة ودمنة الى بلاد الفرس ونحن نقرأ فى الشاهنامة الفارسية للفردوسى تحت عنوان (ارسال برزويه للهند لجلب العشب العجيب واحضار برزوية كتاب كليلة ودمنة)(٣٢) أسطورة بهــذا المعنى عينه وفيها أن برزويه كان من أشرف أطباء الفرس وأكثرهم دراسة للكتب فقرأ فى بعضها أن ببلاد الهند جبالا فيها من غرائب العقاقير ما يحيى الموتى فما زال ذلك يدور فى رأسه ويسمو بهمته الى تطلبه وتحصيله حتى أخبر أنو شروان بمــا فى نفسه وأستأذنه للنهوض والسعى والظفر ببغيته فاذن له وأعانه على ســـــفرته وزوده من الكتابة الى ملك الهند ما يكون سببا فى انجاحه واستقلت به الركاب الى واسطة الهند فلما دخلها وأوصل كتاب أنو شروان الى ملكها اكرمه وحكمه فى مناه وانهضه اساعته فى تطلب العقاقير فى مظانها فما زال يجــد ويجتهد ويتعب ويداب فى اجتنائها وتأليفها وتركيبها حتى كان مثله بعــد حين من الدهر كما يقول عامة بغداد : « ما زلنا فى لا شىء حتى فرغنا » .

واستشعر الكآبة والانخــذال لمــا فاته من مراده وضاع من أيامه وتصور الخجل من صاحبه اذا عــاد مخفقا الى حضرته فسأل عن أطب الأطبــاء وأحكم الحكماء بأرض الهند فدل على شيخ عالى السن فاتاه وقص عليه قصته وذكر له ما قرأه فى بعض الكتب من حديث رجال الهند واشتمالها من العقاقير على ما يحيى الموتى فقال له يا برزويه حفظت شيئا وغابت عنك أشياء أما علمت أن ذلك رمز

---

(٣١) ايران فى عهد الساسانيين ص ٤٢٠ .

(٣٢) انظر كتاب الشاهنشاه الجزء الثانى ص ١٥٤ ، ١٥٥ ط دار الكتب المصرية . عبد الوهاب عزام .

القدماء والمراد بالجبال العلماء وبالعقاقير كلامهم الشافى وبالموتى الجهال ويعنون أن العلماء يؤدبون الجهال بحكمهم فكأنهم يحيون الموتى وهـذه الحكم محصورة فى كتاب مترجم بكليلة ودمنة ليس يوجـد الا فى خزانة الملك(٣٣) •

وذكر الشاهنامة للأسطورة يدل على أنها فارسية بالاضافة الى انها تتردد فى الأساطير الفارسية ممـا يرجح أنها فارسية وأن ابن المقفع تأثر بهـا فى أسطورته التى يرويها حـول برزويه لجلب كتاب كليلة ودمنة من الهند الى بلاد فارس بل ان الأسطورة بنصها كما جاءت فى الشاهنامة مذكورة فى نسخة عربية مخطوطة لكتاب كليلة ودمنة عثر عليها ده ساسى(٣٤) •

٦ ــ ويرى نولدكه أن من الآثار الفارسية فى باب برزوية المتطبب تلك الفقرات التى تدور حول طبيعة الأديان والتى تأثر فيها ابن المقفع على ما ذهب نولدكه بتلك الأسطورة التى لا نجـد لها ذكرا الا فى شاهنامة الفردوسى أيضـا وخلاصة هـذه الأسطورة أنه : كان فى الهند ملك اسمه (كايد) رأى فيما يرى النائم كأن أربعة من الرجال يشدون بينهم قطعة لطيفة من القماش كل الى الجهة التى هـو فيها وذلك دون أن يقصد الجميع الى الضرر بهـذه القطعة فلمـا أصبح دعى بحكيم من حكماء الهند اسمه (مهران) فقال له فى تعبير هـذه الرؤيا أعلم أن القطعـة من القماش هى الدين السماوى وان هـؤلاء الأربعة الذين يشدونها بينهم قـد أتوا لحفظها وهم يمثلون ديانات أربع فواحـدة منها هى ديانة الدهاقين أو عبدة النار ــ وهى الديانة المجـوسية والثانية وهى ديانة موسى ــ وهى الديانة التى لا يرى اتباعها دينا يفضلها أو يستحق أن يكون له وجـود معها والثالثة ديانة اليونان ــ التى يعتنقها أهـل النسك والعبادة والتى تشعر قلوب الأمراء بالانصاف والعـدالة ــ ويقصد بها المسيحية •

وأما الديانة الرابعة فتلك العقيدة النقية التى يعتنقها العرب والتى ترى أن لكل مجتهد نصيبا من الأجر وهؤلاء الأربعة قـد أتوا لحفظ الدين السماوى يحاول كل منهم أن يجعل الدين الى جانبـه ومن ثم أصـبحوا أعـداء بعضهم لبعض(٣٥) •

---

(٣٣) انظر اخبار ملوك الفرس ص ٦٢٩ بالطبعة الأوربية نقلا عن ابن المقفع د٠ عبد اللطيف حمزة ص ١٩٣ ، ١٩٤ ٠

(٣٤) ابن المقفع عبد اللطيف حمزة ص ١٩٥ ٠

ويرفض عبد اللطيف حمزة أن تكون هـذه الأسطورة المصدر الذى استقى منه ابن المقفع ما ذكره عن طبيعة الأديان فى باب برزوية ويرد على رأى نولدكة المتقدم بقوله : وهل من الضرورى له ــ لابن المقفع ــ لكى يكتب هـذه الفقرات المتعلقة بالأديان فى باب برزوية أن يكون له علم بهـذه الأسطورة(٣٦) ؟

أما أنا فأرى أنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون ابن المقفع قـد تأثر بهذه الأسطورة على نحو ما ذهب نولدكه فقـد وردت الأسطورة فى الشاه نامة وهى قصة الفرس الخالدة وورودها فى الشاه نامة يدل على أنها كانت شائعة عنـد الفرس يرددونها ويتناقلونها كما يرددون ويتناقلون أساطيرهم الشعبية الأخرى بصفة عامة ثم ان ابن المقفع قـد تأثر بهـا كما تأثر بغـيرها من الأسـاطير الفارسـية ٠

ومع هـذا فاننا لا نختلف مع أستاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة فيما ذهب اليه من أنه ليس من الضرورى لكى يكتب ابن المقفع هـذه الفقرات المتعلقـة بالأديان فى باب برزويه أن يكون له علم بالأسطورة فربما كتبها دون أن يرجـع الى هـذه الأسطورة التى يشير اليها نولدكة فكلا الأمرين جائز ونحن فى هـذا البحث نحاول أن نضع أيدينا على المصادر التى يحتمل أن تكون المنابع التى استقى منها ابن المقفع خرافاته دون أن نقطع بذلك لعـدم توافر الأدلة العلمية التى تجعلنا نطلق مثل هـذه الأحكام العامة فى كثير من الأحيان وكل ما نستطيع أن نقـدمه فى معظم الحالات لا يعـدو أن يكون مجرد افتراضات وترجيحات علمية دون قطع ٠

ونحن نرجح أن يكون ابن المقفع قـد تأثر بالأسطورة لمـا ذكرناه من تبريرات ولكننا لا نقطع بذلك بل نظل نحتمل كذلك أن يكون ابن المقفع لم يتأثر بهـذه الأسطورة وان كان هـذا احتمالا ضعيفا ٠

ومما يتصل بما ذكرناه من محاولات ارجاع الكتاب الى أصوله الهندية السنسكريتية وأصوله البهلوية الفارسية ما ذكره الباحثون عن اشتقاقات بعض الكلمات فى كتاب كليلة ودمنة ترجع الى أصول هندية وقـد حملت بعض ملامح

---

(٣٥) ابن المقفع ــ عبد اللطيف حمزة ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ٠
(٣٦) السـابق ص ٢٠٦ ٠

اللغة الفارسية أثناء انتقالها من موطنها الأول فى بلاد الهند عبر بلاد فارس وحتى وصلت الى اللغة العربية على يد ابن المقفع مثل (كليلة ودمنة وشتربه) فوصلوا الى أنها كلمات هندية لا فارسية وعرفوا أنها محرفة من الكلمــات (دمنــاكا) و (كاراتاكا) و (شترباكا) فى الأصــل الهنــدى والأمر يسير فى الكلمتين دمنة وشتربة فان الهاء التى فى نهايتيهما قــد حلت محل الكاف فى الأصل الهندى لهما وهــو دمنك وشترباك •

ولكن كيف نفهم أن لفظ كليلة فى النطق العربى مأخــوذ من كاراتاكا فى النطق الهندى ؟ والأمر فى هــذه الكلمة الأخيرة يسير أيضا فمن الباحثين من يرى أنه ليس هناك ما يمنعنا أولا من القول بأن لفظ كليلة فى النطق العربى كان أصله كلالاك فى النطق البهلوى ثم انقلبت الكاف فى آخر هذه الكلمة الى هاء كما حــدث فى دمنة وشتربه ومن ثم رأينا كلمة كلالاه فى انطق الفارسى تتحول الى كليلة فى النطق العربى •

ولكن الأصل الهندى هو كراتاك وليس كلالاك هنا يلاحظ الباحثون أن اللام فى اللفظ البهلوى غالبا ما تكون منقلبة عن راء فى اللفظ الهندى فقــد وجــد فى المخطوطات القــديمة أنهم يقولون (ايلان ايلانيين فى ايران ايرانيين) •

واذن فليس هناك ما يمنع من القول بـن لفظ كلالاك فى البهلوية كان أصله كاراراك فى الهندية •

ولكننا نقول فى المرة الثالثة أن اللفظ الهندى للكلمة هــو كاراتاك وليس كاراراك وهنا يذكر الباحثون أن الهنود يكتبون كاراتاكا بتاء ولكنهم ينطقونهــا كاراراكا براء •

وتلك اذن جميع الأطــوار التى خضعت لها كلمة كاراتاكا فى النطق الهندى حتى صارت كليلة فى النطق العربى(٣٧) •

---

(٣٧) ابن المقفع : عبد اللطيف حمزة ص ١٨٦ ، ١٨٧ •

ثالثا : المنابع العربية والاسلامية

(أ) المنـــابع العربيـــة :

يمكن ارجاع العــديد من حــكايات كليلة ودمنة الى خرافات الجــاهليين وأمثالهم التى جرت على لسان الحيوان ومن هــذه الخرافات :

١ ــ الحمــامة المطــوقة :

وهــذه ترجع فى أصــلها الى التوراة وسأورد قصتها فى صــدر حــديثى عن المنابع اليهودية(٣٨) •

وقــد عرف الجاهليون هــذه الحمامة ورددوها شعرا طريفا قال فيــه أمية بن أبى الصلت وكان على علم باليهودية :

وأرســلت الحمــامة بعــد سـبع ... تــدل على المهــالك لا تهــاب
تلمس هــل ترى فى الأرض عينــا ... وغايته من المــاء العبــاب
فجــاءت بعــد ما ركضت بقطــف ... عليه الثاط(٣٩) والطين الكباب(٤٠)
فلما فرشــوا الآيات(٤١) صاغــوا ... لهــا طرقا كما عقــد السخاب
اذا ماتت تورثه بنيهــــا ... وان تقتل فليس لهــا استلاب

ويتردد ذكر الحمامة فى الأمثال الجاهلية كقولهم (يتقلدها طــوق الحمامة) (وأمن من حمام الحرم) و (آلف من حمام مكة)(٤٢) •

---

(٣٨) انظر حــديثنا عن الحمامة المطوقة فى المنابع اليهودية ص •
(٣٩) الثــاط : الطــين •
(٤٠) الكباب : اللازب •
(٤١) فرشــوا : أدركــوا •
(٤٢) حياة الحيوان الكبرى ــ ج ١ ص ٣٣٤ ومجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٥٧ ، ٨٩ ، ٢٦٥ و ج ٢ ص ٣٢٥ •

ولا شك أن ابن المقفع قــد اطلع على هــذا كله وتأثر به ولكنه لم يكن المصــدر الوحيد الذى استمد منه قصته عن الحمامة المطوقة فالمرجح عندى أنه استمدها من نظيرتها فى البنجاتنترا ولكن ربما يكون شعر أمية بن أبى الصلت وأقوال الجاهليين هــو الذى لفت انتباهه الى هــذه الحمامة العجيبة فراح يفتش عنها الى أن عثر عليها فى البنجاتنترا وربما كانت قصة البنجا قــد تأثرت من قبل بحمامة التوراة المشار اليها آنفا ٠

٢ ــ مكر الثعلب بالأســد :

ومن العناصر العربية فى حكايات كليلة ودمنة الثعلب المــاكر المحتال الذى يضمر للأســد الشر والبغض وفى الخرافات الجاهلية نجــد صورا متنوعة لمكر الثعلب بالأســد واختلاسه الفرصة للايقاع به والتخلص منه ٠

وتروى لنا العــديد من الخرافات العربية كيف يحتال الثعلب على الأســد ويستخدمه فى تحقيق رغباته فى التخلص من عدوه أو منافسه يشجعه على ذلك ما يتميز به الثعلب من مكر ودهاء وغش وذكاء وما يتصف به الأســد من حماقة وتهور واندفاع ومن الأمثلة على ذلك تلك القصــة الطريفة التى تروى لنــا أنه مرض الأســد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأســد : اذا حضر فأعلمنى فلما حضر أعلمه فعاتبه فى ذلك فقال : أننى كنت فى طلب الدواء لك فقــال : فأى شىء أحضرت قال خرزة فى ســاق الذئب ينبغى أن تخرج فضرب الأســد بمخالبه فى ســاق الذئب وانسل الثعلب فمر به الذئب بعــد ذلك ودمه يسيل فقال له الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر اذا قعــدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك وقــد قيل فى ذلك :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   ان البــلاء موكل بالمنطــــق(٤٣)

فقــد دفــع الثعلب بالأســد لينتقم من الذئب كى يتخلص من منافسته وتقربه من حضرة الملك وهــذا هــو نفس الدور الذى لعبه دمنة حيث دفــع الأســد ليقضى على الثور فيتخلص بذلك من منافسته وتقربه من بلاط الملك ٠

---

(٤٣) حياة الحيــوان الكبرى للدميرى ص ٢٢٦ ج ١ مصطفى البــابى الحلبى سنة ١٩٥٦ ٠

وتروى لنا خرافة جاهلية أخرى أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين لصبين فأراد أن يغتال به الأســد فأتاه ذات يوم فقال : يا أبا الحارث الغنيمة الباردة شحمة رأيتها بين لصبين فكرهت أن أدنو منها وأحببت أن تتولى ذلك أنت فهلم لأريها لك قال فانطلق به حتى قام به عليه فقال : دونك يا أبا الحارث فذهب الأســد ليدخــل فضاق به المكان فقال له الثعلب : ادرس برأسك أى ادفع برأسك حتى نشب فلم يقــدر أن يتقــدم ولا أن يتأخر ثم أقبل الثعلب يخــوره أى يخــدش خــورانة من قبل دبره •

فقال الأســد : ما تصنع يا ثعــالة ؟ قال : أريد لاستنقذك قال : فمــن قبل الرأس اذن فقال الثعلب : لا أحب تخــديش وجه الصاحب(٤٤) •

وفى كليلة ودمنة يحول الثعلب بين الأســد وشفائه فيأكل اذنى الحمار وقلبه حتى لا يتحقق للأســد الشفاء ويبقى عليلا عاجزا فيتخلص الثعلب من سلطانه وجبروته وتسلطه على سائر السباع والوحوش •

والمسألة أن الأســد يتميز بالقــوة والعنف وأن الثعلب يتميز بالذكاء والعقل وحسن التدبير وان الذكاء والتفكير يتغلبان على القوة والعنف وها هــو دمنة يستطيع بذكائه ادراك حقيقة الأسد وأنه ضعيف الرأى فيقول : أريد أن أتعرض للأســد عند هــذه الفرصة فان الأســد ضعيف الرأى ولعلى على هــذه الحال أدنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة قال كليلة وما يدريك أن الأســد قــد التبس عليه أمره ؟ قال دمنة : بالحس والرأى أعــدم ذلك منه فان الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من دله وشكله(٤٥) •

فالأســد ضعيف الرأى وقــد التبست عليه الأمور بعكس الثعلب فهو ذكى فطن يميز بين الأمور بالحس والرأى ومن السهل اذن أن يخــدع الأســد وان يدبر له دمنة الخبيث ما دبره وأن يستخدمه لتحقيق رغباته الدنيئة •

---

(٤٤) مجمع الأمثال للميدانى ص ٢٤٠ ط السنة المحمدية الجزء الثانى •
(٤٥) كليلة ودمنة باب الأســد والثور ١٠

٣ ــ وفـــاء الكلب :

ومن الآثار العربية فى كليلة ودمنة تلك الصورة التى يرسمها ابن المقفع للكلب ووفائه وقيامه على الحراسة حيث يقول : زعموا أن ناسكا من النســاك كان بأرض جرجان وكانت امرأة جميلة فمكثا زمنا لم يرزقا ولدا ثم حملت منه بعــد اليأس فسرت المرأة وسر الناسك ثم أن المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه وبعــد أيام حان لها أن تتطهر فقالت المرأة للناسك : اقعــد عند ابنك حتى أذهب الى الحمام فأغتسل وأعود ثم أنها انطلقت الى الحمام وخلفت زوجهــا والغلام فلم يلبث أن جاءه رسول الملك ليستدعيه ولم يجــد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قــد رباه صغيرا فهو عنده عــديل ولده فتركه الناسك عند الصبى وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليهــا فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهــو مذعور طار عقــله وظن أنه قــد خنق ولده ولم يتثبت فى أمره ولم يترو حتى يعلم حقيقة الحــال ويعمل من غير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت فى يده على أم رأسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده أسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله فى العجلة لطم على رأسه وقال : ليتنى لم أرزق هــذا الولد ولم أغــدر هــذا الغــدر(٤٦) •

وربما يكون ابن المقفع قــد تأثر فى هــذه القصة بكلب الجاهليين الذى أجروا العــديد من الخرافات والأمثال على لسانه مثل قولهم (احرص من كلب ومن خشى الذئب أعــد له كلبا) وقــد ورد ذكر الكلب فى أمثال الميدانى فى أكثر من ستة عشر موضعا(٤٧) وذلك أقصى حــد يصل اليه حيوان فى أمثاله وما هذا الا انعكاس لارتباط الجاهليين بالكلب ارتباطا قــويا دعت اليه الظروف البيئية التى كانوا يعيشون فيها والحاجة الملحة الى الكلب للحراسة والصيد •

---

(٤٦) انظر باب الناسك وابن عرس •

(٤٧) راجع مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٢٣٨ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ٧٣ ، ٢٣٢ ، حـ ٢ ، ٣٢ ، ٨٨ ، ٢٩٨ ، ٢٣٦ ، ٣٤٣ •

٤ ــ ومن الآثار العربية الواضحة فى حكايات كليلة ودمنة :

تلك القصة التى يرويها لنا ابن المقفع عن الغراب فيقول :

زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشى فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقــدر على احكامها وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التى كان عليها فاذا هو قــد اختلط وتخلع فى مشيته وصار أقبــح الطــير منشــيا (٤٨) ٠

وقبــل ابن المقفع قال الجاهليون (ذهب الغراب يتعلم مشية العصفور فلم يتعلمها ونسى مشيته ولذلك صار يحجل ولا يقفز قفزات العصفور)(٤٩) ٠

وكما ردد الجاهليون قصة الحمامة مع نوح فقــد تناولوا أيضا دور الغراب فى هــذه القصة ولعنة نوح له عندما أرسله ليرى هل قلت المياه عن ظهر الأرض فوجــد جيفة وحط عليها ونسى رسالة نوح ولم يعــد اليه ثانية فقالوا :

ومن يكن الغراب له دليــــلا يمــر به على جيف الكلاب(٥٠)

٥ ــ الحيــة وســلطانها :

ومن الآثار العربية الحية فى قصة السائح والصائغ فى كليلة ودمنة وهــذه الحية تقوم بدور خطير يترتب عليه حياة ويترتب عليه موت فهى تنقــذ السائح وقــد وشى به الصائغ عند الملك واتهمه بسرقة حلى ابنته وأمر الملك أن يعــذب السائح ويصلب وهنا تذهب الحية الى ابن الملك وتلدغه ثم جعلت شفاءه على يد السائح دون غيره حيث أعطته شجرة تشفى من سمها وطلبت منه أن يرقى الغلام ويسقيه من الشجرة فيبرأ الغــلام ويقف الملك على الحقيقة فيعاقب الصــائغ جزاء جرمه ٠

---

(٤٨) انظر باب الناسك والضيف ٠

(٤٩) الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٣٢٥ ٠

(٥٠) الســابق ج ٢ ص ٩٨ ٠

وأرى أن هـذه الحية مستوحاة من حية الجاهليين التى قالوا على لسانها (كيف اعاودك وهـذا أثر فاسك) وتروى قصتها ان أخـوين كانا فى أبل لهما فأجـدبتبلادهما و كان بالقرب منهما واد خصيب وفيـه حيـة تحميـه من كل أحـد فقال أحـدهما للآخر : يا فلان لو انى أتيت هـذا الوادى الملىء فرعيت فيه أبلى وأصلحتها فقال له : أخـوه انى أخاف عليك الحية الا ترى أن أحـدا لا يهبط ذلك الوادى الا أهلكته قال : فـو الله لأفعلن ، فهبط الوادى ورعى به ابله زمنا ثم أن الحيـة نهشته فقتلته فقال أخـوه : والله ما فى الحياة بعد أخى خير فلأطلبن الحيـة ولأقتلنها أولأتبعن أخى فهبط ذلك الوادى وطلب الحيـة ليقتلها فقالت الحية له : ألست ترى انى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فأدعك بهـذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت قال : أو فاعلة أنت قالت : نعم قال : انى أفعل فحلف لهـا وأعطاها المواثيـق لا يضرها وجعلت تعطيه كل يوم دينارا فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ثم انه تذكر أخاه فقال : كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر الى قاتل أخى فعمد الى فأس فأخـذها ثم قعـد لهـا فمرت به فتبعها فضربها فأخطاها ودخلت الجحر ووقعت الفأس بالجبل فـوق جحرها فأثرت فيه فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار فخاف الرجل شرها وندم فقال لها : هل لك فى أن نتواثق ونعود الى ما كنا عليـه ؟ فقالت : كيف أعاودك وهـذا أثر فاسك(٥١) .

أليست الحية فى القصتين رمزا للقـوة الهائلة الخارقة للعادة وهى تهب الأمن والطمأنينة كما فعلت مع السائح ومع الأخ الثانى عندما سالمها فأمنته ووهبته الكنز الذى لا يفنى والذى كان يتمثل فى الدينار اليومى وفى حـق رعى ابله فى أرضها .

أليست فى القصتين تقوم بدور المـانحة التى تهب شيئا خارقا أو عجيبـا فيكون سببا فى الهناءة والسعادة ؟

وبالجملة كانت الحية فى القصتين مخلوقا عجيبا ذا قـوة خارقة .

---

(٥١) مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ط السنة المحمدية .

٦ ـ طائر الطيطوى :

يقرن ابن المقفع ذكر طائر الطيطوى بصورة شؤوم تتسم بالفناء والخراب حيث يقول على لسان دمنة (زعموا أن طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان أفراخها قالت الانثى للذكر : لو التمسنا مكانا حريزا غير هـذا نفرخ فيـه فانى أخاف من البحر اذا مد المـاء أن يذهب بفراخنا فقال لها : ما أراه يحمل علينا فان وكيل البحر يخافنى أن أنتقم منه فأفرخى فى مكانك فانه موافق لنا والمـاء والزهر منا قريب قالت له : يا غافـل ما أشـد عنادك وتصلبك أما تذكر وعيده وتهـديده اياك ؟ الا تعرف نفسك وقدرك فى وعيد من لا طاقة لك به ؟ فلما مد المـاء دنا وكيل البحر فذهب بفراخهما فقالت الانثى : قـد عرفت فى بادىء الأمر أن هـذا لكائن وما أصابنا انما هـو بتفريطك قال الذكر : قـد قلت ما قلت وأنا على قولى)(٥٢) •

وربما يكون المصـدر لهـذا الطيطوى ما رواه كعب الاحبار : (مر سليمان عليه السلام على بلبل فوق شجرة يحرك ذنبه ورأسه فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول هـذا البلبل ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء • ومر بهدهد فأخبر أنه يقول : اذا نزل القضاء عمى البصر وفى رواية كعب أنه يقول : من لا يرحم لا يرحم والفاتحة تقول : يا ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لم خلقوا وليتهم اذ علموا لمـاذا خلقوا عملوا بما علموا والصرد يقول. سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه والسرطان يقول: استغفروا الله يا مذنبين وصاح الطيطوى عنده فأخبر أنه يقول : كل حى ميت وكل جـديد بال وقال : أن الخطاف يقول : قـدموا خيرا تجـدوه عند الله)(٥٣) •

ويقترن طائر الطيطوى هنا وهناك بالخراب والفناء • وربما يكون اختيار ابن المقفع لهـذا الطـائر بالذات كى يقوم بدور الخراب والفنـاء ما يرجـح اقتباس الصورة من طائر الطيطوى الذى ذكره كعب الاحبار فى روايته المشار اليهـا آنفـا •

---

(٥٢) باب الأسـد والثـور •

(٥٣) حياة الحيوان الكبرى للدميرى ج ٢ ص ١٠١ ط دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان •

٧ ــ حرب البــوم والغربان :

ومن الآثار العربية فى كليلة ودمنة ما جاء فى باب البــوم والغربان من عداء مستحكم بين هؤلاء وهؤلاء منذ أقدم العصور وسبب هذا العداء كلمة نطق بها غراب أحمق ويجمع ملك الغربان رجال الحاشية ويستشيرهم فى الأمر فيدلى كل برأى خاص لا يحوز اعجاب الملك •

وأخيرا يطلب أحــدهم من الملك أن ينقره فى رأسه وينتف ريشه ثم يطرح به فى طريق ملك البــوم وفعل الملك بعــد تردد ما طلبه الغراب منه وبينما كان ملك البوم يمر رأى الغراب على هــذه الصورة فسأله عما فعل به هــذا فأجابه : ان ملك الغربان هــو الذى نقره ونتف ريشه لانه كان يمدح البــوم فى حضرته فغضب عليه وعاقبه والقى به فى الطريق هكذا ويكرم ملك البــوم الغراب ويقربه اليه ويتمكن الغراب من الاطلاع على أسرار البوم وينقلها الى قومه فيدبر الغربان خطة محكمة تمكنهم من الانتصار على البــوم فى النهاية مستعينين بتلك المعلومات التى أمدهم بها الغراب المشوه •

وربما يكون الأصل فى هــذا قصة عربية تدور حول جــذيمة الأبرش والذباء ويروى لنا الميدانى هذه القصة فيقول : كان جــذيمة ملك ما على شاطىء الفرات وكانت الذباء ملكة الجزيرة وكانت من آهــل باجرمى وتتكلم بالعربية •

وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها فلما استجمع أمرها وانتظم شمل ملكها أحبت أن تغزو جذيمة ثم رأت أن تكتب اليه أنها لم تجــد ملك النساء الا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان وانها لم تجــد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فأقبل الى لأجمع مالى الى ملكك وأصل بلادى ببــلادك وتقلد أمرى مع أمرك تريد بذلك الغــدر فلما أتى كتابها جذيمة وقــدم عليه رسولها استخفه ما دعته اليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع أهل الحجا والرأى من ثقاته وهــو يومئذ ببقة من شاطىء الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على أن يسير اليها فيستولى على ملكها وكان فيهم قصير وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما أشاروا به وقال (رأى فاتر وغــدر حاضر) فذهبت كلمتــه مثلا ثم قال لجذيمة : الرأى أن تكتب اليها فان كانت صادقة فى قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع فى حيلتها وقد وترتها وقتلت أباها • فلم يوافق

جـــذيمة ما أشار به فقال قصير :

انى أمرؤ لا يميــل العجز ترويتى اذا أتت دون شيء مرة الوذم

فقال جذيمة : لا ولكنك أمرؤ (رأيك فى الركن لا فى الضح) فذهبت كلمته مثلا ودعى جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجعه على السير وقال : ان قومى مع الذباء ولو قـــد راوك صاروا معك فأحب جذيمة ما قاله وعصى قصيرا فقال قصير : (لا يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلا — واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبد الجن معه على حنوده وخيوله وسار جذيمة فى وجهه أصحابه فأخـــذ على شاطىء الفرات من الجانب الغربى فلمـــا نزل دعى قصيرا فقال : ما الرأى يا قصير • فقال قصير : (ببقة خلفت الرأى) فذهبت مثلا — قال : وما ظنك بالذباء ؟

قال : (القول رداف والحزم عثراته تخاف) فذهبت مثلا • واستقبله رسول الذباء بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : (خطب يسير فى خطب كبير) فذهبت مثلا — وستلقاك الجيوش فان صارت أمامك فالمرأة صادقة وأن أخـــذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون فأركب العصا فانه لا يشق غباره فذهبت مثلا — وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى وانى راكبها ومسايرك عليها فلقيته الخيول والركائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليـــه جذيمة على متن العصا موليا فقال : (ويل أمة حزما على متن العصا) فذهبت مثلا — وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب : (خير ما جاءت به العصا) فذهبت مثلا — وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الذباء فلما رأته تكشفت فاذا هى مضفورة الأسب فقالت : (يا جذيمة آداب عروس ترى) ؟ فذهبت مثلا — فقال جذيمة : (بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى) فذهبت مثلا — ودعت بالسيف والنطع ثم قالت ان دماء الملوك شفاء من الكلب فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت الخمر منه مأخـــذها فأمرت براهشيه فقطـــعا وقـــدمت اليه الطست وقـــد قيل لها أن قطر من دمه شيء فى غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الاعناق الا فى القتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه فى غير الطست فقالت :

لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة : (دعوا دما ضيعه أهله) فذهبت مثلا، فهلك جذيمة وجعلت الذباء دمه فى ربعة لهـا وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدى وهـو بالحيرة فقال له قصير : أثائر أنت ؟ قال (بل ثائر سائر) فذهبت مثلا، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة مع عمر بن عـدى اللخمى وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمى فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عـدى فقال قصير لعمر بن عدى : تهيأ واستعد ولا تطيلن تطلب دم خالك قال : (وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو) ؟ فذهبت مثلا .

وكانت الذباء سـألت كاهنـة لهـا عن هـلاكها فقـالت : أرى هـلاكك بسبب غلام مهين غير أمين وهـو عمرو بن عـدى ولن تموتى بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك فحـذرت عمرا واتخـذت لها نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه الى حصن لها فى داخل مدينتها وقالت:أن فاجانى أمر دخلت النفق الى حصنى ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا وأحسنهم عمـلا فجهزته وأحسنت اليه وقالت : سر حتى تقدم على عمرو بن عـدى متنكرا فتخلو بحشمه وتتضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ثم ائت الى عمرو بن عـدى معرفة فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه فاذا أحكمت ذلك فأقبل الى فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عـدى وصنع الذى أمرته به الذباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع الى الذباء بعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عـدى فلا تراه على حال الا عرفته وحـذرته وقلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عـدى : اجـدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت اذلك مستحقا عندى ، فقال قصير خل عنى اذن وخلاك ذم ، فذهب مثلا فقال له عمرو : فأنت أبصر ، فجدع قصير أنفه ، وآثر آثارا بظهره ، فقالت العرب : « لمكر ما جدع قصير أنفه » وفى ذلك يقول المتلمس :

وفى طلب الأوتار ماضرا أنفـه قصير ورام الموت بالسيف بيهى

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر أن عمرا فعل ذلك به وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الذباء فسار قصير حتى قـدم على الذباء فقيل لهـا ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا أنفه قـد جـدع وظهره قـد ضرب فقالت : ما الذى بك يا قصير ؟ ؟

قال : زعم عمرو أنى قد غررت خاله وزينت له المسير اليك وغششته ومالأتك ففعل بى ما ترين فأقبلت اليك وعرفت انى لا أكون مع أحـد هـو أثقـل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ما أرادت فلما عرف أنها استرسلت اليه ووثقت به قال : ان لى بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثينى الى العراق لاحمل مالى وأحمل اليك من بذوذها وطرائفها وثيابها وطيبها وتصيبين فى ذلك أرباحا عظاما وبعض ما لا غنى بالملوك عنه وكان أكثر ما يطرفها من التمر الصرفان وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك لها حتى أذنت له ودفعت اليـه أموالا وجهزت معه عبيدا فسار قصير بما دفعت اليه حتى قـدم العراق واتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو فأخبره الخبر وقال : جهزنى بصنوف البذ والأمتعـة لعل الله يمكن من الذباء فتصيب ثأرك وتقتل عـدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك الى الذباء فأعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقـة وجهزته ثانية فسار حتى قـدم على عمرو فجهزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لى ثقـاة أصحابك وهىء الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين فـاذا دخلوا مدينة الذباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهـل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الذباء تريد النفق جللتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهـار ويسير الليل فلما صار قريبا من مدينتها تقـدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء من المتاع والطرائف وقال لها : (آخر البذ على القلوص) فارسلها مثلا . وسألها أن تخرج فتنظر الى ما جاء به وقال لها (جئت بما صاء وصمت) فذهبت مثلا . ثم خرجت الذباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها فقالت يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حـديدا .

أم صرفانا تأرزا شـديدا

فقال قصير فى نفسه :

بل الرجال قبضا قعودا

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت خاصرة الرجل الذى فيها فضرط فقـال

البواب بالرومية (بشمنب ساقا) يقول : (شر فى الجوالق) فأرسلها مثلا • فلما توسطت الابل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذى كانت الذباء تدخله وأرته أياه قبل ذلك وخرج الرجال من الغرائر فصاحوا بأهـل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفـق وأقبلت الذباء تريد النفـق فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة التى صورت لها فمصت خاتمها وكان فيه السم وقالت (بيدى لا بيد ابن عدى) فذهبت كلمتها مثلا • وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأنكفأ راجعا الى العراق(٥٤) •

ونقاط الالتقاء بين القصتين تتمثل فى التغلب على العدو بحيلة ذكية محكمة يدبرها شخص معين ، وهـذا الشخص يضحى من أجل الجماعة وهـو يحتمل التشويه أو العاهة المستديمة فى جسده من أجل اتقان الخطة ، ثم هـو يتمكن بواسطة خطته المحكمة من الاطلاع على أسرار العـدو وابلاغها الى قـومه فيتمكنون من الانتصار بعـد اكتشاف هـذه الأسرار •

فهل اقتبس ابن المقفع قصته من قصة الذباء مع جذيمة الابرش العربية بعـد أن أجرى القصة على لسان الحيوان وبعـد أن أدخل عليها بعض التغيير والتعـديل ؟ وكان ابن المقفع شغوفا بالأدب العربى ولابد انه اطلع على هـذه القصة العربية وليس من المستبعد أن يكون قـد تأثر بها •

ولكن القصة مذكورة فى كتاب البنجاتنترا بنفس العنوان مما يرجح أن يكون ابن المقفع قـد ترجمها من البنجاتنترا وربما يرجع هـذا التشابه بين قصـة البنجاتنترا وقصة الذباء مع جذيمة الابرش الى ما لاحظه الباحثون من تشابه دقيق بين أساطير الشعوب المختلفة فى سائر أنحاء المعمورة •

وربما كانت الفكرة فى أصلها فكرة عامة تدور حول التغلب على العـدو عن طريق الخـدعة وهـذه الفكرة العامة قـد عرفت لدى الشعوب المختلفـة فصاغها الهنود فى صورة هـذه القصة التى تدور حـول البـوم والغربان وجعلها العرب فى صورة هـذه القصة التى تدور حول الذباء وجذيمة الابرش وربما كانت القصة قـد نشأت أول الأمر عند الهنود ثم هاجرت من عندهم الى بلاد العرب وربما كان العكس •

---

(٥٤) مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٢٤٣ .

أما ابن المقفع فمن المرجح ــ بل أكاد أجزم ــ أنه قد اطلع على قصة الذباء وجذيمة الابرش فمن المستبعد حقا أن يجهل أديب نابغة كابن المقفع مثل هــذه القصة الشهيرة وأنه قــد عرف قصة البنجاتنترا أيضا وتأثر فيما أرى بالقصتين معا فنحن واجــدون فى قصة ابن المقفع البوم والغربان الطابع العام الذى يصبغ أبواب البنجاتنترا الأخرى وهــو طابع الاستطراد من حكاية الى حكاية وابتداء القصة بالتساؤل والاستفهام وأرى كذلك فيها الطابع العام الذى يصبغ قصة الذباء وجذيمة الابرش والذى يتمثل فى المشاورات التى يعقــدها الملك مــع مستشاريه والخطة المحكمة التى تمكن من الانتصار على العــدو فى النهاية •

٨ ــ قصــة الأرنب والصفرد :

ومن الآثار العربية فى كتاب كليلة ودمنة قصة الأرنب والصفرد(٥٥) وتحكى أن الصفرد خاصم الأرنب لاحتلالها جحره فاحتكما الى السنور الذى وفق بينهما بالتهامهما معــا •

وربما يكون أصل هــذه القصــة تلك الخرافة الجاهليــة التى تروي أن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الأرنب : يا أبا الحسل • فقال : سميعا دعوت • قالت : أتيناك لنختصم اليك • فقال : عادلا حكمتما قالت : فأخرج الينا فقال : فى بيته يؤتى الحكم قالت : انى وجــدت ثمرة • قال : حلوة فكليها قالت : فاختلسها الثعلب • قال : لنفسه بغى الخير قالت : فلطمته قال : بحقك أخــذت قالت : فلطمنى قال : حرا انتصر قالت : فاقض بيننا • قال : قــد قضيت(٥٦) •

وهــذه القصة جاهلية فيما نرجح فقــد رأيتها عند الميدانى غير منسوبة الى عصر معين ولكن رواية الميدانى لهــا توحى بأنها جاهلية اذ أنه قــدم لهــا

---

(٥٥) احــدى قصص باب البــوم والغربان •

(٥٦) الأمثال للميدانى حـ ٢ ص ١٣ •

بقـوله (هـذا مما زعمت العرب على ألسنة البهائم)(٥٧) .

ثم بعـد ذلك يورد حكاية تشابهها الى حـد كبير فى الحوار والايجـاز لا فى المغزى الخلقى الذى تحمله الحكاية عن خالد بن الوليد ويشبه الميدانى قصة خالد بتلك الحكاية ، وتشبيه قصة خالد بها معناه انها أسبق من قصة خالد ابن الوليد فاللاحق يشبه بالسابق وخالد بن الوليد من أبطال المسلمين فى الصدر الأول من الاسلام ومعنى هـذا أن الحكاية تنسب الى العصر الذى قبل خالد ابن الوليد وهـو العصر الجاهلى ولعل ما يؤكد هـذا انها توجـد أيضـا فى الوسيط(٥٨) عند الكلام عن تاريخ الأدب الجاهلى وهى منقولة عن الميدانى وذكر الوسيط لها فى باب الأدب الجاهلى يدل على أنها جاهلية .

ويبدو أن هـذه الحكاية كانت كثيرة الشيوع يدل على هـذا انتشارها فى كتب الأخبار وتاريخ الأدب وقـد وردت أيضا فى كتاب الأذكياء(٥٩) لابن الجوزى وفى كتابه فاكهة الخلفاء(٦٠) وفى كتاب العقد الفريد(٦١) وفى كتاب الجوهرة فى الأمثال تحت عنوان (أمثال روتها العلماء) وهـذا الأخير يرويها كما يأتى :

(خطب النعمان بن بشير على منبر الكوفة فقال : يا أهل الكوفة انى وجدت مثلى ومثلكم كالضبع والثعلب أتيا الضب فى جحره فقالا أبا جميل قال : أجبتكما قالا : جئناك نختصم قال : فى بيته يؤتى الحكم قالت الضبع : فتحت عينى قال : فعـل النساء فعلت قالت : فالتقطت ثمرة قال : حلوة جنيت قالت : فاختطفها ثعالة قال : على نفسه بغى قالت : فلطمته لطمة قال : حقا قضيت . قالت : فلطمنى أخرى قال : كان حرا فانتصر قالت : فاحكم الان بيننا قال : حـدث امرأة حديثين وأن لم تفهم فأربعة) .

---

(٥٧) السـابق .

(٥٨) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه تاليف الشيخ احمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عنانى ص ١٧ .

(٥٩) كتاب الأذكياء لابن الجـوزى ص ٢١٢ .

(٦٠) كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ص ٤ ط العامرة الشرقية .

(٦١) العقـد الفريد ج ٣ ص ٥٩ لابن عبد ربه .

والذى يوازن بين الروايتين السابقتين يلاحظ اختلافا طفيفا وليس جوهريا بينهما فالضبع هنا لا الأرنب هى التى خاصمت الثعلب وقد ناديا الضب (أبا جميل) ولعلها تحريف أبا حسل .

وعبارة حدث امرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة غير موجودة فى الرواية الأولى وهى ثابتة فى الرواية الثانية وان كانت غير مفهومة وربما تعنى أن المرأة غبية بطبعها عاجزة عن الادراك السريع وعلى من يخاطبها أن يدرك هذه الحقيقة فيحدثها بقدر عقلها مراعيا درجة تفكيرها وذكائها فيكرر عليها القول حتى تفهم وأدنى درجات هذا التكرار مرتين فان فهمت كان بها والا أعاد الكرة فيكرر عليها الأمر مرتين أخريين أيضا بالاضافة الى المرتين السابقتين فيكون مجموع التكرار أربع مرات فان لم تفهم فيضعف لها التكرار ويعيد عليها الأمر ثمانى مرات وهكذا .

وتعكس القصة نزعة العربى الى الاخذ بالثأر واقرار المجتمع بهذا المبدأ .

ونقاط الالتقاء بين القصة العربية وقصة ابن المقفع تتمثل فى احتكام الخصمين الى حكم غير مناسب لا يفصل فى النزاع فصلا عادلا حاسما وهو يفترسهما معا فى قصة ابن المقفع ولا يقدم لهما الحل المقنع فى الحكاية الجاهلية .

والأرنب أحد الخصمين فى القصتين الا أنها كانت مغبونة ومعتدى عليها فى القصة الجاهلية بينما كانت باغية ومعتدية فى قصة كليلة ودمنة .

٩ — وأرى أثرا عربيا فى قصة اللبؤة والأسوار والشغبر :

وفيها تذهب اللبؤة للصيد وتترك ولديها الصغيرين فيمر بهما أسوار فيقتلهما ويسلخ جلديهما ويحملهما الى منزله وعندما تعود اللبؤة تفاجأ بالكارثة وتهولها المصيبة فيمتلىء قلبها حزنا وألما وتصيح بأعلى صوتها مولولة باكية لفقد ولديها الصغيرين .

وهذا عين ما يصوره زهير بن أبى سلمى فى قصيدة له عن البقرة التى ذهبت للرعى وتركت صغيرها وحيدا فانقضت عليه السباع وافترسته دون شفقة أو رحمة ولم تترك منه عدا العظام والجلد والدم وبعض اللحام التى حطت عليها الطيور المفترسة وعندما تعود البقرة وترى ما حل بولدها يتملكها الحزن

والاسى كما يتملكها الفزع والاضطراب ويصور زهير هـذا الموقف الدرامى تصويرا رائعا فيقول(٦٢) :

طباها ضحاء أو خلاء فخالفت	**اليه السباع فى كنـاس ومرقد**
أضاعت فلم تغفر لهـا غفلاتها	**فلاقت بيـانا عند آخر معهـد**
دما عند شـلو تحجل الطير حـوله	**وبضع لحـام فى اهاب مقـدد**
فجالت على وحشيها وكأنهـا	**مسربلة فى رازقى معضـد**

وتلتقى القصتان فى الأم تترك صغيرها وتذهب للحصول على الطعام وعندما تعود تفاجأ بالكارثة والفجيعة كما أن الطريقة التى قتل بها الصغير واحـدة عند كل من ابن المقفع وزهير حيث تترك الأم صغيرها وتذهب للرعى أو الصيد فيقتل صغيرها فى غيبتها وعندما تعود تفاجأ بالكارثة ٠

وان كان زهير أبرع فى التصوير من ابن المقفع حيث جسد لنا موقف القضاء على الصغير تجسيدا رائعا أبرز بشاعة الموقف وقسوته كما أبرز مشاعر الأم الحزينة البائسة ٠

فقـد التهمت السباع الصغير دون رحمة به أو شفقة عليه ثم حطت عليه الطيور الجارحة تلتهم ما تبقى منه واذا بالأم الحزينة لا تجـد الا بيانا عند آخر معهد دما عند شلو وبضع لحام فى آهاب مقـدد ٠٠٠ الخ ٠

وتختلف القصتان بعـد ذلك عند كل من زهير وابن المقفع أما زهير فيروى أن القـدر لم يكتف بأن يفجع البقرة فى صغيرها وانما أراد أن يفتك بها هى نفسها فادا بالقناصين يفاجئونها بكلاب الصيد يريدون اصطيادها عندئذ كان عليها أن تخوض صراعا رهيبا مع هـذه الكلاب لتنجو من شرها وتتخلص من خطورتها وهى تنجح فى النجاة أخيرا ولكن بعـد كفاح مرير يقول زهير(٦٣) :

---

(٦٢) شرح ديوان زهير من ابى سلمى للامام ابن العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيبانى ط الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – بيروت ص ٢٢٧ ٠
(٦٣) السـابق ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ ٠

ولم تدر وشك البين حتى رأتهم وقـد قصـدوا آنفاقها كل مقعـد
وثاروا بهـا من جانبيها كليهما وجالت وان يجشمنها الشد تجهـد
تبذ الالى ياتينها من ورائهـا وان تتقـدمها السوابق تصطد
فأنقـذها من غمرة الموت انها رأت أنها أن تنظر النبل تقصد
نجـاء مجـد ليس فيـه وتيرة وتذبيبها عنهـا بأسحم مـذود
وجـدت فالقت بينهن وبينهـا غبارا كما فارت دواخن غرقـد
بملتئمات كالخزاريف قـوبلت الى جـوشن خاظى الطريقة مسند

أما ابن المقفع فيتجه اتجاها آخر وهـو اتجاه تعليمى فقـد اتخـذ من هـذه الحادثة فرصة للوعظ والارشاد على لسان الشغبر (ابن آوى) الـذى تلجأ اليه اللبؤة وتشكو اليه ما ألم بها فيجيبها قائلا : لا تضجى وانصفى من نفسك واعلمى أن هذا الأسوار لم يأت اليـك الا وقد كنت تفعلين بغـيرك مثله وتأتين الى غير واحـد مثل ذلك ممن كان يجـد بحميمه ومن يعز عليه مثل ما تجـدين بشبلك واصبرى على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك فانه قـد قيل (كما تدين تدان) ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهمـا على قـدره فى الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره •

١٠ ــ ومن الآثار العربية فى كليلة ودمنة :

ما جاء فى باب مقـدمة الكتاب لعلى بن الشاه الفارسى عن ملك ظالم مستبد اسمه (دبشليم) وفيلسوف عاقل حكيم اسمه (بيدبا) وهـذا الفيلسوف يحاول أن يوجـه النصح والوعظ والارشاد الى الملك بيدبا وربما يكون هـذا تأثرا بتلك الأسطورة التى تذكرها كتب التاريخ عن الاسكندر الأكبر والتى تروى : أن الاسكندر كان جبارا معجبا وكان عتيا فى بدء أمره عتوا شديدا واستكبر وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين فى ذلك العصر حكيم فيلسوف يسمى أرسطاطاليس فلما بلغه عتو الاسكندر وفظاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصى أرض الروم حتى انتهى الى مدينة الاسكندرية فمثل قائما بين يديه غير هائب

له فقال : أيها الجبار العاتى ألا تخاف ربك ولا تعتبر بالجبابرة الذين كانوا قبلك وذلك فى موعظة طويلة غضب بسببها الاسكندر غضبا شديدا وهم بقائلها فأودعه السـجن ·

ثم ان الاسكندر راجع نفسه فتدبر كلامه فبعث اليه على خلاء وعلم أن ما قال هـو الحـق فقال لذلك العبـد : فأنا أسـألك أن تلزمنى لاقتبس من علمك واستضىء بنور معرفتك ··· الخ(٦٤) ·

أقول ربما تأثر ابن المقفع بهـذه الأسطورة وأقول (ربما) لان أحـدا لا يستطيع أن يقطع بذلك بل ربما يكون العكس أى ربما يكون ابن المقفع هـو الذى أثر فى مثل هـذه الأسطورة التى ذكرت فى كتب التاريخ عن الاسكندر على نحو ما لاحظ الدكتور عبد اللطيف حمزة حيث يقول : ولست أدرى أكان فى ذهن ابن المقفع مثل هـذه الأساطير فألف أسطورته هـذه على مثالها ؟ أم أنه أثر بأسطورته هـذه فيما أتى بعـده من الأساطير فجاءت هـذه على مثال ما كتب ابن المقفع(٦٥) ·

بل ربمـا لا يكون هـذا ولا ذاك وأنه لم يحـدث تأثير ولا تأثر بين الأسطورتين وأن ما يوجـد بينهما من اتفـاق انمـا يرجـع الى ما يوجـد من تشابه دقيق بين أساطير الشعوب المختلفة على نحـو ما أشـار الدكتور عبد الرازق حميدة فى كتابه (قصص الحيوان فى الأدب العربى)(٦٦) ·

(ب) الأصـول الاسـلامية

والى جانب الآثار العربية التى أشرنا اليها فهناك آثار اسـلامية نجـد أصولها فى القرآن الكريم وأحكام الشريعة الاسلامية ولا غرابة فى ذلك فقـد ظهر الكتاب فى بيئة اسلامية صبغت كل شىء بطبعها وأثرت فيه تأثيرا جـوهريا

---

(٦٤) الأخبار الطـوال للدينورى ص ٣١ ·

(٦٥) ابن المقفع عبد اللطيف حمزة ص ٢٠١ ·

(٦٦) ص ٢١ ·

وأهم هــذه الآثار الاسلامية فى قصص كليلة ودمنة هى :

(أ) القصاص وهو مبدأ اسلامى نص عليــه القرآن الكريم فى قــول الله **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتبــاع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن أعتــدى بعــد ذلك فله عذاب أليم • ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقــون)**(٦٧) •

ونجــد الأســد يطبق هــذا المبدأ الاسلامى حيث يقتل دمنة قصاصا منه لتسببه فى قتل شتربه ظلما وعــدوانا •

على أن فكرة العقاب من جنس الذنب وعقاب المجرم من جنس جريمته فكرة نادت بها الأديان السماوية كلها عــدا المسيحية التى تقول (لكنى أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعــدءكم أحسنوا الى مبغضيكم باركوا لاعنيكم وصلوا من أجل الذين يسيئون اليكم من ضربك على خــدك فاعرض له الآخر أيضا ومن أخــذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا وكل من سألك فأعطه ومن أخــذ الذى لك فلا تطالبــــه)(٦٨) •

وعــدا المسيحية تنادى جميع الديانات بأن يعاقب المذنب من جنس ذنبه جاء فى أمثال سليمان (من يحفر حفرة يسقط فيها ومن يدحرج حجرا يرجــع عليــه)(٦٩) •

وجاء فى مزامير داوود (كف عن الغضب وأترك السخط ولا تغر لفعل الشر لان عاملى الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض بعــد قليــل لا يكون الشرير تطلع فى مكانه فلا يكون أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون

---

(٦٧) سورة البقرة الآيتان ١٧٨ : ١٧٩ •

(٦٨) اصحاح ٦ انجيل لوقا ٢٧ : ٣٠ •

(٦٩) الأمثال الاصحاح ٢٦ آية ٢٦ •

فى كثرة السلامة(٧٠) .

الشرير يتفكر ضـد الصديق ويحرق عليه أسنانه الرب يضحك به لانه رآى أن يومه آت)(٧١) .

٢ ــ اثبـات الجريمـة :

القاعـدة الاسلامية المعروفة أن الجريمة تثبت بشهادة شاهدين ذكرين عادلين وان شهادة الواحـد لا توجب حكما قال تعالى :

(فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عـدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا)(٧٢) .

وقـد تأثر ابن المقفع بهـذا كله فى باب الفحص عن أمر دمنة ففى جريمة دمنة ما يؤكدها ويثبتها عليه وقـد اعترف بها لاخيه كليلة ولكن هـذا يحتاج أمام القضاء الى شهادة اثنين يقول ابن المقفع (ولمـا شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذى سمع اقرار دمنة وحفظه الى الأسـد فقال : أن عندى شـهادة فأخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من اقراره فقال لهما الأسـد : ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقـد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة فقال كل واحـد منهما : لقـد علمنا أن شهادة الواحـد لا توجب حكما فكرهنـا التعرض لغير ما يمضى به الحكم حتى اذا شهد أحـدنا قام الآخر بشهادته)(٧٣) .

---

(٧٠) المزامير اصحاح ٣٧ الآية ٨ : ١٠ .

(٧١) المزامير اصحاح ٣٧ الآية ١٣ .

(٧٢) سورة الطلاق الآية ٢ .

(٧٣) كليلة ودمنة باب الفحص عن أمر دمنة .

٣ ـ البعث والحساب والعقاب :

تغطى حكايات كليلة ودمنة العــديد من الآثار الاسلامية التى تدور حول البعث والحساب والعقاب وأن القصاص من المذنب فى الدنيا خير له من العــذاب فى الآخرة يقول ابن المقفع :

(ولعمرى لان تعــذب فى الدنيا خير لك من أن تعــذب فى الآخرة ..... ولعمرى ان من سعادة المرء الا يبيع آخرته بدنيا فانية منقطعة ولا يشترى ربحا يسيرا بعذاب طويل) ويقول : (فانك تعرف عقاب من فعل ذلك فى الآخرة واذكروا حساب الآخرة وعقابها ولا تاسفوا عنها اذا دخلتم اليوم فى أمر تندمون عليــه حين لا تنفع الندامة) ويقول أيضا (وانك أن تقتل فى الدنيا بما كان منك خير لك من العــذاب الدائم فى الآخرة مع الاثمة والفجار) .

٤ ـ الجــبرية :

وهــو أثر اسلامى يتردد على لسان الحمامة المطوقة حيث تقول للجرذ (أما تعلم أنه ليس من الخير والشر شىء الا وهــو مقــدر على من تصــــيبه المقادير وهى التى أوقعتنى فى هــذه الورطة)(٧٤) . ويقول الملك لفنزة (لقــد علمت أنه لا يستطيع أحــد لأحــد ضرا ولا نفعا وأنه لا شىء صغير ولا كبير يصيبه أحــد الا بقضاء وقــدر معلوم)(٧٥) .

٥ ـ قتــل البرىء :

فى شريعة الاسلام السمحاء أن قاتل البرىء ظلما وعــدوانا مصيره جهنم مخلدا فيها وبجرمه هــذا يكون كمن قتل الناس جميعا وهــو يأخــذ عــذابهم جميعا قال تعالى :

(ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنــه وأعــد له عــذابا عظيما)(٧٦) .

---

(٧٤) باب الحمامة المطوقة .

(٧٥) كليلة ودمنة باب ابن الملك والطائر فنزة .

(٧٦) سورة النساء الآية ص ٩٣ .

ويقول فى محكم آياته :

(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل أنه كان منصورا)(٧٧) ٠

وقد تأثر ابن المقفع بهذه القاعدة الاسلامية القرآنية العادلة وها هو دمنة الثعلب يرددها قائلا :

(وأفظع منه عند الله أن يقتل برىء على غير ذنب لنميمة فاجر كذاب)(٧٨) ٠
ويقول فى موضع آخر :

(فان أردتم قتلى مظلوما فكفى بالله لى ناصرا)(٧٩) ٠

٦ — من الآثار الاسلامية :

فى الكتاب أن الله يغفر الذنوب لمن يشاء وعلى المذنب الا يقنط من رحمة الله ، يقول تعالى :

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا أنه هـو الغفور الرحيم)(٨٠) ٠

وهـذا ما تقوله ايراخت لزوجها شادرم :

(فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة)(٨١) ٠

٧ — جزاء من يفسد فى الأرض :

وهـو جزاء عظيم فى الاسلام ، يقول الله تعالى :

---

(٧٧) الاسراء الآية ٣٣ ٠
(٧٨) كليلة ودمنة باب الفحص عن أمر دمنة ٠
(٧٩) كليلة ودمنة باب الفحص عن أمر دمنة ٠
(٨٠) سورة الزمر الآية ٥٣ ٠
(٨١) كليلة ودمنة باب ايلاذ وايراخت وشادرم ٠

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عـذاب عظيم)(٨٢) ٠

ونجـد أثر هـذا الدستور العادل فى باب الفحص عن أمر دمنة حيث يردده قاضى المحكمة فيقول :

(أن الأشرار اذا قتلوا ونفـوا من الأرض كان ذلك راحـة للملك والرعية وصالحا لهم)(٨٣) ٠

٨ ـ التفكير المنطقى الرياضى :

تميز الفكر الاسلامى فى هـذه المرحلة بالذات باخضاع كل شىء للعقـل والمنطق بتأثير ما ترجم من اليونانية الى العربية من العلوم العقلية وفى مقدمتها المنطق والفلسفة والرياضة ثم بتأثير المعتزلة الذين حكموا العقل فى كل شىء من جهة أخرى ونجـد تأثر الكتاب بهـذا التفكير وليس أدل على ذلك من ترديد الحكم والأمثال والمواعظ على لسان حيوان الكتاب من آن لآخر والحكمـة هى نتاج العقل المفكر بما تشتمل عليه من معان كثيرة فى كلمات قليلة ثم أنها تفسر على وجـوه مختلفة يفيد كل منها فى مجال معين ثم أنها تدعـو الى مبادىء عـامة يستفيد منها الجميع كالتريث فى الأمور وعـدم التهور والاندفاع والدعوة الى أعمال الحيلة للخروج من المـأزق ومصانعة العـدو لاتقاء كيده وغـدره ٠

وهكذا تأثرت عقلية حيوان ابن المقفع بالعقلية الاسلامية التى قامت على المنطق وقامت على الجـدل والحجاج والمناظرة تأثرا بالترجمة اليونانية ٠

ولكن ابن المقفع قـد تأثر بالمنطق اليونانى بطريقة مباشرة فيما يبدو لى ٠

فقـد قام بترجمة كتب أرسطو الثلاثة فى المنطق وهى قاطيغورياس وبارى أرمنياس وأنالوطيقا ٠

---

(٨٢) سورة المـائدة الآية ٣٣ ٠

(٨٣) كليلة ودمنة باب الفحص عن أمر دمنة ٠

وأرى فى الكتاب فقرة ينقلها ابن المقفع عن أرسطو حيث يقول (وأول من نغى عن الرعيـة من أفسدهم وسـاق اليهم ما أصلحهم قادتهم المتسـهلون لأمورهم)(٨٤) .

وقبل ابن المقفع قال أرسطو (اعلم أنه ليس شىء أصلح للناس من أولى الأمر اذا أصلحوا ولا أفسدهم لأنفسهم منهم اذا فسدوا)(٨٥) .

وقـد أمتزج أسلوب ابن المقفع بالمنطق فاذا بهـذا الأسلوب يميل الى التقسيمات والطباق والازدواج مثل قوله :

(وأعلم أن الأدب يدفع عن اللبيب السكر ويزيد الاحمق سكرا كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظرا ويزيد الخفاش سوء النظر)(٨٦) .

كذلك جاء فى قصة القردة والطائر والرجل (أيها الطائر لا تلتمس تقـديم ما لا يتعـدل وتبصير من لا يفهم فان الحجر الذى لا يقـدر على قطعه لا تجرب به السيوف والعود الذى لا ينحنى لك يعالج حنيه فان من فعل ذلك ندم)(٨٧) .

وجاء فى باب الأسد والثور (وقـد قيل أن السلطان اذا كان صالحا ووزراؤه غير صالحين قل خيره على الناس وامتنع منهم فلم يجترىء عليه أحـد ولم يدن منه كالمـاء الصافى الطيب الذى فيه التماسيح فلا يستطيع الرجل دخوله وان كان سباحا واليه محتاجا)(٨٨) .

ومن آثار المنطق اليونانى أيضا على أسلوب ابن المقفع ما جاء فى باب السنور والجرذ حيث يقول الجرذ (أن الصديق صديقان طائع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فأما الطائع فيسترسل اليه ويؤمن فى جميع

---

(٨٤) باب الفحص عن امر دمنة .
(٨٥) فجر الاسلام لأحمد امين ص ١٣٨ .
(٨٦) باب الأسـد والثـور .
(٨٧) باب الأسـد والثـور .
(٨٨) باب الأسـد والثـور .

الأحـــوال وأما المضطر ففى بعض الأحـــوال يسترسل اليه وفى بعضها يتحـــذر منه ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجته لبعض ما يتبقى ويخاف وليس عاقبة التواصل من المتواصل الا طلب عاجل نافع وبلوغ مأموله) •

رابعا ــ الأصـــول اليهـــودية

وألمح فى الكتاب آثارا يهودية وأفكارا ترجع فى أصولها الى قصص التوراة ومنهـــــا :

١ ــ الحمامة المطوقة وهى فى كليلة ودمنة ربما تكون مستمدة من حمامة نوح عليه السلام وقـــد وردت قصتها فى التوراة كما يلى :

(وحـــدث من بعـــد أربعين يوما ان نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قـــد عملهـــا وأرســـل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجـــد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت اليه الى الفلك لان مياها كانت على وجـــه كل الأرض فمـــد يده وأخـــذها وأدخلها عنده الى الفلك فلبث أيضا سبعة أيام أخرى وعاد فأرســـل الحمامة من الفلك فأتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء فى فمها فعلم نوح أن المياه قـــد قلت عن الأرض)(٨٩) •

انها حمامة معينة وقع عليها الاختيار لتلقى عليها هـــذه المسئولية وهى تقوم بها خير قيام وقـــد عملت من أجل الطوق الذى تورثه بنيها من بعـــدها فهى اذن تعمل من أجل غيرها •

وهل فعلت الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة غير هـــذا وهل خرج الدور الذى قامت به عن نطاق الدور الذى قامت به حمامة التوراة ؟

أليست فى كليلة ودمنة حمامة معينة اختيرت لتتحمل مسؤوليات الرياســـة والزعامة وها هى ذا تقول للجرذ (ابدا بقطع عقـــد سائر الحمام وبعـــد ذلك

---

(٨٩) العهد القـديم ــ سفر التكوين الاصحاح الثامن من ٦ : ١٢ •

أقبل على عقـــدى وأعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها : لقد كررت القول على كأنك ليس لك فى نفسك حاجة • ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا •قالت : انى أخاف أن أنت بدأت بقطع عقدى أن تمل وتكل عن قطع ما بقى وعرفت أن بدأت بهن قبلى وكنت أنا الأخيرة لم ترض وأن أدركك الفتور أن أبقى فى الشرك • قال الجرذ : هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك) •

وهكذا تضرب الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة أروع الأمثلة فى التضحية والايثار وما يجب أن يتصف به الرئيس أو الزعيم من تجرد تام عن الانانيـــة وتجنب ايثار النفس وهكذا فان الحمامة المطوقة تضحى من أجل غيرها وتظفر فى النهاية بالخلاص لصاحباتها ولنفسها وتلتقى مع حمامة التوراة فى أن كلا منهمـــا تتجرد من الانانية وايثار النفس وتعمل من أجل الآخرين فتخلصهم من المهالك وتحقق لهم الأمن والأمان فهى اذن تقوم بدور المخلص والمنجى من المهالك •

٢ ـ المرأة فى كليلة ودمنة :

وهنـــاك صـــورتان متميزتان للمرأة فى قصص كليـــلة ودمنـــة وأراهما أثرا يهـــــوديا •

الأولى : صورة قاتمة للمرأة التى لا يوثق بها ولا يطمأن لها ولا يسترسل اليها وفيها يقول ابن المقفع (أمور ثلاثة لا يجترىء عليها الا الاهـــوج ولا يسلم منها الا القليل : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السم للتجربة)(٩٠) •

ويقول أيضا (وما الاناث بأهل أن يركب بأسبابهن المقـــدر واللؤم فانهن لا يوثق بهن ولا يسترسل اليهن وقـــد قيل أن الذهب يعرف بالنار وأمانة الرجل بالاخـــذ والعطاء وقـــوة الدواب تعرف بالحمل الثقيل والنساء ليس لهن شىء يعرفن به)(٩١) •

---

(٩٠) باب الأســد والثــور •

(٩١) باب الأســد والثــور •

وهذا يشبه ما جاء فى الأمثال من كلام لموئيل ملك قسا علمته اياه أمه (ماذا يابنى ثم ماذا يا ابن رحمى ثم ماذا يا ابن نذورى لا تعط حبلك للنســاء ولا طرقك لمهلكات الملوك)[٩٢] ٠

الثانية : صورة مشرقة مضيئة للمرأة العفيفة الفاضلة الصالحة وهــذه أم مثالية تنشىء أبناءها على الخلق الفاضــل والسلوك الطيب بل أنهــا تضطلع بمسئولياتها كاملة حتى بعــد أن يكبر أبناؤها ويصبحوا مسئولين وحتى بعــد أن يرتقوا الى أعلى المناصب فتقف الى جانبهم ترشدهم الى الصواب وتلقنهم دروسا نافعة تفيدهم فى حياتهم وفى مستقبلهم وقــد اكتسبتها بالخبرة والتجربة وهى تدافع عن المظلوم وتطالب بعقاب المذنب والقصاص منه وها هى اللبــؤة تظهر لنا فى باب الفحص عن أمر دمنة فى صورة أم مثالية يجلجل صوتها فى كل مكان فى سبيل الحــق وتحــذر ابنها من مغبة التهاون فى القصاص من دمنــة الخبيث لتسببه فى قتل شتربة وهى تناصر المظلوم وتضرب بيد من حــديد على كلّ من تسول له نفسه أن ينال من ولدها أو يحط من قــدره أو ينقص من شأنه أو يفقــده هيبته ووقاره وسط الهيئة الاجتماعية وهى تصر على أن ينتقم ابنهــا الأســد من الظالم ويقتل دمنة لتسببه فى قتل شتربة حتى يحتفظ بالثقة التى منحتها له الجماعة والتى لا يستطيع السلطان أن يحتفظ بها فى نفس رعيته الا اذا وفر لهم الأمن والأمان وحقق بينهم العــدل والانصاف ومناصرة المظلوم ٠

كذلك نجــد فى الكتاب صورة الزوجة المثالية المخلصة لزوجها المحافظــة على عهدها المواتية له كما فى باب ايلاذ وايراخت وشادرم ، وهنا نجــد زوجة مثالية حكيمة تستطيع بتفكيرها السديد وبحسن تدبيرها أن تخلص زوجها الملك وجميع أفراد المملكة من خطر كاد يقضى عليهم جميعا ونحن نجــد هــذه الصورة المشرقة للأم والزوجة فى أمثال التوراة وتحــدث عنها سليمان عليه الســلام (امرأة فاضلة من يجــدها لان ثمنها يفوق للآلىء بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج الى غنيمة تصنع له خيرا لا شرا كل أيام حياتها تطلب صوفا وكتانا وتشتغل بيدين راضيتين هى كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد وتقوم اذ الليل بعــد وتعطى

---

(٩٢) الأمثال الاصحاح ٣١ الآية ١ : ٣ ٠

أكلا الأهل بيتها وفريضة لفتياتها تتأمل حقلا فتأخـذه وبثمر يديها تغرس كرما تنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها تشعر أن تجارتها جيدة سراجها لا ينطفىء فى الليل تمد يدها الى المغزل وتمسك كفها بالفلكة تبسط كفيها للفقير وتمد يديها الى المسكين لا تخشى على بيتها من الثلج لان كل أهل بيتها لابسون حللا تعمل لنفسها موشيات لباسها بوص وأرجوان زوجهـا معروف فى الأبواب حـين يجلس بين مشايخ الأرض تصنع قمصانا وتبيعها وتعرض مناطق على الكنعانى العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتى تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل يقوم أولادها ويطربونها زوجهـا أيضا فيمدحها بنات كثيرات عملن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعا الحسن غش والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهى تمـدح أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب)(٩٣) .

٣ ـ قصة داوود عليه السلام مع بثشبع بنت البعام زوجة أوريا الحثى وقـد رآها فأحبها وحتى يضمها الى نسائه فقـد أرسل زوجها أوريا الى الحرب حتى يقتل فيتزوجها هـو وقـد تم له ما أراد حيث قتل أوريا فى الحرب وتزوجها هـو وضمها الى نسائه فأنجبت له طفلا عاقبه الله بالحرمان منه وأرسل اليـه ملكا يوبخه فأرسل الرب ناثان الى داوود فجاء اليه قال : كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا وأما الفقير فلم يكن له شىء الا نعجة واحـدة صغيرة قـد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعا تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام فى حضنه وكانت له كابنة فجاء ضيف الى الرجل الغنى فعفى أن يأخـذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذى جاء اليه فأخـذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذى جاء اليه فحمى غضب داوود على الرجل جـدا وقال لناثان : حى هـو الرب أنه يقتل الرجل الفاعـل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هـذا الأمر ولانه لم يشفق فقال ناثان لداوود (أنت هـو الرجل هكذا قال الرب اله اسرائيل)(٩٤) .

وفى باب ايلاذ وايراخت وشادرم نجـد أثرا لهـذه القصة يقول ابن المقفع

---

(٩٣) الأمثال الاصحاح ٣١ الآية ١٠ : ٣١ .

(٩٤) صموئيل الثانى الاصحاح ١٢ الآية ١ : ٧ .

مخاطبا ملك الهند (وأنت أيها الملك عندك ستة عشر ألف آمراة تدع أن تلهو بهن وتطلب التى لا تجد) ويقول الملك (لا اهتم ولا أحزن اذا رأيت اثنى عشر ألف امرأة وليس منهن أيراخت) •

وسواء كن ستة عشر ألفا أو اثنى عشر ألفا فان هـذا لا يمنع أن يكون الأصل فى هـذا كله قصة داوود عليه السلام المشار اليها والتى ذكرتها التوراة •

٤ ـ وأرى أثرا يهوديا واضحا فى قصة (الأسود وملك الضفدع)(٩٥) وفيها يقول ابن المقفع (زعموا أن أسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقـدر على طعام وأنه أنساب يلتمس شيئا يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قـد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهرا للكآبة والحزن فقال له ضفدع : ما لى أراك أيها الأسود كئيبا حزينا ؟ قال : ومن أحرى بطول الحزن منى وانما كان أكثر معيشتى مما كنت أصيب من الضفادع فابتليت بالبلاء وحرمت على الضفادع من أجله حتى أنى اذا التقيت ببعضها لا أقـدر على امساكه فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الأسود فأتى ملك الضفادع الى الأسود فقال له : كيف كان أمرك ؟ قال : سعيت منذ أيام فى طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت ناسـك ودخلت فى أثره فى الظلمة وفى البيت ابن للناسـك فأصبت أصبعه فظننت أنها الضفدع فلدغته فمات فخرجت هاربا فتبعنى الناسك فى أثرى ودعى على ولعننى وقال : كما قتلت ابنى البرىء ظلما وتعـديا أدعـو عليك أن تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا تستطيع أخـذها ولا أكل شىء منها الا ما يتصدق به عليك ملكها فأتيت اليك لتركبنى مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع فى ركوب الأسود وظن أن ذلك فخر له وشرف ورفعة فركبه واستطاب ذلك فقال له الأسود : قـد علمت أيها الملك انى محروم فأجعل لى رزقا أعيش به قال ملك الضفادع : لعمرى لابد لك من رزق يقوم بك اذا كنت مركبى فأمر له بضفدعين يؤخـذان فى كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزق ومعيشة) •

وتذكرنا لعنة الناسك للأسود بلعنة نوح عليه السلام للغراب حين أرسله ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض وفى طريقه وجـد الغراب جيفة فـوقع عليها ونسى رسالة نوح عليه السلام فدعى نوح عليه ولعنه ولذا أسود لونه بعكس

(٩٥) احدى القصص الفرعية فى باب البوم والغربان •

الحمامة التى لبث أمر نوح ولذا باركها ودعى لها على نحو ما تذكر التوراة(٩٦) ٠

كما لعنت الحية فى التوراة عندما أغوت الانسان وزينت له الأكل من ثمرة الشجرة المحرمة فعاقبها الرب الاله فيما تزعم التوراة بأن تزحف على الأرض وتأكل التراب طيلة حياتها بعـد أن دخلت قوائمها فى جسمها وأن تكون دائمـا وأبدا عـدوة للانسان ويكون عـدوا لها تلدغه وتأخـذ بعقبه وتنفخ فيه سمها فتقضى عليه أو يسبقها هـو فيخـدش رأسها ويطيح بها ٠ جاء فى التـوارة (وكانت الحية أصل جميع الحيوانات البرية التى عملها الرب الاله فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة : لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمارها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر)(٩٧) ٠

ويروى الطبرى قصة التوراة السابقة باسناد عن وهب بن منبه (لمـا أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة نهاه عن الشجرة وكانت شجرة متشعب بعضها فى بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته فلما أراد ابليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية وكان للحية أربع قوائم كأنها البختية من أحسن دابة خلقها الله ٠

فلما دخلت الجنة خرج من جوفها ابليس فأخـذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء الى حـواء فقال : انظرى الى هـذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأخـذت حـواء فأكلت منها ثم ذهبت الى آدم فقالت : انظر الى هـذه الشجرة ما أطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما فدخل آدم فى جوف الشجرة فناداه ربه : يا آدم أين أنت ؟

---

(٩٦) العهد القديم ــ سفر التكوين الاصحاح الثامن من ٦ : ١٢ ٠

(٩٧) سفر التكوين الاصحاح الثالث الآية ١ : ٧ ٠

قال : أنا هنا يا رب قال : الا تخرج ؟ قال : استحيى منك يا رب فقال : ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا .

قال : ولم يكن فى الأرض شجر أفضل من الطلح والسرو ثم قال : يا حواء أنت التى غررت عبدى فانك لا تحملين حملا الا حملته كرها فاذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارا .

وقال للحية : أنت التى أدخلت الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك فى بطنك والا يكون لك رزق الا التراب أنت عـدوة بنى آدم وهم أعـداؤك حيث لقيت أحـدا منهم أخـذت بعقبه وحيث لقيــك شــدخ رأســك) .

اذن فقــد زلت الحية وحكم عليها بأن تزحف على الأرض طيـلة حياتها وفى قصة ابن المقفع السابقة زل الأسود وصار مركبا لملك الضفادع أى أنه حكم عليه بأن يزحف على الأرض طيلة حياته بسبب لعنة الناسك شأنه فى ذلك شأن حية التوراة .

خامسا : الآثار المسيحية فى قصص كليلة ودمنة

وهــذه الآثار لا تكاد تظهر فى صورة مباشرة وانما تظهر ممتزجة بالمــانوية وقــد أخـذت الكثير من مبادئها عن البوذية وكان من هـذا المزيج دعـوة الى الزهــد والرهبانية فى قصص كليلة ودمنة ومنها امتناع اللبؤة عن أكل اللحم فى باب الأسوار واللبؤة والشغبر والامتناع عن أكل اللحم فكرة بوذية فى أصــلها وقــد انتقلت فيما بعــد الى المــانوية .

وهــذا يخالف تعاليم الاسلام السمحاء التى تدعو الى أن يأخــذ الانسان نصيبه من الحياة بما لا يتنافى مع ما جاء فى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (فان لنفسك عليك حقــا ولبدنك عليك حقــا ولزوجك عليك حقا ولأهلك عليك حقا) وهــو حــق شامل يضع الانسان فى اطار علائق انســانية تسودها الرحمة والمحبة والرفق .

سادسا : الآثار السريانية

اشتهر السريان بالطب شهرة عظيمة لعلها ترجع فى أصلها الى ترجمتهم طب اليونان الى العربية من جهة ثم تدريسهم الطب فى مدرسة جنديسابور الشـــهيرة تلك المدرسة التى كانت تعلم الطب اليونانى باللغة السريانية وهم اذن أساتذة الطب يترجمونه ويعلمونه وقـــد نبغوا فيه وأخـــذوا يصيغون قـــوانينه ويصنفونها ويضعون الدواء يركبونه ويمزجون عناصره •

وأرى آثارا للسريان وشهرتهم الطبية هـــذه فى قصص كليلة ودمنة ومن هـــذا العلاج المزعوم الذى ادعته زوجة الغيلم •

والذى كان يتمثل فى تناول قلب قرد كى تتخلص من القرد صديق زوجها الحميم ومثل ذلك ما جاء فى باب الأسد وابن آوى واذنى الحمار وقلبه وفيـــه بحساب الأســـد بجرب لا شفاء منه الا بأكل اذنى وقلب حمار •

وفى باب السائح والصائغ أعطت الحية السائح أوراقا من شجرة معينة وقالت له (اذا جاؤوا بك لترقى ابن الملك فاسقه من هـــذا الورق فأنه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك تنجو ان شاء الله تعالى) •

الفصـل الثـانى

الترجمة السريانية القديمة والترجمة العربية لكتاب كليلة ودمنة

رأيت أن أعرض فى هذا الفصل لهاتين الترجمتين قبل أن أشرع فى الحديث عن محاكاة الكتاب وترجماته المختلفة وذلك لان الترجمة العربية كانت الأصل الذى اعتمد عليه الأدباء والشعراء فى المحاكاة والترجمات النثرية والشعرية للكتاب لذا فان طبيعة البحث تقتضى دراسة هـذه الترجمة العربية قبل التعرض للأعمال الأدبية الأخرى التى حاكتها وقلدتها وأخـذت عنها •

وقـد رأيت أن أعرض للترجمة السريانية القـديمة قبل التعرض للترجمة العربية لان هناك من يزعم أن الترجمة العربية قـد أخـذت عن هـذه الترجمة السريانية القـديمة وان كنت لا اتفق مع هـذا الرأى بل آخـذ برأى الباحث الاسلامى البيرونى وهـو أن الترجمة العربية قـد أخـذت مباشرة عن الأصل البهلوى لا السريانى كما سنوضح فى الصفحات التالية من هـذا الفصل •

أولا : الترجمة السريانية القـديمة

ويقال أنهـا من عمـل راهب نصرانى يدعى بودا(١) ترجمهـا فى القرن السادس الميلادى حـوالى سنة ٥٧٠ م • وقـد اختفت هـذه الترجمـة عقب ظهورها قبل أن يقوم أحـد بترجمتها الى لغة أخرى أو محاكاتها أو تلخيصها الى أن استطاع المستشرقون العثور عليها أخيرا فى مدينة (مردين) وكان أول من

---

(١) يرجح انه ولد فى بلاد الهند وكان اسمه بودا فلما إنتهى به المقام الى فارس تسمى « برزويه » ومعناه الكبير أو الجميل أو المثقف ونحـــو ذلك • ابن المقفع د. عبد اللطيف حمزة ص ١٩١ •

أشار الى هـذه الترجمة (عبد اليسوع أسقف نصيبين) الذى كان يعيش فى أواخر القرن السابع الهجرى وذلك فى الفهرست الذى كتبه حيث يقول (أن بودا هـو صاحب النسخة السريانية وهـو الذى ترجمها عن الهندية لا عن أى لغـة أخـرى) •

وأبواب هـذه النسخة السريانية عشرة وهى :

١ ــ باب الأسـد والثـور •
٢ ــ باب الحمامة المطـوقة •
٣ ــ باب القرد والغيلم •
٤ ــ باب الناسـك وابن عرس •
٥ ــ باب القط والجرذ •
٦ ــ باب البـوم والغربان •
٧ ــ باب الملك والطـائر •
٨ ــ باب الأسـد وابن آوى •
٩ ــ باب ابيـلار •
١٠ ــ باب ملك الفيران •

وقـد قام الأستاذ بنفى بطبع هـذه النسخة السريانية القـديمة بعـد أن قـدم لهـا بمقـدمة قيمة وترجمة لهـا باللغة الألمـانية •

ويذهب بنفى فى المقـدمة التى كتبها الى أن هـذه الترجمة أخـذت عـن الأصول الهندية لا عن أى لغـة أخرى ويستدل على ذلك بما يأتى :

أولا : وجود ألفاظ هندية سنسكريتية فى هذه الترجمة السريانية فالسائل والمجيب فيها ليس (بيدبا) ودبشليم وانما بيشام وزداشتر وهما قريبان من الاسمين السنسكريتيين وهما يوذيشتيرا وبيشما •

ثانيا : يبدأ باب الأسـد والثـور فى النسخة السريانية بما يأتى (زعموا أنه فى بلاد الترك وفى مكان يدعى رابوكان عاش ملك قيل أنه اقترف آثاما كثيرة تقمصت روحـه بسببها بعـد موته فى جسم ثعلب ثم تذكرت روحـه وهى فى جسم الثعلب تلك الاثام التى ارتكبها صاحبها فندمت على ما فرط منها فى حياته

الاولى وآلت لا تؤذى حيوانا ثم برت بوعـدها فلم تطعم اللحم بعـد ذلك قط)(٢) •

وهـذا النص بعينه نجـده فى المهابهرتا الهندية السنسكريتية(٣) بينما يختلف ابتداء الباب فى النسخ العربية عن هـذا النص اختلافا بينا ممـا يدل على أخـذها عن المصادر الهندية •

ولكننا نقول للأستاذ بنفى أن ما أتى به لا يصلح أن يكون دليلا على القطع بأن هـذه الترجمة السريانية قـد أخـذت عن الهندية كما ذهب فان ورود هـذا النص الذى أتى به فى أول باب الأسـد والثور أن صح أن يكون دليلا على أن هـذا الباب قـد ترجم عن الهندية مباشرة فانه لا يمكن أن يقوم دليلا على أن كل أبوب النسخة قـد ترجمت هى الأخرى عن الهندية فلم لا تكون النسخة السريانية قـد جمعت بين أبواب ترجم بعضها عن الهندية وبعضها عن العربية أو البهلوية أو أى لغة أخرى وكان باب الأسـد والثور من نصيب الجزء الذى ترجم عن الهندية •

وأما عن ذكر الاسمين زداشتر وبيشام فى مقـدمة الأبواب فلم لا يكون ورود هـذين الاسمين كان فى مستهل الأبواب التى ترجمت عن الهندية ثم عمما بعـد ذلك فى سـائر الأبواب •

والنتيجة المجردة هى أننـا لا نستطيع أن نقطـع بأن هـذه الترجمـة السريانية قـد أخـذت عن الأصل الهندى السنسكريتى مباشرة على نحـو ما ذهب بنفى كما أننا لا نستطيع أن نقطع بكثير من الأمور التى تتصل بهذا الموضوع ما دمنا لا نملك الأدلة الثابتة التى تمكننا من هذا القطع وعلينا فقط أن نعود فنقول أن ما نقدمه فى هذا المجال لا يعـدو أن يكون مجرد افتراضات علمية ولنـا أن نبدى تشككنا فيها جميعا الى أبعـد الحـدود واذا كان بنفى قـد رأى فى ورود بعض الاشتقاقات السنسكريتية فى النسخة السريانية دليلا أطمأن اليه على أن النسخة السريانية مترجمة عن الأصل السنسكريتى مباشرة فأن الأستاذ اقبـال

---

(٢) ابن المقفع ــ د. عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٠ ط . دار الفكر العربى ١٩٦٥ .
(٣) انظر حـديثنا عن المهابهرتا ص :

يتبع نفس المنهج فى اثبات أن النسخة السريانية هـذه قـد أخـذت عن الأصول البهلوية لا السنسكريتية وعنده أن بودا لم يأخـذ عن الأصل الهندى وانمـا أخـذ عن الترجمة البهلوية ويستدل اقبال على رأيه هـذا بوجود اشتقاقات فارسية للترجمة السريانية المشار اليها فى باب البوم والغربان مثل (جنداسرا) وهى اسم لعين تعرف بعين القمر فهى موجودة فى النسخة السريانية باسم (ماه خانى) وهو لفظ مركب من جزأين (ماه) بمعنى قمر و (خانى) بمعنى بيت وكلا الجزءين بهلوى وفى باب الأسد والثور لفظ (سيمرغ) واسمه كارودا فى البنجاتنترا سيمرغ وهى كلمة فارسية ترجمها ابن المقفع بالعنقاء قال الأستاذ اقبال بعد ذلك وقد كتب بودا اسمى كليلة ودمنة هكذا (كلتلك) و (دمنك) وهـذان الشكلان أقرب الى الرسم البهلوى والنطق البهلوى منه الى الرسم السريانى والنطـق السريانى(٤) •

ثانيا : الترجمة العربية

وقـد اختلف فى أمر هـذه الترجمة فهناك فريق من الباحثين يرى أن عبد الله بن المقفع هـو الذى ترجم كتاب كليلة ودمنة وأنه ترجمه عن البهلوية لغة آبائه وأجـداده فى القرن الثامن الميلادى أى الثانى الهجرى •

وهـذا الرأى هـو أكثر الآراء شيوعا وانتشارا وذيوعا لدى الباحثين سواء العرب أو المستشرقين •

يقول البيرونى (وللهند فنون من العلم أخرى كثيرة لا تكاد تحصى ولكن لم أحط بها علما وبودى أن كنت أتمكن من ترجمة بنـج تنتر وهـو المعروف عنـدنا بكتاب كليلة ودمنة فأنه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قـوم لا يؤمن تغييرهم اياه كعبد الله بن المقفع فى زيادته باب برزويه فيه قاصـدا تشكيك ضعيفى العقـائد فى الدين وكسرهم للدعـوة الى مذهب المـانية واذا كان متهما فيما زاد لم يخل من مثله فيما نقل)(٥) •

---

(٤) ابن المقفع - د• عبد اللطيف حمزة ص ٩٢، ط دار الفكر العربى ١٩٦٥ •

(٥) أنظر كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة » ص ٧٦ .

ويقول الدكتور فكتور الكك[٦] (..... فقــد نقل ابن المقفع كتبا كثيرة من الفهلوية الى العربية وعلى رأسها كتاب كليلة ودمنة الذى جاء النصح فيه على أفــواه البهائم والطيور)[٧] .

ويقول الأستاذ براون (ان قليلا من الكتب أصاب ذلك النجاح الذى أصابه كتاب كليلة ودمنة كما أن قليلا منها ترجم الى تلك اللغات المتعــددة التى ترجم اليها ذلك الكتاب وهــو كتاب هندى الأصل نقل الى فارس فى القرن السادس الميلادى فى عهــد كسر أنوشروان وترجم الى اللغــة الفهلوية وعن النسخة الفهلوية مباشرة ترجمت النسختان السريانية الأولى سنة ٥٧٠ م والعربية سنة ٧٥٠ م وعن العربية نقل الكتاب الى عــدة لغات أخرى شرقية وغربية)[٨] .

ويرى فريق آخر من الباحثين أن الترجمة العربية لكتاب كليلة ودمنة لم تأخــذ عن البهلوية كما يرى أنصار الرأى الأول وانما أخــذت عن السريانية التى كانت قــد ترجمت من قبل عن الهندية السنسكريتية فى القرن السادس الميلادى حوالى ٥٧٠ م واستدلوا على ذلك بما لاحظوه من تشابه دقيــق بين الترجمة العربية والترجمة السريانية بعكس ما يوجــد بين البهلوية والعربية من اختلاف وتباين ولست أدرى كيف انتهوا الى هــذه الحقيقة وهى أن ثمت تباينا واختلافا واضحين بين الترجمة العربية لعبد الله بن المقفع والأصول البهلوية فى حين أن الأصول البهلوية قــد ضاعت عقب ترجمة عبد الله بن المقفع لهــا وقبل أن يستطيع أحــد من الباحثين أن يقوم بأى دراسة تقارنية بينها وبين الترجمة العربية لعبد الله بن المقفع كما سنوضح فيما بعــد .

ويرى أنصار هــذا الرأى أيضا أنه لا يستبعد أن يكون ابن المقفع هــو الذى ترجم الكتاب عن السريانية وليس من العجيب أن يعرف كاتب المعي نابغة كابن المقفع اللغة السريانية لغة الطب والفلسفة فى ذلك العصر .

وكانت هناك علاقات وثيقــة بين الفرس ومسيحيى السريان وقــد نقلت

---

(٦) رئيس قسم اللغة العربية وآدابها فى الجامعة اللبنانية .

(٧) أنظر كتاب ابن المقفع أديب العقل تاليف الدكتور فكتور الكك دار الكتاب اللبنانى – بيروت ص ٧ .

(٨) « التاريخ الأدبى لبلاد فارس » ج ٢ ص ٣٥٠ .

التعاليم اليونانية الى بلاد الفرس عن طريق السريان الذين كان يتقنون الفارسية واليونانية معا واذا كان هناك من السريان من أجاد الفارسيه على هـذا النحو فالمرجح أنه كان هناك من الفرس من آجاد السريانية أيضا(٩) وكان عبد الله بن المقفع من هـذا الفريق لما كان له من مكانة أدبية رفيعة تحتم عليه أن يكون على دراية بالسريانية ويؤيد هـذا الرأى وهـو أن الكتاب قـد ترجم عن السريانية لا البهلوية ما يكتنف الروايات التى تدور حـول جلب المنصور الكتاب من بلاد فارس من غموض حيث لم تنص هـذه الروايات على شىء أكثر من أن المنصور احتال حتى ظفر بكتـاب كليلة ودمنة من بعض امراء الفرس ولم تنص هـذه الروايات على اسم الأمير الفارسى الذى كان الكتاب فى حوزته كما أنها لم تذكر كيفية اتصال المنصور بهـذا الأمير ومن المعروف أن أمراء الفرس وملوكهم انقرضوا تماما بالقضاء على يزدجرد الثالث سنة ٣١ هـ فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه .

ومن القائلين بهـذا الرأى وهـو ان عبد الله بن المقفع قـد ترجم عن أصل سريانى وليس بهلويا الأستاذ دنسون روس وهـو يذهب الى(١٠) أن برزويه الذى تزعم الروايات أنه صاحب الترجمة البهلوية ليس عدا بودا الراهب النصرانى الذى وجـد أنه صاحب الترجمة السريانية والذى يرجح أنه ولد فى بلاد الهند وكان اسمه بودا فلما انتهى به المقام الى فارس تسمى باسم برزويه ومعنـاه الكبير أو الجميل أو المثقف ونحو ذلك وعلى ذلك فان ابن المقفع حين عمد الى ترجمة هـذه القصص الهندية القـديمة لم يكن يملك فيما يرى الأستاذ دنسون روس نسخة بهلوية وانما كان يملك نسخة سريانية هى التى تنسب الى بودا السابق الذكر .

ويرفض دنسون روس أن تكون الترجمة السريانية قـد أخـذت عـن النسخة العربية لعبد الله بن المقفع بل عنده أن العربية هى التى أخـذت عن السريانية ويدعم الأستاذ دنسون روس رأيه هـذا بأدلة منها :

---

(٩) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ـ حامد عبد القادر ص ص ٣٢ ، ٣٣ ط لجنة البيان العربى ١٩٥١ .

(١٠) انظر كتابه

Foreward to the Ocean of story p. 110

١ ــ أنه ليس فى النسخة العربية لابن المقفع ذكر لتلك اللغة التى ترجمه عنها على حين أن عبد اليسوع أسقف نصيبين الذى كان يعيش فى أواخر القرن السابع الهجرى يقول فى الفهرست الذى كتبه (أن بودا هــو صاحب النسخة السريانية وهــو الذى ترجمها عن الهندية لا عن أى لغة أخرى) •

٢ ــ أنه ليس فى النســخة السريانية القــديمة ذكر لبعثة برزويه فاذا كانت النسخة السريانية مأخوذة عن البهلوية فلماذا تخلو من هــذا الباب •

وهــذا الرأى الذى ذهب اليه دنسون روس لا يخلو عندنا من تعسف وغرابة وتسرع فى اصــدار الأحكام العامة قبل التيقن من صحتها فما الذى يمنع أن يكون الفرس قــد ترجموا عن الأصل الهندى السنسكريتى حتى ولــو سلمنا جــدلا بأن الترجمــة السريانية قــد أخــذت عن الأصــول الهندية السنسكريتية أيضا فهل هناك ما يمنع من أن تكون كل من الترجمتين العربيــة والسريانية قــد أخــذتا عن الأصول الهندية السنسكريتية •

وليس صحيحا ما انتهى اليه دنسون روس ورآه منطقيا وهــو أن ابن المقفع لم يشر الى اللغة التى ترجم عنها ونحن نقول مع الأستاذ اقبال أنه اذا كان ابن المقفع لم يذكر اسم اللغة التى ترجم عنها صراحة فقــد ثبت أن باب برزويه ترجمه بزر جمهر بن البختكان من عمل ابن المقفع نفسه وفى ذلك اعتراف ضمنى من ابن المقفع بأنه اعتمد على النسخة البهلوية المنسوبة صــدقا أو كذبا الى برزويه • ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم فى الفهرست وأشار اليه أبو المعــالى صاحب الترجمة التى قــدمت للملك بهرام الفارسى حيث قال (ولمــا رأينا أهل فارس قــد ترجموا هــذا الكتاب من الهندية الى البهلوية أردنا أن يكون لأهل العراق والشام والحجاز أيضا نصيب منه وذلك بترجمته الى اللغة العربية التى هى لغتهم)(١١) •

وهناك فريق ثالث يذهب الى أنه ليس من المعروف بالضبط من ترجم الكتاب ولا عن أى لغة ترجم وقــد نسبت ترجمته الى ابن المقفع لانه كان أشـــهر

---

(١٢) ابن المقفع عبد اللطيف حمزة ص ١٩٢ •

المترجمين فى عصر المنصور ولانه فارسى الأصل قيل أن الترجمة من الفارسية الى العربية ونسبة الكتب التى لا يعرف مؤلفوها على وجه اليقين الى مشهورى المؤلفين كان أمرا متبعا فى ذلك العصر الذى كثر فيه التأليف كثرة مفرطة ولم يكن هناك مطابع ولا وسائل منظمة للنشر ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك ككتاب المحاسن والاضـداد وهـو مجهول المؤلف ولكنه ينسب الى الجاحظ لشهرته وكثير من الرسائل تنسب الى الغزالى وليست من تأليفه وهناك العـديد من الرباعيات تنسب الى عمر الخيام وليست من نظمه) (١٢) •

ونحن مع أصحاب الرأى الأول ودليلنا على ذلك أنه كانت هناك ترجمتان لكتاب كليلة ودمنة قبل ابن المقفع احـداهما السريانية والأخرى البهلوية وهاتان الترجمتان كانتا أمام ابن المقفع عندما أراد أن يترجم الكتاب الى العربية وكان عليه أن يختار أيا منهما ليترجم عنه وليس من المعقول والحال كذلك أن يترك الرجل النسخة البهلوية التى كانت بلسان أمه وأبيه وقـومه الاقربين والابعدين وينقل عن النسخة السريانية وهى بلغة مهما كان يتقنها فانها أجنبية عنه ولا يمكن أن يتصور أحـد أن أديبا يترجم عملا أدبيا عن لغة أجنبية بينما توجـد ترجمة لهـذا العمل باللغة القومية لهـذا الأديب •

ونحن نرفض الزعم بأن ابن المقفع لم يترجم الكتاب وانما نسب اليـه لشهرته فى الترجمة كما يدعى أصحاب الرأى الثالث ودليلنا على ذلك أن المضمون العام فى كتاب كليلة ودمنة يتفق تماما مع ما جاء فى كتاب رسالة الصحابة الـذى يجمع الباحثون على نسبته الى ابن المقفع فكلاهما يتناول السلطان وحاشيته ورعيته وحقوق وواجبات كل • وكلاهما يتناول الهيئة القضائية فى المجتمع •

وما يجب أن تتسم به هـذه الهيئة من نزاهـة وحيدة وعـدم تحيز لجانب على حساب جانب آخر والعمل على تحقيق العـدل والانصاف بين جميع طبقات المجتمع وهـذا لا يتحقق الا اذا راعى القضاة مبدأ الحيطة وعـدم التسرع فى اصـدار الأحكام قبل التثبت من عـدالتها •

---

(١٢) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ـ حامد عبد القادر ص ٣٤ ط لجنة البيان العربى سنة ١٩٥١ •

وكان كتاب كليلة ودمنة بمثابة برنامج ثورة على الأوضاع القائمة فى المجتمع آنذاك بأسلوب رمزى تلميحى ولكنه لم يفهم ، ولم يستوعب المجتمع ما أراد ابن المقفع أن يرمز به من مساوىء سائدة فى المجتمع وسبل اصلاحها وتتمثل فى الثورة على هـذه الأوضاع السائدة والمساوىء الشائعة لم يفهم الناس هـذه الرموز لانهم لم يألفوا هـذا الأسلوب التعبيرى الرمزى من قبل فهو أسـلوب قـد استحدثه ابن المقفع ونقله الينا من بلاد الفرس • وعندما رأى ابن المقفع أن كتاب كليلة ودمنة ــ على هـذه الصورة الرمزية ــ لم يحقق الغرض المنشود الذى كان يرمى اليه قـدم كتابا آخر هـو كتاب رسالة الصحابة الذى يشتمل على نفس مضمون كتاب كليلة ودمنة ولكن بأسلوب صريح لا رمز فيه ولا تلميح وانما نص فيه على الحقائق بأسلوب مباشر وأشار الى مساوىء المجتمع اشارة ظاهرة صريحة حتى أن رسالة الصحابة فيما أرى كانت السبب المباشر فى أن تحمس الخليفة المنصور للتخلص من هـذا الشاب المشاغب الذى سيفسد عليه الأمر ويقلب عليه النفوس ويثير عليه الرعية وما يترتب على هـذا كله من احتمال قيام الثورة التى ربما أطاحت بحكمه بل ربما أطاحت بحكم العباسيين كلهم وجعل الخلافة تخرج من أيديهم (١٣) •

وتتفق رسـالة الصحابة تمام الاتفاق مع المضمون العـام لكتاب كليلة ودمنة وليس هناك أدنى شك فى نسبة هـذه الرسالة إلى ابن المقفع والذى أرجحه أن يكون كتاب كليلة ودمنة أيضا لابن المقفع لانه يتفق مع رسالة الصحابة التى لا شك فى نسبتها الى ابن المقفع كما ذكرت بالاضافة الى ما شاع فى كتب الاخبار

---

(١٣) ويذهب الدكتور (فكتور الكك) الى أن ابن المقفع هـو الذى قتل نفسه عندما احس بالنوايا العـدوانية من الخليفة المنصور وشعر أنه ملاق حتفه لا محـالة فشرب سما او شنق نفسه وانتحر قبل أن يقتله المنصور ويقضى عليه وكان فى ذلك مثل (الذباء) عندما رأت الغـدر فى عين عمرو بن عـدى فتناولت السم وقالت قولتها الشهيرة (بيدى لا بيد عمرو بن عـدى) •

ولست أتفق مع الدكتور (فكتور الكك) فى هـذا الرأى وانما آخـذ برأى جمهور النقـاد والباحثين ومؤرخى الأدب وهـو أن (المنصور) لمـا ضجر من ابن المقفع وتحديه السافر له ولسياسته أطلق عليه سفيان بن معاوية والى البصرة العـدو اللدود لابن المقفع فقتله شر قتلة • ابن المقفع اديب العقل ــ الدكتور فكتور الكك ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ص ٣٢ •

مثل كتاب الاخبار الطوال ومثل كتاب الفهرست وغيرهما من روايات تنص على نسبة الكتاب الى ابن المقفع لا الى أى كاتب آخر وليس هناك أى مبرر أن تجمع هـذه الكتب على نسبة الكتاب الى ابن المقفع الا اذا كان ينسب اليه فعلا •

ولقـد كان للترجمة العربية الفضل فى انتشار وتداول كتاب كليلة ودمنة ولولاها ما عرف الكتاب أو على الأقل ما انتشر وذاع صيته على النحو الذى انتشر به فى جميع أنحاء العالم من خلال هـذه الترجمة •

فقد ضاعت الأصول الهندية وفقـدت الترجمة البهلوية واختفت النسخة السريانية التى قام بها بودا فى القرن السادس الميلادى ولم يبق أمام الأدباء عـدا ترجمة ابن المقفع يأخـذون عنها ويحـاكونها وينسجون على منـوالها وينظمونها شعرا يجـذبهم اليها أسلوب ابن المقفع الجـذاب الرائع وقـدرته البالغة على أن يأخـذ بلب قارئه •

ويقول فلكونر فى فضل هـذه الترجمة (لئن كانت البوذية صاحبة الفضل الأول فى أقاصيص بيدبا فقـد كان للاسلام وحـده الفضل فى وصول هـذه القصص الى أوربا اذ بينما غابت النسخة السريانية القـديمة فترة من الزمن فلم يكن لهـا عقب من بعـدها واذا بالنسخة العربية قـد ترجمت فى أثناء ذلك الى أكثر من خمس لغات هامة هى السريانية واليونانية والعبرية والأسبانية)(١٤) •

ويقول عبد اللطيف حمزة فى فضل هـذه الترجمة واعتبارها الأم لجميع التراجم التى عرفها العالم (فقـد ضاعت الترجمة السريانية القـديمة التى قيل أنها ظهرت قبل العربية بمائتى سنة كما ضاعت الترجمة التبتية التى أخـذت من المصادر السنسكريتية ولم يظهر لها أثر واختفت كذلك الترجمة البهلوية التى اعتمد عليها ابن المقفع فلم يجـد الناس أمامهم غير ترجمة ابن المقفع هـذه فأقبلوا على نقلها واستولدوها نسخا كثيرة)(١٥) •

---

(١٤) انظر فالكونر ص ١٤ •

(١٥) ابن المقفع ـ عبد اللطيف حمزة ص ٢١٢ •

ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا حقيقتين هامتين تتصلان بهـذه الترجمة همـا :

أولا : أن ابن المقفع لم يكن يلتزم بترجمـة حرفية فى نقـله عن الأصول البهلوية وهنا لا يجب أن تخـدعنا كلمة ترجمة حين يقال (ترجم عبد الله ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة من البهلوية الى العربية) فالظاهر أنهم كانوا يعنون بمصطلح ترجمة أحيانا الوضع والتأليف أيضا يدلنا على ذلك باب برزويه المتطبب ترجمة بزرجمهر بن البختكان فكيف يصح أن يكون هـذا الباب ترجمة أو نقلا منسوبا الى ذلك الوزير وذلك الوزير نفسه فيما تزعم القصة هـو الذى أمره ملك الفرس بتأليف هـذا الباب فألفه(١٦) .

الثانى : أن الأصول الأولى للترجمة العربية التى قام بها عبد الله بن المقفع نفسها لم تصلنا كما هى وانما تغيرت واختلفت على أيدى الناسخين والأدباء أنفسهم الذين أضافوا اليها وحذفوا منها ما شاءوا أن يضيفوا وان يحذفوا دون أن يشيروا الى ذلك وعمدوا الى التحريف والتغيير والتبديل فيما بقى دون أن يشيروا الى ذلك أيضا ويكفى أن نلقى نظرة على الفقرات التى اقتبسها ابن قتيبه من كتاب كليلة ودمنة فى كتابه الشهير « عيون الاخبار » فسنجد لأول وهـلة اختلافا عظيما بين هـذه الفقرات فى كتاب ابن قتيبة وبين الفقرات التى نقابلها فى نسخ كليلة ودمنة التى بين أيدينا .

واذن فقـد تغيرت الترجمة العربية ولم تصـلنا الا محرفـة وممسوخة بالاضافة الى أن ابن المقفع نفسه لم يلتزم بترجمة دقيقة عن الأصول البهلوية .

وقـد صرح ابن المقفع فى مقـدمة كليلة ودمنة أنه لم يكن يتقيد بترجمة حرفية عن النسخة البهلوية التى أخـذ عنها كما أنه أشار فى هـذه المقـدمة الى ما كان يهـدف اليه من كتابه من أغراض كثيرة صرح ببعضها ولم يصرح بالبعض الآخر بل رمز اليه فقط فى قوله (والغرض الرابع وهـو الأقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة) .

ونخال أن من هـذه الأغراض الخاصة بالفيلسوف والتى لم يصرح بهـا

---

(١٦) السـابق ص ٢٠٢ .

ابن المقفع أن الرجل أراد أن يخاطب مجتمعه العربى وان يطلعه على حضـارة قـــومه •

ولم يكن ليستطيع أن يعلن عن هـذا المقصد فى مجتمع يعتز بحضارته الاسلامية ويرفض كل ما عـداها فكان عليـه أن يتبع هـذا الأسلوب الرمزى المستتر وهـو قصص كاليلة ودمنة ان هـو اراد أن يعـرف مجتمعه بثقافتـه الفارسـية •

ومن هـذه الأغراض التى لم يصرح بها ابن المقفع أيضا أنه أراد أن يوجه النصح والوعظ والارشاد الى الخليفة المنصور وكان جبارا عاتيا شـديد البطش لا يستطيع أحـد أن يوجه اليه اللوم أو النقـد فلم يجـد صاحبنا عـدا هذه الطريقة الرمزية وهى قصص كليلة ودمنة يقـدم النصح من خلالها الى الخليفة دون أن يأخـذ عليه أحـد شيئا وماذا فى حكايات تدور على ألسن البهـائم والطيور ولم يكن ابن المقفع يستطيع أن يحقق هـذه الأغراض ان هـو الزم نفسه بترجمة حرفية عن الأصول البهلوية ولم يخرج عنها •

لذا تصرف ابن المقفع فى ترجمته تصرفا عظيما حتى أن بعض الباحثين يذهب الى أنه كان يحـذف الجملة والفقرة من النص البهلوى وذهبوا الى أنه كان يضيف الفصل الكامل اذا احتاج الأمر كما رأينا فى النص الذى نقلناه عن البيرونى منذ قليل)(١٧) •

ويكاد يجمع الباحثون على أن ابن المقفع قـد أضـاف من عنـده سـتة أبواب هى :

١ ــ الباب الأول فى مقـدمة الكتاب لعلى بن الشاه الفارسى •
٢ ــ الباب الثالث فى عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع •
٣ ــ الباب السادس وهـو باب الفحص عن أمر دمنة •
٤ ــ الباب السادس عشر وهـو باب الناسك والضيف •
٥ ــ الباب العشرون وهـو باب البطة ومالك الحزين •
٦ ــ الباب الحادى والعشرون وهـو باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين

---

(١٧) أنظر ص ٨٤ .

ويضيف الدكتور عبد اللطيف حمزة بابا سابعا وهو باب برزوية المتطبب ترجمة بزرجمهر[18] .

وللبارون ده ساسى بحث قيم عن هذه الترجمة العربية جاء فيه (وربما كان من العسير علينا أن نقول الى أى حد استطاع ابن المقفع أن يتحلل من النسخة البهلوية أو يبعد عنها ؟ بل ربما أن أحدا لا يجد من السهل عليه أن يحصى أوجه الخلاف العديدة بين النسخ المأخوذة من هذه الترجمة العربية نفسها وهو نوع من الخلاف أخشى أن يميل معه الباحث الى الاعتقاد أنه قد كانت هناك تراجم عربية عديدة للكتاب لا نسخ متعددة فقط من هذه الترجمة العربية التى عنى بها ابن المقفع)[19] .

ويستدل ده ساسى على التغيير الذى طرأ على ترجمة ابن المقفع بما يوجد من اختلاف وتباين بين التراجم المختلفة التى أخذت عن النسخة العربية لابن المقفع ويضرب على ذلك مثلا باثنتين منها وهما :

(أ) الترجمة اليونانية التى أتمها سيمون سث حوالى سنة ١٠٨٠ م[20] .

(ب) الترجمة الفارسية التى أتمها أبو المعالى نصر الله حوالى سنة ١١٢٠ م[21] .

وبعد مقارنة بين الترجمتين من جهة والترجمة العربية من جهة أخرى استخلص البحاثة د. ساسى أن الترجمة اليونانية رغم ما فيها من تغيير ومسخ تتشابه مع الترجمة العربية فى البساطة التى تلائم كاتبا اسلاميا متقدما كابن المقفع وأما الترجمة الفارسية لأبى المعالى نصر الله فيظهر فيها التغيير والتحريف ظهورا واضحا كما يظهر فيها أثر التغيير الذى تعرضت له الترجمة العربية منذ أن قام بها ابن المقفع فى القرن الثامن الميلادى الى أن قام أبو المعالى نصر الله بهذه الترجمة الفارسية فى القرن الثانى عشر الميلادى .

---

(١٨) ابن المقفع – عبد اللطيف حمزة – ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
(١٩) السابق ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
(٢٠) انظر ص ٢٤٦ .
(٢١) انظر ص ١٩٧ .

ونحن نقول للأستاذ ده ساسى أن الفترة الزمنية بين الترجمتين اليونانية والفارسية قصيرة وهى لا تتجاوز أربعين عاما واذا كانت الترجمة العربية قد طرأ عليها التغيير خلال الفترة التى انصرمت منذ ترجمة ابن المقفع حتى ترجمة أبى المعالى نصر الله فلابد أن هذه الترجمة العربية كانت قد تعرضت لتغيير مماثل حين قام سث بترجمتها ومعنى هذا أن الترجمة اليونانية لابد أن تكون هى الأخرى قد أخذت عن نسخة تغيرت واختلفت عن أصلها المقفعى نسخة تشبه فى مسخها واختلافها عن الأصل تلك النسخة التى أخذ عنها أبو المعالى نصر الله •

ثم اننا نقول لده ساسى اننا لا نستطيع أن نطلق حكما بمدى اقتراب الترجمة اليونانية أو ابتعادها عن ترجمة ابن المقفع الا اذا كان لدينا هذا الأصل المقفعى لنقارن بينه وبين الترجمات الأخرى وهذا الأصل كما ذكرت قد ضاع ولم يصل الينا الا محرفا وممسوخا •

سنقول : ولم لا نتخذ مقتبسات ابن قتيبة من كليلة ودمنة أساسا لمثل هذه الدراسة التقارنية ؟

أقول : لان هذه المقتبسات قليلة ومحدودة للغاية وهى لا تسمح اطلاقا لقيام هذه الدراسة التقارنية ومن جهة أخرى ما يدرينا أن تكون هذه المقتبسات نفسها لم تحرف وتتغير عن الأصل المقفعى الأول •

وأورد فيما يلى نص قصة الخب والمغفل فى كل من البنجاتنترا وكليلة ودمنة لنرى مقدار التغير الذى طرأ على الكتاب خلال رحلاته المتتالية وسأعتمد فى أيراد قصة البنجاتنترا على الترجمة العربية التى قام بها فى العصر الحديث الدكتور عبد الحميد يونس عن ترجمة فرنكلين أدجرتون الانجليزية للبنجاتنترا الهندية السنسكريتية وسأعتمد على نسخة الدكتور عبد الوهاب عزام لكليلة ودمنة فى ايراد النص العربى للقصة أما قصة البنجاتنترا فتقول (يحكى أنه كان هناك ولدان من أبناء التجار يعيشان فى احدى المدن وكانا صديقين حميمين اسمهما (الخب والمغفل) وصاقت بهما الأحوال فرحلا الى بلدة أخرى ليجربا حظهما فبينما هما فى الطريق عثر ابن التاجر المسمى المغفل جزاء له على ما قدم من الطيبات على ألف دينار فضى فى كيس كان قد خبأه أحد المرابين فتشاور

مع الخب وانتهيا الى قرار اتفقا عليه وقالا سوف نحصل بهـذا المـال على كل ما نحتاج اليه فنأخذه ونعود الى بلدتنا • وقفلا راجعين • وعندما اقتربا من موطنهما قال المغفل لنقتسم الدنانير ويأخـذ كل منا نصفها وندخل بيوتنا ونعيش فى أبهة بين أصدقائنا وأقاربنا وسائر الناس فقال له الخب وأضمر فى نفسه أن يخـدع صاحبه حتى يدبر خطة يغنم بها المـال لنفسه : أيها الصـديق ما دام لدينا ما نقتسمه فان المودة بيننا سوف تظل وثيقة لا تنفصم عراها وأرى أن يأخـذ كل منا مائة دينار ولندفن الباقى فى الأرض فى هـذه البقعة ونعود الى بيوتنا ونأتى فيما بعـد عندما تسمح الفرصة ونأخـذ منه ما نحتاج اليه فرد الآخر : كما تشاء • ونفـذا ما اتفقا عليه واخفيا باقى المـال بعناية فى باطن الأرض عند سفح شجرة وعـادا الى بيتيهما وفى خـلال ذلك العام انفق الخب نصيبه كله من المـال اذ بدده فى أغراضه الدنيئة وذلك لضآلة ماثره (التى اكتسبها بفعاله المـاضية) •

وأخـذ هـو والمغفل دفعة أخرى من المـال المدفون عند الشـجرة وأصاب كل منهما مائة دينار • وفى نهاية العام الثانى انفق هـذا المـال أيضا فى الأغراض نفسها • وقال الخب فى نفسه : لو اقتسمت معه الدفعة الثالثة من المـال وأخـذ كل منـا مائة دينـار فسوف يتبقى أربعمائة دينار وهـو مبلغ ضئيل جـدا لا يستحق السرقة • ولهـذا أرى أن استولى على الستمائة دينـار الباقية وأستاثر بهـا وحـدى • وبعـد أن استقر على هـذا الرأى ذهـب بنفسه الى الشجرة وأخذ ما تبقى من المـال وسوى الأرض فوق الموضع الذى كان مخبأ فيه •

ولم يمض على ذلك شهر واحد حتى ذهب للمغفل وقال له بدون أن ينتظر منه أن يدلى برأيه : أيها الصديق ان على دينا لابد من سداده فتعال معى لنقتسم المبلغ الباقى بالتساوى • فوافق المغفل وذهب معه الى ذلك الموضع وشرعا بحفران • وعندما أتما الحفر ولم يجـدا المـال اذا بالخب يلتفت الى زميله فى وقاحة ويضرب رأسه بحجر ويقول له فى غضب شديد أيها المغفل لابد انك سرقت المـال ولم يختلسه أحـد غيرك وعليك الان أن تدفع لى نصفه فقال الآخر : لست بالرجل الذى يقـدم على مثل هـذه السرقة • ولست اشـك فى انك الذى سرق المـال •

وتشاجرا وذهبا الى المحكمة وعند نظر القضية استمع القضاة الى أقوالهما وأمروا بالقبض عليهما معا لان الأمر كان من الغموض بحيث يصعب معه الوصول الى حكم قاطع وانقضت خمسة أيام فقال الخب للقضاة أن لدى شاهدا فى أمر الدنانير فاسالوه • وراودهم الامل فى أن يفصلوا فى القضية فسألوه : من هـو شاهدك ؟ قـدمه لنا فقال : ان شاهدى هـو الشجرة نفسها التى كان المبلغ مدفوعا عند جـذورها •

فاندهش القضاة وقالوا : كيف يتأتى لشجرة أن تقـدم الدليل ؟ حسنا عليـه أن يثبت قوله غـدا • وسمحوا لكل منهما بالذهاب الى بيته بعـد دفع كفالة معلومة ولـما ذهب الخب الى بيته توسل الى أبيه قائلا : ابتاه أن الدنانير بين يدى ولكن بقاءها فى حوزتى يتوقف على كلمة واحـدة منك • فقال أبوه : وماذا تريد منى أن أفعل ؟ فأجاب : عليك أن تختبىء فى داخل جـذع الشجرة الليلة وأن تظل مختبئا هناك وعندما يسألك القضاة غـدا عليك أن تقول : ان المغفل هـو الذى أخـذ المـال •

واصطحب الخب أباه برغم ارادته ووضعه فى جوف الشجرة وفى الصباح تليت نصوص من مجموعة القوانين أمام الشجرة فى حضور قضاة المحكمـة فسمع صوت من الشجرة يقول : ان المغفل هو الذى أخـذ المـال •

وعندما سمع المغفل هذه العبارة قال فى نفسه : كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ لان ما حـدث أمر مريع ومستحيل • ومن ثم سوف أتسلق الشجرة وأفحصها بنفسى ونفـذ عزمه بلا تردد ثم هبط من الشجرة وجمع أكـواما من الحطب والأوراق الجافة وملأ بها جـوف الشجرة وأضرم فيها النار•وعندما أحرقت النار بلهبها والد الخب وكاد جسده أن يحترق جحظت عيناه وصرخ فى صـوت يفتت الأكباد وخرج من جوف الشجرة وهـو يكاد يشرف على الموت وهوى على الأرض فدهش الجميع وحملقوا فيه وبادروه بالسؤال : ما معنى هـذا ؟ •

فأجاب : ان ابنى الخب هـذا الشرير هـو الذى زج بى فى هـذا المـأزق وما كاد يفرغ من قوله هـذا حتى مات • وأدرك قضاة الملك الحقيقة وأمروا بإعطاء المـال للمغفل وقتلوا الخب على السفود ولهـذا أقـول : الخب والمغفل لا يقل أحـدهما سوءا عن الآخر فالابن تسبب فى اختناق أبيه بالدخان لانه

اشتط فى الاحتيال)[٢٢] .

ويروى ابن المقفع القصة فيقول (زعموا أن رجلين أحـــدهما خب والآخر معفل اشتركا فى تجاره . فبينما هما يتمشيان اذ وجدا بدرة فيها ألف دينـــار فأخذاها وبدا لهما أن يرجعا الى مدينتهما فلما دنوا منها قال المغفل للخب : خذ نصفها وأعطنى نصفها فقال الخب وكان قد أضمر الذهاب بها كلها:لا فان المفاوضة ادوم للمصافاة ولكن يقبض كل واحـــد منا شـــيئا ينفقـــه وندفن بقيتها مكانا حريزا فاذا احتجنا اليها استثرناها .

فأجابه الى ذلك ودفناها تحت شجرة عظيمة ثم خالف اليها الخب فذهب بها ولقيه المغفل فقال : اخرج بنا الى وديعتنا فلنقبضها فانطلقـــا الى المكان فاحتفراه فلم يجـــداها فجعل الخب ينتف شعره ويدق صـــدره ويقول : لا يثقن أحـــد بأحـــد رجعت اليها فأخـــذتها . وجعل المغفل يحلف أنه ما فعل ثم انطلق به الى القاضى فقص عليه الأمر فقال له : هل من يشهد ؟ قال : نعم الشـــجرة تشهد لى بما أقول . فأنكر ذلك عليه القاضى أشـــد الانكار وأمر به فكفل وقال : وافونى به غـــدا باكرا فانصرف الى أبيه وأعلمه بذلك .

وقال : انى لم أقل الذى ذكرت الا لأمر قـــد رأيت فيه فان أنت طاوعتنى أحرزنا ما أخـــذنا وأضفنا اليه مثـــله من المغفل فقـــال : وما ذاك قال : انى قـــد كنت توخيت بالدنانير شجرة عظيمة من الدوح جـــوفاء فيها مدخل لا يرى فدفنته فى أصلها ثم خالفته اليها فأخـــذتها وادعيت على المغفل فأنا أحب أن تذهب الليله فتدخلها فاذا جاء القاضى فسألها قلت : المغفل أخـــذ الدنانير فلم يزل به حتى اطاعه واتبع رأيه .

فلما انتهى القاضى الى الشجرة وسألها أجابه من جوفها بأن المغفل أخـــذ الدنانير فاشتد عجبه من ذلك وطاف بها فلم ير شيئا فأمر بحطب فجمع والقى عليها وجعل فيه نارا فلما دخل عليه الدخان ووصل اليه الوهج تصبر ساعة ثم

---

(٢٢) الأسفار الخمسة أو البنجاتنترا ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ ص ١٠٨ : ١١٣ .

صاح فأخرج بعـــد ما أشفى على الموت ثم عاقبه القاضى وابنه فمات الشيخ وانصرف به ابنه يحمله ميتا ورجـع المغفل وقـد أخـذ الدنانير وفلـــج عليهما)(٢٣) •

والاختلاف واضح فى نص القصة فى كل من البنجاتنترا وكتاب كليلة ودمنة وفى التفاصيل الجزئية فالذى قام بحرق الشجرة فى قصة البنجاتنترا هــو المغفل فى حين الذى قام بحرقها فى كليلة ودمنة هــو القاضى نفسه •

وكل من الوالد والابن يلقى حتفه جزاءا له فى البنجاتنترا فى حين لا يلقى هـذا المصير الا الأب فقط فى كليلة ودمنة •

ونجـد فى قصة البنجاتنترا القاضى يصرف كلا من الخب والمغفل بكفالة فى حين أنه لا يكفل الا الخب فى كليلة ودمنة •

وقـد نصت البنجاتنترا على أن بدرة النقود التى عثر عليها الصـديقان كانت لأحـد المرابين فى حين لم تنص قصة كليلة ودمنة على مصـدر هـذه النقود والمغفل هـو الذى عثر على البدرة فى البنجاتنترا فى حين عثر الصديقان الخب والمغفل معا عليها فى كليلة ودمنة •

ولكن هـذا الاختلاف انما هـو فى التفاصيل الجزئية للقصة أما المضمون العام فواحـد فى كل منهما وكذا المغزى الخلقى والفكرة الفلسفية التى اشتملت عليها كل من القصتين •

وهنا أريد أن أدلى بملاحظة أراها غاية فى الأهمية وهى أنه مهما اختلفت النسخ والترجمات لكتاب كليلة ودمنة فانها تتفق فى مضامينها العامة ومغازيهـا الخلقية وأفكارها الفلسفية التى تتضمنها جميعا والاختلاف بينها يكون عادة فى التفاصيل الجزئية فقط وكذا فى النص وذلك لان النساخ والمترجمين لم يراعوا المحافظة على النص لان قيمة الكتاب كما تصوروا انما كانت تكمن فى مضامينه

---

(٢٣) كليلة ودمنة ـ عبد الوهاب عزام ص ٩١ : ٩٣ •

ومغازيه وأفكاره أكثر مما تكمن فى نصه وقد حافظ النساخ والمترجمون على هذه المضامين والمغازى والأفكار وتصرفوا فى النص أو النقل لم يجهدوا أنفسهم فى النقل الدقيق للتفاصيل الجزئية للقصص ولهذا اختلفت نسخهم وترجماتهم فى نصوصها وكذا فى تفاصيلها الجزئية واتفقت جميعا فى مضامينها ومغازيها وأفكارها الأخلاقية والفلسفية .

والعبارة الختامية فى قصة البنجاتنترا السابقة غامضة وغير مفهومة فيما أرى فاذا كان الخب سيئا لانه شرير ولانه تسبب فى موت أبيه فلماذا يعتبر المغفل كذلك ؟ اللهم الا اذا قيل أنه هو الذى قد تسبب فى موت والد الخب عندما أحرق الشجرة . ولكن هذا ان كان قد وقع منه فلم يكن بتعمد مسبق منه لانه لم يكن يعرف أن الشيخ هو الذى كان يتحدث فى داخل الشجرة .

الفصل الثالث

فابولا الحيوان المستقاة من كليلة ودمنة

كانت فابولا كليلة ودمنة المنبع الأول الذي استقى منه الأدباء معظم فابولاتهم الحيوانية فيما بعد .

وسأحاول فى هذا الفصل أن أتناول فابولا الحيوان التى انتقاها أصحابها من كليلة ودمنة ونسجوا فيها على منوال ابن المقفع الأستاذ الأول لفابولا الحيوان فى الأدب العربى والذى جعل لها أسسا وقواعد جديدة سار عليها كل من جاء بعده من مؤلفى الخرافات وكان ابن المقفع أول من خصص كتابا مستقلا لفابولا الحيوان فى الأدب العربى .

وكانت حكاية الحيوان قبل ابن المقفع تتردد على الألسنة كباقى أنواع الأدب الشعبى ولكن ابن المقفع جعل للفابولا كيانا مستقلا من جهة ثم انه أوجد فيها بعض العناصر الجديدة وجعلها ذات طابع خاص ، وذات هدف تعليمى تميزت به عما سبقها من الخرافات وكان عمله هذا جديدا من نوعه والجديد يجذب اليه الأنظار دائما لذا فقد تلقف الصغار والكبار كتاب ابن المقفع وأخذوا يرددونه فيفتتن الصغار بحيواناته وما يجرى على لسانه وما يقترن به من مغامرات ويتمعن الكبار فى معانيه وما يشتمل عليه من دروس نافعة ومواعظ مفيدة وما تنطوي عليه من حكم وأمثال وبلغ الأمر ان عمد الصغار الى حفظه الى جانب آيات القرآن الكريم على نحو ما يروى الجاحظ .

(*) وهى القصة التى تجرى على لسان الحيوان ويقابلها مصطلح « خرافة الحيوان » .

وقد ساهم البرامكة فى العناية بالكتاب وتوجيه الأنظار اليه فقدموا الجوائز النفيسه لمن يقوم بترجمته من الفهلويه ترجمه اخرى غير ترجمه ابن المقفع أو لمن يحاكيه أو ينقله شعرا لذا فقد أقبل العلماء والأدباء على الكتاب باحثين الوسائل التى تقربه من نفوس البرامكة ويروى لنا حاجى خليفة « ان عبد الله بن هلال الاهوازى قام بترجمة الكتاب من الأصول الفهلوية التى لم تكن ضاعت بعد وأن هذه الترجمة كانت الثانية بعد ترجمة عبد الله بن المقفع وقد قام عبد الله بن هلال الاهوازى بترجمة الكتاب بأمر من يحيى بن خالد البرمكى سنة ١٦٥ هـ فى خلافة المهدى »(١) .

وقام سهل ابن نوبخت الحكيم بنظم الكتاب ليحيى بن خالد وزير المهدى والرشيد فلما وقف عليه أجزاه بألف دينار(٢) .

كما قام ابان بن عبد الحميد بنظم الكتاب للبرامكة ونظمه كذلك على بن داود كاتب زبيدة ابنة جعفر زوج الرشيد ، ثم نظم بعده سهل بن هارون كتابا سماه « ثعلة وعفراء » حاكى فيه كتاب كليلة ودمنة وقد أشار اليه ابن النديم فى « البلغاء » وعده من الشعراء والكتاب وقال انه شاعر مقل وانه كان يعمل الأسحار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم هو وعبد الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيدة وله كتاب النمر والثعلب ونظمه كذلك ابن الهباريه المتوفى سنة ٥٠٤ هـ فى كتاب نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة كما حكاه فى كتابه الصادح والباغم وبعد ذلك نظمه القاضى الأسعد بن مماتى المصرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ لصلاح الدين الأيوبى(٣) .

ثم نظمه أو نظم شيئا منه عبد المؤمن بن الحسن الصاغانى فى القرن السابع الهجرى وسماه « درر الحكم فى أمثال الهنود والعجم » .

ويذكر أحمد أمين ان هذه المنظومة لابن الهبارية وان الصاغانى قد أكملها فقط(٤) ومن هذه المنظومة نسخ خطية فى فينا وميونيخ .

---

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٨ .
(٢) الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٩٢ .
(٣) وفيات الأعيان ابن خلكان ج ١ ص ٨٤ .
(٤) ضحى الاسلام أحمد أمين ج ١ ص ١٢٢ .

ثم قام جلال الدين النقاش بنظمه فى القرن التاسع ومن نظمه نسخة فى مكتبة الآباء اليسوعيين فى بيروت وأخرى فى المتحف البريطانى(٥) .

ومن الكتب التى الفت فى هذا الموضوع كتاب « الصادح والباغم » لابن الهبارية وكتاب « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » لأبى عبد الله محمد بن أبى القاسم المعروف بابن ظفر وكتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » وكتاب « مرزبان نامة » لابن عرب شاه وفى كشف الظنون(٦) ان أبا العلاء المعرى ألف كتابا أسماه « القائف » على مثال كليلة ودمنة وهو فى ستين كراسة ولم يتم وان له كتاب « منار القائف » يتضمن تفسير « القائف » فى عشر كراريس ونظمه أبان بن عبد الحميد للبرامكة أيضا .

أولا : نظم أبان بن عبد الحميد اللاحقى

قام أبان بن عبد الحميد اللاحقى بنظم كتاب كليلة ودمنة وقد بدأه بقوله :

هذا الكتاب أدب ومحنه ... وهو الذى يدعى كليلة ودمنة
فيه دلالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهند
فوصلوا الآداب كل عالم ... حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله ... والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ ... كذا على اللسان عند اللفظ

الى أن يقول :

أشهد أن الله فرد واحد ... أقر أو أنكر ذاك جاحد
ليس له كفؤ ولا ند أحد ... لم يلد الله ولا له ولد
واننى بما عملت مرتهن ... ما كان منه من قبيح وحسن

وتخبرنا الروايات أن يحيى بن خالد البرمكى أشار على أبان بنظم الكتاب

---

(٥) قصص الحيوان فى الأدب العربى الدكتور عبد الرازق حميدة ص ١٣٧ .
(٦) ج ٢ ص ١٣٣ .

ففعل فكافأه بعشرة آلاف دينار واعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف دينار(٧) •

وقـــد عرف ابان كما يروى ابن النديم(٨) بنقل الكتب من النثر الى النظم ونظم ابان للكتاب قصة طريفة مع ابى نواس يرويها لنا ابن المعتز فيقول :

« كان ابان بن عبد الحميد اللاحقى شاعرا أديبا منطقيا مطبوعا فى الشعر ، مقتدرا عليه يقتضب الخطب ، ويرسل الرسائل الجياد ، وهـــو صاحب البرامكة وشاعرهم وصاحب جوائزهم للشعراء وهـــو يستخرجها لهم ، ويفرقها عليهم وهـــو الذى نقل كتاب كليله ودمنة شعرا بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة ، وهى هـــذه المزدوجة التى فى أيدى الناس • وكان الذى استدعى ذلك وأراده يحيى ابن خالد بن برمك ، وكان قـــد اختار له أبا نواس ، فسار اليه فقال كالناصح : انت رجل مغرم بهـــذا الشراب لا تصبر عليه ، ومن الاجتماع مع اخـــوانك عليه ، وهى لذتك من الدنيا ومتعتك • وهـــذا كتاب مشهور ولم ينقل الى هـــذا الوقت من المنثور الى الشعر واذا فعل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيـــه فن أنت توليته مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوافر عليك فكرك وخاطرك ولم يخرج بالغا فى الجودة والحسن أو أن توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ولذتك ومتعتك ، فلا تقـــدم عليه الا بعـــد امعان النظر فى أمرك • فظن أبو نواس أنه قـــد نصح له واستثقال الأمر فيه فاستعلى عنه وتخلى به اللاحقى ولزم بيته لا يخرج حتى فرغ منه فى أربعة أشهر وهى قريبة من خمسة آلاف بيت لم يقـــدر أحـــد من الناس أن يتعلق عليه بخطأ فى نقله ولا ان يقول : ترك من لفظ الكتاب أو معناه ثم حمله الى يحيى بن خالد ، فسر به سرورا عظيما واعطاه على ذلك مائة ألف درهم فحزن أبو نواس وتبين له أن أبان اللاحقى كان قـــد احتال عليه فهـــذا سبب ما كان بينهما من عـــداوة »(٩) •

وكان يحيى بن خالد البرمكى قـــد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجـــوائز الى ابان فلم يرض أبو النواس المرتبة التى جعله فيها وكان ذلك سببا لمهاجاة بينهما وبينما ينص ابن المعتز على أن منظومة ابان كانت فى خمسة آلاف

---

(٧) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٤١ – طبعة دار المعارف •

(٨) الفهرست ١٧٢ ط المطبعة الرحمانية – بالقاهرة •

(٩) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ط دار المعارف بمصر •

بيت فان بعض الروايات الأخرى تزعم أنها كانت فى أربعة عشر ألف بيت(١٠).

وسواء كانت المنظومة خمسة آلاف أو أربعة عشر ألف بيت فقد ضاعت وضلت طريقها الينا ولم يصلنا منها عدا خمسة وسبعين بيتا تقريبا نقلها الينا الصولى فى كتابه « الأوراق »(١٢) والذى يتتبع هذه الأبيات التى أوردها الصولى لابان يجد أنها نظم لمواضع متفرقة من كتاب كليلة ودمنة بعضها من المقدمة والبعض الآخر من باب « الأسد والثور » وثالث من باب « الحمامة المطوقة » وان كان الصولى يجمعها كلها تحت باب « الأسد والثور » ولذا بدت الأبيات مفككة وغير مترابطة وقد لاحظ المستشرق « هيوارث دن » فى ذيل كتاب « الأوراق » عندما أورد البيت :

قال لـه السبع لقد سمعت

وكل ما تقول قد فهمت

حيث يقول فالضمير فى « له » لم يتقدم مرجعه فى هذه الأبيات المختارة وقد أورد الصولى فى الكتاب نفسه ما يدل على أنه اختار هذه الأبيات من أماكن متفرقة وفى عبارته شىء من الاضطراب .

قال أبو بكر فى ختام هذه الأبيات « والله ما أدرى ما أخذت وما تركت ولو علمت حقيقة هذه القصيدة ما ضمنت ما تضمنت ، لانها قصص لا يحسن بعضه الا ببعض والاحسان فيها قليل فقد اضربت عن ذكرها والاختيار منها . وفيما حكينا مما ذكرناه منها غنى وكفاية » .

وأسوق فيما يلى بعض أبيات المنظومة من باب « الحمامة المطوقة » وان كان الصولى يذكرها تحت باب « الأسد والثور » يقول ابان :

---

(١٠) دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب تاليف بطرس البستانى دار المعرفة ـ بيروت ـ ج ١ مادة ابان .

(١١) الخطيب البغدادى شارع بغداد ج ٧ ص ٤٤ ط القاهرة ١٩٣١ .

(١٢) ص ٥٠ كتاب « الأوراق » .

الأهــل والاخــوان والأعــوان عند ذوى الأموال حيث كانوا
والمــال هــادى الرأى والمروة وهــو على كل الأمور قـــوة
والمــال فيــه العــز والجمال والــذل حيث لا يكون المــال
وربمــا دعــا الفقــير فقــره الى التى يحبط فيهــا أجــره
فيخسر الدين كمــا كان خسر دنيــاه والخسران مالا ينجبر
وليس من شىء يكون مدحــا لذى الغنى الا يكون برحــــا
على الفقــــير ويكون ذمــــا كــذاك يدعــى بــه يبســـمى
فان يكن نجــدا يقولوا أهوج كــذاك عنــد الحرب لا يعرج
وهــو اذا كان جــوادا سيدا ســمى للفقــر مضــيعا مفسدا
أويك ذا حلم يقل ضــعيف أويك بســاما يقــل ســخيف

وأصل هــذه الأبيات كما جاء على لسان الجرذ الذى جفاه أصحابه عندما ضعفت قوته عن الصعود الى السلة لاحضار الطعام بعــد أن أخــذ الناســك كيس الدنانير من جحره الذى كان مصدر قــوته فقال الجرذ بنغمة حزينــة بائســــة :

« وما أرى التبع والاخــوان والأهل الا مع المــال ، ولا تظهر المروءة والرأى والمودة الا به فانى وجــدت من لا مال له اذا أراد أن يتناول أمرا قعد به عنه العــدم • كالمــاء الذى يبقى فى الأودية عن مطر الصيف ، فلا هــو الى بحر ولا الى نهر فيبقى فى مكانه لانه لا مادة له ووجــدت من لا اخــوان له فلا أهل له ، ومن لا ولد له فلا ذكر له ، ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة ، ومن لا مال له فلا عقل له ، لان الرجل اذا أصابه الضر والحاجة رفضه اخــوانه وقطع ذو قرابته وده وهان عليهم ، واضطرته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله الى التماس الرزق فيما يغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته ، فاذا هــو قــد خسر الدنيا والآخرة فلا شىء أشد من الفقر ، فان الشجرة النابتة فى السباخ المــأكولة من كل جانب أفضل حالا من الفقير الذى يحتاج الى ما فى أيدى الناس فالفقر رأس كل بلاء وداعية المقت الى صاحبه ، وهو مسلبة للعقل والمروءة ، ومذهبــة للعلم

والأدب ، ومعــدن للتهمة ، ومجمعة للبلايا ، ومن نزل به الفقر لم يجـد بدا من ترك الحياء وتضييعه ، ومن ذهب الحياء منه ذهب سروره ومروءته ومن ذهبت مروءته مقت ومن مقت أوذي ومن أوذي حزن ، ومن حزن فقـد عقله واستنكر فهمه وحفظه ، ومن أصيب فى ذلك كان أكثر قوله عليه لا له • ووجـدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا ، وأساء به الظن من كان يظن به حسنا ، فان أذنت غيره وكان للتهمة موضعا • وليس من حلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم فان كان جـوادا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا ، وان كان وقورا سمى بليدا ، وان كان لسنا سمى مهـذارا ، وان كان صموتا سمى عييا ، فالموت أهـون من الفاقة التى تضطر صاحبها الى المسألة وتضع المرء بموضع الهوان ، وتدنيه بعـد ارتفاعه أو تقصيه بعـد تفرقه وتبعـده بعـد توسطه ، وتزرى به وتمقته بعـد المحبة ، ولا سيما مسألة الاشحاء الأدنياء اللؤماء ، فان الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم التنين فيستخرج منه سما فيبتلعه كان أخف عليه من الطلب الى اللئيم » •

وفيما يلى بعض أبيات المنظومة فى باب الأسـد والثـور حيث يقول ابان :

وان مـن كـان دنىء النفس	**يرضى من الأرفـع بالأخس**
كمثل الكلب الشـقى البائس	**يفرح بالعظم العتيق اليـابس**
وان أهـل الفضـل لا يرضيهم	**شىء اذا ما كـان يغنيهم**
كالأسـد الذى يصـيد الأرنب	**ثم يرى العـير المجـد هرب**
ويرسـل الأرنب من أظـافره	**ويتبع العـير على أدباره(١٣)**

ويقابل هـذه الأبيات قول ابن المقفع فى باب الأسـد والثور « فادنأ الناس وأضعفهم مروءة الذين يرضون بالقليل ويفرحون به كالكلب الذى يصيب عظما ما يابسا فيفرح به ، فأما أهـل المروءة والفضل فلا يعنيهم القليل ولا يفرحون به دون أن يسمو الى ما هم له أهـل ، كالأسـد الذى يفترس الأرنب فاذا رأى

---

(١٣) الأوراق ص ٤٧ •

الغير نتركه وأخـذها أولا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه كثيرا حتى تلقى اليه الكسرة » .

وبالمقارنة بين النصين يتبين لنا الى أى حد راعى ابان الدقة فى نظمه وأنه لم يترك شيئا ذكره ابن المقفع فى النص السابق الا أتى به فى نظمه وانما يعزى هـذا الى أمانة ابان فى نظمه وأنه جعل نفسه فى موقف المترجم الذى لا ينبغى أن يحرف ما يترجمه أو يغير منه وهـذا أقـل ما يمكن أن يقـدم الى ابن المقفع وفابولاته التى تكمن قيمتها فى طريقة أدائها كما وضعها ابن المقفع ولـو بعـدت عن هـذا الأداء لفقدت سحرها وجاذبيتها وبهاءها ولصارت شيئا آخر •

ونحن لا ننكر أن الشعر لا يعطى امكانات النثر ووسـائله فى السرد القصصى ولكن — يجب الا نغفل عن الموسيقى التى يبعث بها الايقاع الشعرى والتى تضفى على النص حركة وحيوية ويجعله ينبض بالحياة وخاصة فى هـذا المجتمع الذى قـدم اليه ابان منظومته والذى كان يعجب بالشعر أكثر من النثر •

وقـد اتبع ابان فى نظمه طريقة معينة فى البحر والقافية — أما البحر فقـد اختار الرجز لسهولته ورنينه الجـذاب ولكثرة ما يدخله من زحافات وعلل تجعل من اليسير على الشاعر أن يحول ويتحرك متحررا من قيود الوزن فى البحور الأخرى • وأما القافية فقـد اختار ابان القافية المزدوجة التى يمكن أن يغيرها من بيت الى بيت مما يجعله يتحرر من قيود القافية الواحـدة التى يكون مجال الاختيار فيها محـدودا •

وقـد كان لابان فضل السبق فى نظم كليلة ودمنة •

وقـد مهد الطريق لمن جاءوا بعـده ولفت أنظارهم الى نظم الكتاب فانه يسهل حفظه من جهة ومن جهة أخرى يجعله يتردد على ألسنة الصغار والكبـار فيظل محفوظا فى افئدتهم وفى عقولهم • وبهـذا لا يضيع ولا يفقـد أو على الأقل يظل محفوظا فترة من الزمن حتى تسلم الفكرة الى منظومة أخرى وهـذا ما حـدث فقد ظلت منظومة ابان محفوظة حتى عصر ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هـ(١٤) •

---

(١٤) نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة •

فقــد تلقف ابن الهبارية منظومة ابان وقرأها وحاول أن يتفوق عليها فى منظومته وهــو يزعم فى مقــدمة المنظومة أن نظمه يتفوق على نظم أبان حيث يقـــول :

متبعــا فيــه ابان اللاحقــى وليس وهــو ســابقى بلاحقى

فان يكن أقـــدم منى عصرا فاننى أحسن منــه شـــعرا

لا تحسبوا تقــدم الزمـــان برافــع فى الشـــعر من ابان

ومعنى هــذا أن منظومة ابان كانت موجودة فى عصر ابن الهبارية وكانت ذائعــة الصيت تتردد على الألسنة ولئن ضاعت منظومة ابان بعــد هــذا فانها قــد تركت ابنة لهـــا تحمل اسمها وتخلد ذكراها وتنبىء عنها وأعنى بها منظومة ابن الهبارية •

ثانيا : نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة لابن الهبـــارية(١٥)

المتوفى سنة ٥٠٤ ه وقــد طبع هــذا الكتاب فى المطبعة اللبنانية بعبــدة لبنان سنة ١٩٠٠ م وقــد نشره الخورى نعمة الله الأسمر المــاروني اللبناني وقــدم له بمقــدمة قيمة قال فيها : « •••• اننى لمــا كنت فى شهبا مديرا لشئون مدرسة القــديس أنطونيوس البارودى لطائفة الأرمن الكاثوليك وفقت الى وجود كتاب كليلة ودمنة شعرا من نظم الوزير الشريف أبى يعلى على ابن أحمــد بن الحسين المعروف بابن الهبــارية خطتــه يد الكاتب الب بن عبد العزيز بن الب فى شهر ذى الحجــة الحرام سنة سبع وأربعين وسبعمائة هجرية فتصفحته فاذا هــو فى غاية ما يكون من الاتقان ولولا النزر اليسير من

---

(١٥) هـو الشريف ابو يعلى على بن احمد بن الحسين ينتهى نسبه الى عبد الله ابن العباس وهـو يعرف بابن الهبارية ويلقب « نظام الدين البغــدادى » كان شاعرا مجــدا حسن المقاصــد لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع فى الناس لا يكاد يسلم من لسانه احــد (دائرة المعـــارف قاموس عام لكل فن ومطلب تاليف بطرس البستاني ــ دار المعرفة بيروت ــ لبنان الجزء الأول مادة ابن الهبارية) •

أغلاط النسخ لكان آية السلامة من التحريف بين الكتب الخطية القـديمة وقـد قابلت بينه وبين النثر فلم أجـد فرقا فى حسن السـبك ومتانة التركيب وانمـا وجـدت اختلافا فى ترتيب الأبواب • ثم فى خلو الشعر من مثل الرجل الخائف من الذئب وهـو أول أمثال باب الأسـد والثور ومن بعض فقرات من سـائر الأبواب ومن باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب وهـو آخر أبواب الكتاب •

ولعل ذلك ينسب لأمرين سهو الناسخ عن البعض ، وعـدم وجود البعض الآخر فيما أخـذ عنه الناظم ووجـدت فرقا فى باب أيلاذ وبلاذ فقـد سماه الناظم هيلار وبيلار مع بعض اختلاف فى سياق المثل •

وقـد أشار الخورى فى المقـدمة الى أن حـذف بعض الأمثال والحكم والأقـوال التى يترفع أهـل العصر عن مطالعتها وهـذا مما يؤخـذ عليه فان الأمانة العلمية كانت تقتضيه أن يبقى على الكتاب كما هـو وكما عرضه صاحبه ويذكر فى الخاتمة أنه قام بنظم باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب ولا بأس عليه فى ذلك ما دام قـد أشار اليه •

وتتكون المنظومة من مقـدمة وخمسة عشر بابا وخاتمتين وقـد اهـدى ابن الهبارية المنظومة الى أبى الفضل أسـعد بن موسى القمى الملقب بمجـد الملك وكان يتولى رئاسة ديوان الاستيفاء فى عهد ملكشاه السلجوقى •

ويبدأ ابن الهبارية المنظومة بقوله :

الحمـد لله على ما خـولا	**من نعمـة جاد بهـا تطـولا**
حمـد مقر بوجـوب الحمـد	**عليـه لله القـديم الفرد**

وفى المقـدمة يمـدح ابن الهبارية مجـد الملك بقوله :

فـارج كـل كـربة وضنـك	**بصاحب الأصحاب مجـد الملك**
مشـيد الدولة شمس الـدين	**موئل كـل بائس مسـكين**
الطـاهر الأعـراق والأخـلاق	**وقاسـم الآجـال والأرزاق**

وليس للمـــلك مــن الآلات غير ابن موسى ســيد الكفــاة

قــد غنى الملك برأى مجــده عن مالــه وجنـده وجــده

لأجـله نظمــت ما قــد نثروا فأنني بمــدحه مشــتهر[16]

ويذكر ابن الهبارية فى المقــدمة أنه بدأ منظومته وهــو فى طريقه الى كرمان اذ يقــول :

وكنت مذ فارقت أصـــبهانا مستبدلا مــن ربعهـــا كرمانا

وصرت عنــد ســيد الملوك ايران شـــاه موئل الصعلوك

بهاء الدين الله ســلطان الأمم بحر الندى شمس الهدى مولى النعم

يئست من عــودى الى العراق وقلت للاخــوان لا تلاقى

لكن تذكرت ابن موسى المفضلا لانه كــان الحبيــــب الاولا

وهــو بمدحى وبشــكرى أولى لابد لى من أن أقــول قــولا

وقلت ان النعمـــة الجـزيلة جزاؤهـــا بخـــدمة جليـــلة

لأنظمــن النثر فى كليـــــلة وان غــدت خواطرى كليلة[17]

وأشار الى حفظ يحيى بن خالد لنظم ابان بقوله :

وان لى فى نظم ذا الكتـــاب فضـــلا على الأقران والأحزاب

أراد يحيى حفظــه فمــا قــدر الا بمـــا قال ابان اذ شــعر

كلت طباع القــوم دون نظمه وعجزوا عن ســبكه لعظمـــه

الا ابان اللاحقـــى الكـــاتب فـــانه فى نظمـــه لغـــالب

---

(١٦) نتائج الفطنة ص ٦ ، ٧ ، ١٠ تحقيق الخورى نعمة الله الأسمر المارونى طبعة بيروت .

(١٧) مقـدمة الناظم للكتاب ص ٧ ، ٨ .

ثم ابو يعــلى أنا فانــي — نظمتـــه بالجهـــد والتعنى
متبعــا فيــه. ابان اللاحقــى — وليس وهــو ســابقى بلاحقى
فان يكن أقــدم منى عصرا — فاننى أحسن منــه شــعرا
لا تحسبوا تقــدم الزمـــان — برافــع فى الشعر من ابان(١٨)

واذن فكل من حــاول نظم الكتــاب عجز عنــه عــداه وعدا ابان وكأنه لا يقر بمنظومات من سبقه أمثال الفضل ابن تربخت وعبد الله بن هلال الاهوازى وعلى بن داود •

ويقول ابن الهبارية فى فضل كتابه :

وان لى فى نظم ذا الكتــاب — فضلا عن الأقــران والأضراب
لانه خــير كتــاب صــنفا — وفيــه علم مثــله ما ألفــا
فيــه لأرباب الرجــال عــبره — يزيد بالدهــر الخبير خــبرة
ســار مسير الشمس فى الآفاق — يضىء فى النفــوس والأخــلاق

وفى المقــدمة يدعى ابن الهبارية أن نظمه يتفوق على نظم ابان اللاحقى وهــذا فيه نظر •

بل أرى أن نظم ابان يتفوق على نظم ابن الهبارية تشهد على ذلك الأبيات التى بقيت من منظومة اللاحقى والتى اثبتها الصولى فى كتابه الأوراق وما اسخف قول ابن الهبارية بعــد أن فضل نفسه على ابان(١٩) :

تاعتبروا النظمين يا ســاداتى — فأنتم أعــرف بالأبيـــات

وشعره بصفة عامة ضعيف ومهلهل النسيج وفيه شبه بأقوال العوام كما

---

(١٨) مقـدمة الناظم ص ٩ ، ١٠ •
(١٩) نتائج الفطنة ــ الخاتمة •

هـو الشأن فى البيت السابق ومثه قوله عن الاخاء :

وانمـا الاخـاء للمؤاخى ... كأنـه مغرفـة الطبـاخ
يقى بهـا حر الطبيخ كفـه ... صـحيحة اذا أراد غرفـه
حتى اذا ما دهرها أفسـدها ... وأصـبحت مكسورة أوقـدها

وقـد نظم ابن الهبارية كتابه فى عشر ليال كما يقول :

تم الكتـاب وانقضـت أبوابه ... كالدر اذ يزجى به سـحابه
باد لـكل فاضـل صـوابه ... مؤدبا أن قبلـت آدابـه
بسـعد مجـد الملك دام ملكه ... فوصـفه در ونظمى سـلكه
حرزت فى عشر ليـال عقـده ... ولم أطق حتى استعنت جده(٢٠)

وأما أبواب المنظومة الخمسة عشر فهى :

١ ـ باب برزويه طبيب فارس .
٢ ـ باب الأسـد والثور .
٣ ـ باب البحث عن أمر دمنـة .
٤ ـ باب الحمامة المطوقة .
٥ ـ باب البـوم والغربان .
٦ ـ باب القرد والغيلم
٧ ـ باب الناسـك وابن عرس .
٨ ـ باب هيلار ملك الهند ووزيره .
٩ ـ باب السنور والجرذ .
١٠ ـ باب الطائر فنزة والملك .
١١ ـ باب الأسـد وابن آوى الناسك .
١٢ ـ باب السائح والصائغ .

---

(٢٠) مقـدمة الناظم ص ٩ ، ١٠ .

١٣ ــ باب ابن الملك وأصحابه •
١٤ ــ باب اللبؤة والأسوار والشعبر •
١٥ ــ باب الناسك والضيف •

ثم قام الخوري نعمة الله بنظم باب « الحمامة والثعلب ومالك الحزين » والحقه بأبواب الكتاب وأشار الى أنه من اضافته حيث يقول « ليس هذا الباب منظوما فى الأصل والذى أراه أن الناسخ أغفله لا الناظم ، فالذى نظم الكتاب كله فى عشر ليال لا يعجز عن هذا الباب الوجيز وقد نظمته كى لا يبقى غريبا »(٢١) •

على أن هذا الباب لا يوجد فى نسخة كليلة ودمنة للدكتور عزام ، ولا فى نسخة الأب لويس شيخو ، ولا فى نسخة ده ساس ، كما أنه غير موجود فى نسخة أبى المعالى الفارسية •

ولعل ابن الهبارية قد اعتمد على نسخة لا تشتمل على هذا الباب ، أو أن يكون الباب قد أضيف الى الكتاب فى فترة زمنية متأخرة عن ابن الهبارية • وبدهى أن لا يوجد فى كتاب نتائج الفطنة باب « خطبة الكتاب » فى كليلة ودمنة لانه وضع فى عصر « محمد على » ، ولا يوجد فى الكتاب أيضا باب « مقدمة الكتاب » لبهنود بن سحوان فى كليلة ودمنة وربما يرجع هذا الى أنه كان غير معروف لابن الهبارية وان كان بهنود بن سحوان قد توفى سنة ٣٠٢ هـ أى قبل ابن الهبارية بقرنين من الزمن وربما كان ابن الهبارية يعرفه ولكنه أهمله ولم ينظمه عمدا •

ويستمر الترتيب من باب « برزويه » الى باب « الناسك وابن عرس » ثم يختلف الترتيب فيما بعد ، وتختلف التسمية فى باب « هيلار ملك الهند » ثم تأتى ثلاثة أبواب متفقة ، ثم يختلف الترتيب الى آخر الكتاب والاختلاف فى التسمية فى باب هيلار ، والطائر قبره والملك ، واللبؤة والأسوار والشعبر • ليس تصحيفا فى الأولين اذ أن اسم الوزير (بيلار) ورد قافية فى النظم لما قال له هيلار :

---

(٢١) نتائج الفطنة ص ٢٧٢ •

السـاعة النبـاغة يا بيـلار   بحقى أقتلها كما أختـار
وصاحب السر الأمين بيـلار   لا يكتم الأسرار الا الأحـرار

وكذلك الحال فى اسم الطائر قبرة الذى ورد فى كليلة ودمنة باسم فنزة والنظم لا يترك مجالا للشك فى الاسم فقـد ورد فى النظم أنه كان عند الملك :

طـائر يربيـه يسمى قبره   كدميـة فى حائـط مصـوره

وقـد يكون الخطأ من ابن الهبارية عند نقـل الاسم لتشابه الكلمتين فى الرسم أو أنه قبرة فى ابن المقفع واخطأ الذين نقلوه فيما بعـد فكتبوه فنزة ومن الأمثلة على حكاية الحيوان فى كتاب نتائج الفطنة « حكاية الثعلب والطبل » فى باب الأسـد والثـور وفيها يقول ابن الهبارية :

وتنقطـع المـودة النميمـه   والقلب خـوف الوجبة العظيمه
وآفـة الحياة فى الحرب النزق   ما كل صوت ينبغى منه الفرق

فعندها قال : وما هـذا المثل ؟ قال : حكى لى فى الحـديث من نقل :

جاء وقـد جاع أبو الحصـين   غيضـة دوح عنـد ماء عين
فى أصل بعض الدوح طبل ملقى   تدقـه الريح بعض دقـبا
فحسب الثعلب فيـه لحمـا   اذراعـه دويـة فلمـا
عالجـه بالجهـد حتى مزقـه   عـاين كنـه أمره وحققـه

وقـال :

ما جسـامة الأجسـام   تغنى ولا غنى العظـام(٢٢)

---

(٢٢) نتائج الفطنة ص ٤٤ .

وهـذه الأبيات ترجمة شعرية لمـا نثره ابن المقفع فى هـذا المقام حيث يقول « فان السكر الضعيف آفته المـاء ، والشرف آفته الصلف ، والمودة آفتها النميمة ، والقلب الضعيف آفته الصوت والجلبة ، وفى بعض الأمثال بيان أنه ليس كل الأصوات تهاب ٠ قال الأسـد : وما ذلك المثل ؟ قال دمنة : زعموا أن ثعلبا جائعا مر بأجمة فيها طبل معلق فى شجرة ، فهبت الريح فجعلت قضـبان الشجرة تقرع ذلك الطبل فيصوت صوتا شـديدا ، فسمع الثعلب ذلك الصوت فتوجه اليه حتى اتاه ٠ فلما رآه ضخما ظن أن ذلك لكثرة شحمه ولحمه ، فعالجه حتى شقه فلما رآه أجـوف قال : ما أدرى لعل أفسل الأشياء أعظمها جثـة ، وأشـدها صـوتا »(٢٣) ٠

ويقول ابن الهبارية فى باب ابتداء تواصل الاخـوان وتعاونهم واستماع بعضهم الى بعض :

لمـا انقضى الكلام قال دبشليم ... لبيـدبا لقـد أتيت بالحـكم
وقـد علمنا كيف قطـع الخائن ... بين المحـبين بقـول المـائن
فاذكر لنا أخلاق اخوان الصفا ... وما سمعنا عنهم من الوفـا
وكيف يبـدأ حبهم وودهم ... ثم يدوم عهـدهم وعقـدهم
فكان قـول الفيلسوف بيـديا ... خير كنوز المرء اخـوان الصبا
كمثـل الحمـامة المطـوقه ... وقصـدها فى كربها الأخ الثقه
الجرذ الناصـح للأصـحاب ... السـلحفاة والظبى والغراب(٢٤)

ثم يمضى ابن الهبارية فى سرد قصة الحمامة المطوقة ٠

وقبل ابن الهبارية قال ابن المقفع فى باب الحمامة المطوقة (قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : قـد فهمت مثل المتحابين يقطع بينهما الكذوب الخائن النمام ،

---

(٢٣) كليلة ودمنة – الدكتور عزام ص ٥٥ ٠
(٢٤) نتائج الفطنة ص ٢٢٥ ٠

وما يصير اليه فأخبرنى عن اخـــوان الصفا ، وكيف يبدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض •

قال الفيلسوف : ان العاقل لا يعـــدل يصالح لأعـــوان شيئا من العقـــد والمكاسب لان الاخـــوان هم الأعوان ، على الخير كله ، والمواســون عندما ينوب من مكروه ، ومن أمثال ذلك مثل الحمـــامة المطـــــوقة والظبى والغراب والجرد والسلحفاة)(٢٥) • وبمقارنة هـــذه النصوص بعضها ببعض يتضح لنا كيف راعى ابن الهبارية الدقـــة الكبيرة فيما نظمه من قصص كليلة ودمنة ، وان افتقـــد نظمه الحركة والحيوية اللتين تنبض بهمـــا قصص كليلة ودمنة ، كما يوجـــد بالكتاب كثير من الأبيات الضعيفة المهلهلة النسيج ، فضلا عما يلجأ اليه ابن الهبارية من الضرورات الشعرية ، كتسهيل المهموز ، وقصر الممـــدود وتسكين المتحرك ، وتحريك الساكن وأمثال ذلك ولكنها ضرورات مقبولة ، أما الزحافات والعـــلل فقـــد كثرت كثرة مفرطة فى الكتاب حتى لا يدرى القـــارىء فى بعض المواضع ايقرأ نظما أم نثرا •

وقد استخدم الشاعر فى منظومته القافية المزدوجة التى يمكن تعييرها من بيت الى بيت ، مما يسر له طول النفس والاستمرار فى القصة ، مهما طالت وجعله منحررا من قيود القافية الواحـــدة التى يكون مجال الاختيار فيها محـــدودا ، كما استخدم بحر الرجز لسهولته ، ولكثرة ما يدخله من زحافات وعلل ، تجعل من اليسير على الشاعر أن يجول ويتحرك متحررا من القيود قيود الوزن فى البحور الأخرى وأن نظم كتاب برمته أمر صعب شاق فصاحب النظم مقيد بمعانى الكتاب المنثور مضطر الى المحافظة على الأصل ، مرغم على الالتزام بحـــدود الوزن والقافية ، فاذا عرض شاعر لمثل هذا العمل واستطاع أن يبلغ ما بلغه ابن الهبارية كان له حظ عظيم من النجاح والتوفيق •

وقـــد توقفت محاولات نظم الكتاب منذ عصر ابن الهبارية حتى العصر الحـــديث عندما جـــدد الشيخ عبد الرحيم تره المتوفى سنة ١٩٣١ م المحاولة فقـــدم منظومته فى كليلة ودمنة والتى سمها « زعموا أن » :

---

(٢٥) نتائج الفطنة ص ١٢٥ •

ثالثا : « زعموا أن » أو كليلة ودمنة منظوم

للشيخ محمد عبد الرحيم ترة

وتنقسم المنظومة الى قسمين يشتمل القسم الأول على حكايات الكتاب الرئيسية • ويشتمل القسم الثاني على الحكايات الفرعية ، ويقـول الشيخ عبد الرحيم ترة فى سبب وضع الكتاب « كان فى الهنـد قـديما حـكيم اسمه « بيـدبا » وضع باشارة مليكه « دبشليم » كتابا على ألسنة العجماوات ضمنه أشرف أغراض الحكمة من أخلاق وعظات واعتبر حينئذ من نفائس كتب الهند النفيسة ، فعنيت فارس باستنساخه ، وذاع صيت الكتاب فترجم الى عدة لغات ، فقام عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور فترجمه من الفارسية الى العربية فى صدر الدولة العباسية وبقيت نسخة عظيمة المنال حتى ذللت المطابع صعاب الاستنساخ . وجاء دور النهضة العلمية المصرية أيام « محمد على » وانتشر الكتاب من ذلك الحين بين أهـل العلم والأدب فى مصر وقررت وزارة المعارف تدريسه بمدارسها . فرأيت حين تدريسه بالمدارس الثانوية أن الطالب لا يخرج منه بفائدة كبرى الا اذا أعاد قراءته مرارا مع التدبر بأن قصصه مشتبك متداخل يأخـذ لاحقه برقاب سابقه ، ففكرت فى أن أقربه الى عقول النشء بنظمه مع المحافظة على مغزاه فاقـدرني الله بتوفيقه على ذلك ، وسلك بى الى الغاية من أقرب المسالك » •

والحق أن التوفيق كان حليف الشاعر ، وقـد نظم الكتاب فى أسلوب رصين مع الدقـة فى التعبير ، وقـدرة البيان ، بحيث يضع بعض الباحثين « عبد الرحيم ترة » موضع « ابان بن عبد الحميد اللاحقى » فى الشأن والمنزلة الأدبية فيقول : « تناول الأدباء المعاصرون لهذا الكاتب الفـذ « ابن المقفع » تلك الباقة العطرة ـ كليلة ودمنة ـ فأنعشهم أريجهـا ، وسما خيـالها بمشاعرهم « ابان بن عبد الرحيم اللاحقى » فراح يوقع على قيثارة الرجز لحنا يكاد صـداه يأخـذ بالالباب ، وبهـذا كان لهـذا الشاعر المجيد فضل السبق على شـاعرنا ـ عبد الحميد ترة ـ فى تنسيق هـذه الباقة الجميلة غير أن يد الزمن العابثـة امتدت واستأثرت بكل ازاهيره التي قـد وشاها بها فاذا بنـا نراها وقـد كادت تصير كما كانت عليه ، لولا أن يد الفنان الملهم « محمد عبد الرحيم ترة » عادت فنسقتها خير تنسيق ، فجاءت على ما أراد لهـا « ابان وابن المقفع وبيدبا » وجمهرة المـأخوذين بهـذا السفر » •

ومن حكايات القسم الأول قصة القرد والغيلم وينظمها الشيخ عبد الرحيم فيقـــــول :

عاش قرد هرم فى قـــــومه — مـــدة وهـــو مليـــك القـــرده
سـلب الدولـــة منـــه غاصب — من بنى الملك العتـاة المرده
فتـــولى هـــاربا حتى أتى — سـاحلا قامت عليـه شـجره
فارتقى واحتـــل منهـــا موضعا — يجمـع الظـل وقرب الثمـره
وغـدا يأكـل يوما فهـــوت — منـــه عفـــوانينة فى الجـــدول
سمع القرد لهـــا صوتا غــدا — عنده يشبه صـــوت البلبـــل
فثـوى يرمى طـــروبا بينمـــا — كان للشـــاطىء يأوى غيـــلم
فظنـــه يلقى اليـــــه راغبـــا — منه فى الود الذى لا يكتـــم
وكان من جراء هـــذا أن نمت — صـــحبة للقرد عنـــد الغيـــلم
نسى الغيـــلم منهـــا زوجـــه — فغـــدت من بعــــده فى مأتم
وشـكت هـــذا ولمـــا علمـت — أنه عـــن بيتهـــا فى شـــاغل
وهـــو للقرد اليـــــف مغـرم — ومقيم عنـــده فى الســـــاحل
مثلت اذ جـــاء دورا متقنـــــا — وتراءت وهى فى ثـــوب المرض
وأرته أنهـــــا ان أكلـــــت — قلب قـــرد برئت ممـــا عـــرض
عنـــدها قال لهـــا من أين لى — قلب قرد ان ذا أمر عسير(٢٦)

ويمضى الشاعر فى سرد القصة وكيف أحس القرد بالخطر الذى يقترب منه والذى تكمن وراءه امرأة فيبتعـــد عن الغيلم وتنقطع أواصر الصـــداقة بينهما وتتحقق للمرأة الخبيثة رغبتها فى التفريق بين زوجها وصديقه •

---

(٢٦) زعموا أن كليلة ودمنة منظوم للشيخ محمد عبد الرحيم ترة ص ١٧ - ١٩ طبعـــة القـــاهرة •

ويقول ابن المقفع فى هذ الباب : « زعموا أن قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة • فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها منامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة فى الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل ويرمى فى الماء فأطربه ذلك فأكثر من طرح التين فى الماء ، وثمة غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن أن القرد يفعل ذلك لأجله فرغب فى مصادقته وانس اليـه وكلمه وألف كل واحـد منهمـا صاحبـه •

وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لهـا وقالت : قـد خفت أن يكون قـد عرض له عارض سوء فاغتاله • قالت لهـا : أن زوجك فى الساحل قـد ألف قردا والفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهـو الذى قطعه عنك ولا يقـدر أن يقيم عندك حتى تحتالى لهلاك القرد •

قالت : وكيف أصـنع ؟

فقالت جارتها : اذا وصل فتمارضى فاذا سألك فقولى أن الحكماء وصفوا لى قلب قرد •

ثم ان الغيلم انطلق بعـد فترة الى منزله فوجـد زوجته سـيئة الحـال مهمومة فقال لهـا : مالى أراك هكذا ؟ •

فاجابته جارتها وقالت : ان زوجتك مريضة مسكينة وقـد وصـف لهـا الأطباء قلب قرد وليس لهـا دواء سواه •

قال الغيلم : هـذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن فى المـاء ؟ » •

وبمقارنة النصين يتبين لنا أن الشيخ عبد الرحيم ترة قـد صور القصـة تصويرا دقيقا مفصلا ولم يترك من جزئياتها شيئا فجاءت مطابقة لقصة كليلة ودمنة تمـام المطابقة • بالاضافة الى الموسيقى الجـذابة التى يبعث بهـا الايقاع الجميل لبحر الرمل وهـو بحر انساب مع الشاعر انسيابا مكنه من أن يضفى على القصة حيوية وبهاء •

وكفى الشاعر فخرا أن أشاد أمير الشعراء أحمد شوقى بنظمه لقصص كليلة ودمنة فيقول شوقى فى ذلك :

بيان ابن المقفع عاد شعرا	وفصل بالحقيقة والصواب
أتى عبد الرحيم به فصولا	روائع فى التحاور والخطاب
شوائق كالربى تحت الغوارى	روائق كالينابيع العذاب
تطوف عليك من كرم القوافى	الذ من الغناء على الشراب
جزاك الله ثرة كل خير	عن النشء المثقف والشباب
وعن حكم وآداب غوال	تروع العقل فى هذا الكتاب
ولا برحت غواد من قبول	ترف على رفاتك فى التراب(٣٧)

ولم يسجل لنا التاريخ أى محاولة لنظم الكتاب بعد محاولة الشيخ عبد الرحيم حتى الآن .

وهناك منظومات أخرى لكليلة ودمنة غير التى ذكرناها الا أنها ضاعت وضلت طريقها الينا ولم يصل الينا الا بعض الاشارات الطفيفة عنها كقول الفهرست .

ونقله على بن داود الى الشعر ونقله بشر بن المعتمر(٢٨) كما نظمه أسعد بن مماتى المصرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى(٢٩) .

ونظمه كذلك عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين الصاغانى فى ثمانين يوما انتهت بالعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٤٠ هـ وهو بعنوان « غرة الحكم فى أمثال الهنود والعجم » ونظمه أيضا جلال الدين الحسن بن أحمد النقاش(٣٠)

---

(٢٧) « زعموا أن » محمد عبد الرحيم ثرة دار مصر للطباعة - دار الكتب المصرية فى المقدمة .

(٢٨) الفهرست ص ٤٢٤ .

(٢٩) وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٨٤ .

(٣٠) تاريخ الأدب العربى ٣ : ٩٦ .

وقد ضاعت هذه المنظومات ولم يصلنا منها شيء مما جعل لمنظومات ابان اللاحقى وابن الهبارية والشيخ عبد الرحيم أهمية خاصة فى ميدان الدراسات الأدبية المقارنة حيث تعد امتدادا لكتاب كليلة ودمنة ، وان كان أصحابها لم ينجحوا فى أن يقدموا فيها أى جديد ، وانما عمدوا الى نقل الكتاب شعرا بهدف التكسب المادى والحصول على الجوائز النفيسة التى كان يظفرون بها من الحكام نظير هذا العمل ولم يحاولوا أن يتطوروا بفن الفابولا عن اطار كليلة ودمنة ، سواء فى الشكل أو فى المضمون فجاءت محاولاتهم محصورة داخل اطار كليلة ودمنة لا تخرج عنه ولا تتطور الى أبعد منه ولم يفعلوا عدا نقل النثر الى الشعر بأمانة كبيرة ولكن داخل الاطار الفنى الذى وضعه ابن المقفع لفابولاته بالاضافة الى الامكانيات التى اتاحها النثر لابن المقفع والتى لم تتوافر لهؤلاء الشعراء •

وربما يكون الشيخ عبد الرحيم ترة هو أكثر هؤلاء المنظمين رغبة فى التجديد والتطوير وربما يعزى هذا الى تقدمه الزمنى على رفيقيه ابان وابن الهبارية •

ومع هذا فان الرغبة شيء والتطبيق العملى شيء آخر فالنتيجة المجردة انه لم يضف شيئا جديدا ولم يخرج عن الاطار المقفعى لفابولا الحيوان • ومع هذا فكفى هؤلاء الشعراء فخرا انهم نظموا قصص الكتاب شعرا فى مجتمع اقترن بالشعر واستساغه وكان اقباله عليه أعظم بكثير من اقباله على النثر ، وربما كان الاتجاه الى نظم الكتاب سببا هاما من أسباب الاحتفاظ به ، وعدم فقدانه وضياعه بعد أن تردد على الألسنة ، وترنم الصغار والكبار بمنظومات هؤلاء الشعراء •

محاكاة كليلة ودمنة فى الأدب العربى

اقتصر دور المنظمين كما سبق على نقل الكتاب الى الشعر دون أن يضيفوا شيئا جديدا ولكن هناك محاولات أخرى تأثر أصحابها فيها بفابولا كليلة ودمنة واقتبسوا فكرتها فى تأليف خرافات تجرى على لسان الحيوان وهؤلاء حاولوا أن يضيفوا شيئا جديدا وان يتطوروا بفن فابولا كليلة ودمنة سواء فى الشكل أو المضمون وقد نجحوا ولو الى حد ما فى أن يقدموا أشكالا أخرى وألوانا

من المحاكاة والتقليد لكليلة ودمنة أكثر تطورا وفنية من محاولات المنظمين الذين أشرنا اليهم ومن هـذه الأعمال التى حاكى أصحابها فيها كتـاب كليلة ودمنة قصة الأسـد والغواص والنمر والثعلب ونوادر الببغـاء وكمحاولات عثمان جلال وأحمد شوقى وغيرهما وسأحاول أن أعرض أشهر هـذه المحاولات التى تحاكى وتقلد حكاية الحيوان فى كليلة ودمنة وأرى أن اقسمها الى قسمين يتناول الأول المحـاولات القـديمة ويتناول الثانى المحـاولات التى قامت فى العصر الحـديث .

أولا ـ المحـاولات القـديمة :

وأهم هـذه المحاولات كتاب ثعلة وعفراء ـ كتاب النمر والثعلب ـ رسالة الحيوان لاخـوان الصفا ـ كشف الأسرار ـ كتاب الصادح والباغم ـ كتاب سلوان المطاع ـ كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء كتاب الأسـد والغواص فى الحكم والأمثال ـ محاولات أبى العلاء المعرى .

أولا ـ كتاب ثعـلة وعفراء

بيزرجمهر ـ الاسـلام(٣١)

ألفه سهل بن هارون الملقب بيزر جمهور اسلام وكان سهل ملازما لخدمة البرامكة قبل أن يعينه المـأمون أمين كتب الحكمة وقـد عاش سهل بن هارون فى منتصف القرن الثانى الهجرى وكان قريب العهد بابن المقفع وكان أول من حاكى كتاب كليلة ودمنة وقـد عرف سهل بن هارون بأسـلوب يجمع بين ابن المقفع والجاحظ .

فثمة مزاوجة وبعـد عن السجعة وثمة كلمة حلوة جزلة لا خشونة فيها ولا توعير وثمة عبارة موجزة طرحت كانما هى فى معرض حجاج(٣٢) .

---

(٣١) سرح العيون لابن نباتة المصرى ص ١٦٦ .

(٣٢) الحياة الأدبية فى البصرة لأحمد كمال زكى ط دار المعارف بمصر ص ٣٠٩ .

وقد عرف سهل بوضع القصص والخرافات على ألسنة الحيوانات والطير والبهائم . جاء فى الفهرست :

« وكان قبل ذلك ممن يعمل الأسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعلى بن داود كاتب زبيدة وغيرهم »(٣٣) .

وثعلة اسم لابن آوى وعفراء مؤنث الاعفر وهو نوع من الظباء ويتصف بضعف العدو ويروى عفرة على وزن فعلة وهى مؤنث الجحش(٣٤) .

وقد ضاع هذا الكتاب ولم يصلنا منه عدا اشارات طفيفة فى كتب المؤرخين القدماء عندما يترجمون لحياة بيزر جمهر الاسلام مؤلف الكتاب(٣٥) . وقد جاءت فيها هذه النصيحة نقلا عن كتاب ثعلة وعفراء وهى تقول « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذى تجودون به من تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس فى نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة »(٣٦) .

ولا تكفى هذه الاشارات ولا هذه العبارة المنقولة من الكتاب لاعطائنا أى تصور عن فابولا الحيوان فى كتاب ثعلة وعفراء ولا تمكننا من أن نقوم بأى محاولة للدراسة التقارنية بين كتاب كليلة ودمنة وبين كتاب ثعلة وعفراء .

---

(٣٣) الفهرست لابن النديم - تحقيق رضا تجدد ص ٣٦٤ .

(٣٤) شرح العيون لابن نباتة المصرى ص ١٦٦ .

(٣٥) الفهرست لابن النديم ص ١٢٠ والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٠٠ ط القاهرة .

(٣٦) العصر العباسى الأول / الدكتور شوقى ضيف مصر - دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .

ثانيا : كتاب النمر والثعلب

لعــلى بن داود

ألفه على بن داود كاتب زبيدة وحاكى فيه سهل بن هارون وقــد اختفى الكتاب فترة طويلة من الزمن الى أن عثر عليه أخيرا عبد القادر المهيرى ونشر مقتطفات منه مع مقــدمة قيمة فى العــدد الأول من حــولية الجامعة التونسية • وموضوع الكتاب قصة تدور على لسان الثعلب الحكيم ، والذئب الجحــود ، والنمر الطاغية ، وتحكى القصة :

« ان الثعلب الحكيم كان يعيش مع زوجته منذ زمن طويل فى أحــد الأودية وذات يوم تقابل مع ثعلب آخر فنصحه أن يترك هــذا الوادى وينزح الى مكان آخر فاستشار الثعلب الحكيم زوجته فى أمر هــذه الهجرة ، فأبت عليه ذلك ولم توافقه ثم حــدث أن فاجأها الطوفان ، فحمل الثعلب وحــده والقى به الى جزيرة التقى فيها بالذئب الذى أخبره أن الجزيرة تمتلىء بالبقر الوحشى والظباء وانها تحت سلطان النمر الطاغية ، ونصحه الا يبرح مكانه والا اصابه الشر من النمر فانه لا يسمح لغريب أن يدنو من الجزيرة . وتوطــدت العلاقة بين الذئب والثعلب ، ثم أن الثعلب اقنع الذئب أن يذهب الى النمر ويطلب منه أن يوليه أمر احــدى الولايات بالجزيرة ، فيقوم على حكمها ويشاطره خيراتها وفعل الذئب ما أشار به الثعلب ، ووافق النمر وتولى الذئب أمر الولاية ، وعين الثعلب الحكيم وزيرا له وأخــذ يرسل الى النمر ما وعــده من خيرات الولاية ، وبعــد أن دانت للذئب الرعية واستتبت له الأمور وتمكن سلطانه ، أمسك عما كان يرسله الى النمر ، وأعلن التمرد والعصيان عليه وأخيرا تقوم الحرب بين الفريقــين فينتصر النمر ويقتل الذئب ، أما الثعلب فقــد أبقى عليه النمر لــا لاحظه فيه من ذكاء وفلسفة وكياسة وحنكة » •

والقصة متأثرة بفابولا كليلة ودمنة سواء من ناحية المضمون ، أو الخصائص الفنية العامة للحكاية ، فأما عن المضمون فان حكاية النمر والثعلب تتناول السلطان وحاشيته ورعيته وصراع السلطات المتنافسة على الحكم وهــذا المضمون العام يحتل الشطر الأعظم من فابولات كليلة ودمنة ، أما من حيث الخصائص الفنية

فتتمثل فى الاستطراد وضرب الأمثال والحكم فى ثنايا المحاورات التى تجرى بين الذئب والثعلب ، وبين الذئب والنمر ، وبين الثعلب والنمر ، على نحو ما يجرى فى كليلة ودمنة ولعل أبرز مظاهر تأثر على بن داود بابن المقفع أنه عمد الى نقل فقرات كاملة من كتاب كليلة ودمنة مثل قوله على لسان الذئب « أمور ثلاثة لا يجترىء عليها الا أهوج ولا يسلم منها الا قليل : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السم للتجربة » .

وقد وردت هذه الفقرة بنصها فى كتاب كليلة ودمنة .

ثالثا — محاولات أبى العلاء المعرى

وقد ألف أبو العلاء المعرى عدة كتب على لسان الحيوان ، محاكيا فيها فابولا كليلة ودمنة ومن هذه الكتب :

١ — كتاب « القائف » وهو فى ستين كراسة ولم يتم .

٢ — « منار القائف » وهو تفسير لكتاب القائف وقد جاء فى عشر كراريس(٣٧) .

٣ — كتاب خطب الخيل .

٤ — كتاب الصاهل والشاهج .

٥ — كتاب أدب العصفورين(٣٨) .

رابعا — رسالة تداعى الحيوانات على الانسان

وهى احدى رسائل اخوان الصفا(٣٩) التى تبلغ احدى وخمسين

---

(٣٧) كشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ١٦٠ .

(٣٨) تطريب العندليب لجبران النحاس ص ١٠ ط الاسكندرية ١٩٥٠ .

(٣٩) تالفت هذه الجماعة فى القرن الرابع الهجرى فى البصرة والمشهور من امرها انها كانت جماعة فلسفية من حيث التفكير شعرية من حيث العقيدة ثائرة على النظام السياسى القائم.يريدون أن يستبدلوا به غيره يعظمون الأنبياء والفلاسفة ورعاة الدين من كل ملة ويمزجون فى رسائلهم الفلسفة بالدين ويضمنون فى هذه الرسائل أقصى ما عرف فى ذلك العصر من مسائل فلسفية ورياضية وطبيعية والهية ويحاولون نقد المجتمع ونظامه والتفكير السائد فيه نقدا لاذعا . انظر مقدمة المستشرق الألمانى فريد ديتريش لرسالة تداعى الحيوان على الانسان .

رسالة وهى الرسالة الثامنة من القسم الثانى من رسائل اخوان الصفا التى ألفوها فى القرن الرابع الهجرى وطبعها المستشرق الألمانى فريد ديتريش ١٨٣١ – ١٨٨٨ فى برلين سنة ١٨٧٩ وتتضمن رسالة تداعى الحيوانات على الانسان خمسة وستين فصلا • وقد ألف اخوان الصفا رسالتهم هذه متأثرين بفابولا الحيوان فى كليلة ودمنة ، ولكنهم عمقوا فى أفكارهم حتى تتلاءم مع مبادئهم الفلسفية التى كانوا يدعون اليها •

وتجرى أحداث الرسالة فى جزيرة « بلا صاغون » وهذه الجزيرة تقع فى وسط البحر الأخضر وهى طيبة الهواء والتربة ، فيها أنهار عذبة ، وعيون فوارة ، كما انها كثيرة الريف ، والمرافق وفنون الأشجار وألوان الثمار والرياض والأزهار والرياحين والأنوار • وتجمع الرسالة بين شخصيات من الحيوان وأخرى من الانسان وثالثة من الجان ، ويقوم ملك الجن وهو « بيوراسب الحكيم » الملقب « بشاه مروان » بدور الحكم بين بنى الانسان وحيوانات الجزيرة الى جانب الملك « بيوراسب » هناك وزيره « بيدار » والقضاة من الجن ، آل برجيس ، والفقهاء من آل ناهيد ، وأهل الرأى من بنى بيران ، والحكماء من أهل لقمان ، وأهل التجارب من بنى هامان ، والفلاسفة من كيوان وأهل الصرامة والعزيمة : من آل بهرام ، وأما بنو الانسان فهم نحو سبعين رجلا من بلدان شتى بينهم عراقى هندى من سرنديب (عبرانى ، سريانى ، عربى ، يونانى ، فارسى ، حجازى) • وأما الحيوانات فتمثل العدد الأكبر والأكثر تنوعا فمنها ملك السباع الأسد ، والى جانبه النمر والثور والكبش والفيل والجمل والفرس والبغل والخنزير والأرنب والحمار والكلب وابن آوى والدب وابن عرس ثم ملك الطيور السيمرغ والى جانبه الطاووس والديك والحمام والدراج والتدرج والقبرة والبلبل والخطاف والغراب والكركى والطيطوى والعصفور والشقراق والفاختة والورشان والقمرى والزرزور والسمان واللقلق والعقعق والبط ومالك الحزين والاوز والغادن والهزار والنعامة والهدهد والشاهبرغ ، أما الجوارح فقد تقدمتهم ملكتهم العنقاء وتبعها النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحدأة والرخم والبوم والببغاء ، أما حيوان البحر فقد كان ملكه التنين والى جانبه الحوت والكواسج والحيتان والأسماك والسراطين والكرازيك والسلاحف والضفادع وذوات الأصداف والفلوس • وهناك الثعبان ملك الهوام والى جانبه الحيات والأفاعى والجرارات والدحاسات والضب وسام أبرص والحرابى والغطايات والخنافس وبنات وردان والعناكب والبق والذباب والقمل والجنادب

والبراغيث وأنواع النمل والقراد والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون فى العفونات ويدب على ورق الشجر ويتكون من لب الحبوب وقلوب الشجر فى جوف الحيوانات الكبار والأرضة والسوس وما يتولد فى السرقين والطين أو فى الخل أو فى الثلج أو فى تمر الشجر وما يدب فى المغارات والظلمات والأهوية •

وتتلخص أحداث الرسالة فى أن عاصفة بحرية القت باحدى السفن الى ساحل جزيرة بلاصاغون ، وخرج من بالسفينة الى تلك الجزيرة وأقاموا بها ، وكان بعضهم من التجار والبعض الآخر من الصناع ، والثالث من أهل العلم • ثم أخذ هؤلاء القوم يتعرضون لحيوانات الجزيرة بغية استخدامها معتقدين أنها أى الحيوانات عبيد لهم •

ولجأت الحيوانات الى بيوراسب ملك الجن لتشكو اليه ما نزل بها من بلاء بسبب اعتداء بنى الانسان عليها ، واستدعى الملك بنى الانسان الذين عرضوا على الملك شكايتهم من الحيوانات « عبيدهم الآبقين » ثم استدعى الملك الحيوانات ليسمع ردها على دعاوى بنى الانسان ، وأثناء هذا كله تقوم مناظرة طويلة ومثيرة بين بنى الانسان والحيوانات واذا نحن أمام محكمة برئاسة « بيوراسب » ملك الجن يترافع أمامها كل من الانسان والحيوان ، مرة يبدو فيها الانسان مدعيا والحيوان مدعى عليه ، ومرة أخرى يبدو الحيوان مدعيا والانسان مدعى عليه وأما موضوع النزاع فهو هل للانسان الحق أن يستبد ويتسلط على الحيوان ؟ أم أنه لا يملك هذا الحق ؟ أخيرا صدر الحكم النهائى للمحكمة • وهو بأن تكون الحيوانات بأجمعها تحت أوامر ونواهى بنى الانسان فقبلت الحيوانات الحكم وانصرفت آمنة مطمئنة راضية مغتبطة بحكم المحكمة •

وقد أصدر ملك الجن هذا الحكم بناء على تفوق بنى الانسان على غيرهم من المخلوقات بأنهم أولياء الله وصفوته من خلقه ، وخيرته من رتبه وان لهم أوصافا حميدة ، وصفات جميلة وأعمالا ذكية ، وعلوما متقنة ، ومعارف ربانية ، وأخلاقا حكيمة ، وسيرا عادلة قدسية وأحوالا عجيبة ، وذلك على حد تعبير محاميهم الذى تصفه الرسالة بأنه ذلك الخبير الفاضل الذكى العابد ، المستبصر الفارسى ، النسبة العربى الدين ، الحنفى الاسلام ، العراقى الأدب ،

العبرانى المخبر ، المسيحى المناهج ، الشامى النسك ، اليونانى العلوم ، الهندى التعبير ، الصوفى الاشارات ، الملكى الأخلاق ، والربانى الرأى ، الالهى المعارف ، وأيضا جاء على لسان رسول التنين « ليس يفتخر بنو آدم بشىء من هـذه — يقصد الضخامة والقوة والغلبة — ولكن برجحان العقول وفنون العلوم وغرائب الآداب ، ولطائف الحيل ، ودقة الصنائع والفكر والتمييز والروية وذكـاء النفـوس » •

وتنتهى الرسالة بحكاية طريفة تبين كيف يكون تواصل اخوان الصفا ، وتوادهم وتعاطفهم وتعاون بعضهم مع بعض فى طلب معيشة الدنيا وماذا ترى حال من سبقته المنيه قبل صاحبه وكيف يكون الباقى منهم بعـد صاحبه • وتروى هـذه الحكاية أن قوما كسر بهم المركب فى عرض البحر فألقى بهم الموج الى شاطىء جزيرة سكانها من السباع والقرود ثم أن هؤلاء القوم استقروا فى الجزيرة وراحـوا يبنون من حجاره تلك الجبال بنيانا ويتخـذون منازل ويحرزون فيها تلك الثمار ويدخرها من كان فيه شره ، ثم انهم دبت الخلافات بينهم بسبب تنافسهم على اناث القردة بتلك الجزيرة ، واذا بالحروب تشتعل بينهم حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، ثم يخطف طائر عظيم الخلقة ، شـديد القوة والبطش ، احـد رجال هؤلاء القوم ويطير به الى مدينته التى خرج منها ثم يلقى به على سطح داره وأخيرا تنتهى الرسالة الى القول بأن « ان الدنيا شبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون القردة ومثل الحوت كمثل طائر ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التى خرجوا منها » •

وأما أسلوب الرسالة فجـدلى غالبا ويستخدم براهين الفلاسفة وألفاظهم عامة كما يستخدم عبارات الدين وأفعال الصالحين وأساليب الواعظين ويتكلم على لسان الخطباء بأساليب الخطب وعلى لسان الحكماء بأساليب الحكم وبراهين العقل والمنطق وهـو فى كل ذلك صافى العبارة جيد الأسلوب بعيد عن التكلف والزخرف •

وتعـد رسـالة « تداعى الحيوان » لاخـوان الصفا بمثابة دائرة معارف تعرض أفكار وآراء اخـوان الصفا فى الالهيات حيث توضح رأيهم فى بدء الخلق والتكوين ومنها أن البهائم والجن أقـدم من الانسان وأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء على صورة مخصوصة لحكمة كما بين ذلك زعماء الحيوان وان من يعيب الصنعة فقد عاب الصانع وقـد ورد فى قول زعيم البهائم : تجـد كل حيوان جعل الله له من الأعضاء والمفاصل والأدوات بحسب حاجته اليه لجر

منفعة أو دفع مضرة والى هـذا المعنى اشار موسى عليه السلام فى سورة طه قال تعالى : « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » • وفى مجال العلوم الطبيعية نجد فى الرسالة أوصافا تشريحية وفيزيولوجية للأسد والعنقاء والثعبان والنحل فبالنسبة للنحل مثلا تقرأ على لسان ملك النحل :

« خلق لى خلقة لطيفة ، وبنية نحيفة ، وصورة عجيبة ، بيان ذلك أنه جعل بنية جسدى مربعـا مكعبا ، ومؤخرة جسدى مدمجـا مخروطا ، ورأسى مدورا مبسوطا ، وركب فى وسطى أربعـة أرجل ويدين متناسبات المقـادير كأضـلاع الشكل المسدسى فى الدائرة لاستعين بها على القيام والقعود والركوع والنهوض ، أو أقـدر أساس منزلى وبيوتى على أشكال مسدسات مكتنفات كى لا يدخلهـا الهـواء فيضر بأولادى أو يفسد شرابى » •

ومن الأشياء العجيبة حقا ما نجـده فى الرسالة من أوصاف للتنين والعنقاء • كما نجـد فى الرسالة ما يمكن ادخاله فى نطاق علم الاجتماع ، فنحن نقرأ فى ثنایاها تبريرات لتميز البشر على الحيوانات وذلك برجحان العقـول ، وفنـون العلوم ، وغرائب الآداب ، ولطائف الحيل ، ودقـة الصنائع ، والفكر والتمييز والروية ، وذكاء النفوس ، ولكن مع هذا فانه ـ أى الانسان ـ قد حاد عن الصراط المستقيم بسبب سوء انتفاعه بالعقل والشرائع وبسبب أنه ترك أخلاق الملائكة وتخلق بأخلاق الشياطين وقـد عاب اخـوان الصفا على البشر كثيرا من صفاتهم وأعمالهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفيما بينهم وبين الحيوان وعابوا عامتهم وخاصتهم فقـد عابوا العلماء والفقهاء والقضاة من بنى آدم على لسان النمر اذ قال الأسـد :

« ولكن أرى أن العلماء والفقهاء والقضاة من بنى آدم قـد تركوا هـذه الطريقة التى قلت أنها أخلاق الملائكة ، وأخـذوا فى ضروب الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعب والبغضاء فيمـا يتناظرون ويتجادلون من الصـياح والبلبلة والشناعة ، وهكذا نجـد فى مجالس القضاة والحكام يفعلون ما ذكرت وتركوا استعمال الأدب والعـدل والنصفة » ويفسر مساكنة الكـلاب لبنى آدم بأن ذلك راجع الى مشاكلة الطباع ومجانسة الأخلاق وما فى طباعها من الحرص والشدة واللؤم والبخل وما شاكلها من الأخلاق المذمومة الموجودة فى بنى آدم ممـا السباع عنه بمعزل • وشمل نقـدهم للانسان طعامه وشرابه ومساكنه وتعـدد

منوخه وقــد عرضوا فى كتابهم لبيان واجبات الملك وحقوقه على الرعية •

وتشكل رسالة « تداعى الحيوانات على الانسان » أنموذجا رائعا للتناسق والانسجام فى التأليف الجماعى قل نظيره فى آداب وفلسفات العالم ، ففى « المقابسات » لابى حيان التوحيدى فى معرض التعريف بزيد بن رفاعــه ومذهبه انه « تكلم فى كل شيء •• وقــد أقام بالبصرة زمانا طــويلا ، وصادق بهـا جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستى ويعرف بالمقــدسى ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى ، وأبو أحمــد المهرجانى والعوفى وغيرهم •• وصحبهم وخــدمهم ، وكانت هــذه العصـابة قــد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القــدس والطهــارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق على الفــوز برضوان الله وذلك أنهم قالوا : « أن الشريعة قــد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية •• وصنعوا خمسين رسالة فى جميع أجــزاء الفلسفة علميها وعمليها وسموها رسائل اخــوان الصفا وكتموا فيها أسماءهم وبثوها فى الوراقين ووهبوها للناس » •

ويصف « دى بور » رسائل اخــوان الصفا فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » بأنها أشبه أن تكون دائرة معارف مرتبة تضم علوم ذلك العصر وتدل على أن « اخــوان الصفا » أصابوا من الرقى الفكرى حظا وافرا • ويعتقــد الدكتور عمر فروخ أنه على الرغم من أن اتجاه الرسائل واحــد ، فان المؤلف ليس واحــدا ، أما موانع القول بالمؤلف الواحــد فهى : الاحاطة بكثير من العلوم وبدقائقها •• وان غلب الظن أن المنشئين كانوا متعــددين وان كانت الأدلة على ذلك متعذرة لأسباب عــدة •• فوق ذلك أن الذين كانوا يعدون مواد الرسائل كانوا متعــددين(٤٠) ورسالة الاخــوان وان بدت فى صورة هزلية فانها فى الواقع تحمل أفكارا فلسفية رفيعة ، وهــذا ما يصرح به اخــوان الصفا أنفسهم فى مقــدمة رسالتهم حيث يقولون :

---

(٤٠) تداعى الحيوانات على الانسان • د• فاروق سعد ص ١٩ ، ٢٠ •

« ان الانسان اذا كان فاضلا خيرا فهو ملك كريم خير البرية ، وان كان شريرا فهو شيطان رجيم شر البرية ، وجعلنا بيان ذلك على ألسنة الحيوانات ، ليكون أبلغ فى المواعظ ، وأبين فى الخطاب وأعجب فى الحكايات وأظرف فى المسامع ، وأطرف فى المنافع ، وأغوص فى الأفكار ، وأحسن فى الاعتبار »(٤١) •

ويقولون كذلك فى ختام الرسالة : « اعلم أيها الأخ أنا قد بينا فى هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ولا تظن بنا ظن السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ، ومخارفة الاخوان اذ عادتنا جارية على أن نكسو الحقائق ألفاظا وعبارات واشارات كى لا تخرج بنا عما نحن فيه »(٤٢) •

وهذا نفس الغرض الذى كان يرمى اليه ابن المقفع من تقديم كتابه فى هذه الصورة الهزلية كما يصرح فى باب عرض الكتاب(٤٣) حيث يقول « وينبغى للناظر فى هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم الى أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لأنه الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات • والثانى اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والألوان ليكون انسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة من تلك الصور • والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلف على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ ابدا • والغرض الرابع وهو الأقصى ، وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة » •

ويذكر اخوان الصفا أنهم استقوا مادة رسالتهم من أربعة مصادر وهى :

(أ) الكتب الرياضية والطبيعية التى صنفت على ألسنة الحكماء والفلاسفة •

(ب) الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والفرقان •

(جـ) الكتب الطبيعية التى صنفت لبيان تركيب الافلاك وحركة الكواكب

---

(٤١) رسائل اخوان الصفا جـ ٢ ص ١٨٢ طبعة القاهرة •
(٤٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٧ •

(٤٣) كليلة ودمنة تاليف بيدبا – ط الأميرية القاهرة سنة ١٩٢٣ ص٤٦/٤٧ •
ص ٤٦/٤٧ •

وأقسام البروج وللوقوف على أسرار فنون الكائنات من المعادن والحيوانات والنباتات •

(د) الكتب الالهية التى لا يمسها الا المطهرون والملائكة ، التى هى بأيدى سفرة كرام بررة ، وهى جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها(٤٤) •

ولم يشيروا الى كليلة ودمنة كمصدر لرسالتهم ويرجع هذا فيما أرى الى أن الرسالة لم تقتبس معظم أفكارها من كليلة ودمنة وحتى الأفكار التى اقتبسها الاخوان من كليلة ودمنة فانهم لم ينقلوها كما هى ، وانما عمقوها وطوروها بما يتفق مع أفكارهم الفلسفية الرفيعة ، وأرى أن تأثر الرسالة بكليلة ودمنة كان من حيث الاطار الفنى العام للحكاية كطريقة التقديم للحكاية بالتساؤل والاستفهام ، وطريقة تداخل الحكايات ، فنجد أن جلسات الدفاع فى الرسالة تبدأ هى الأخرى بهذا الاستفهام أو التساؤل مثل كيف كان ذلك ؟ وكيف ذلك ؟ فان المحاكمات فى الرسالة تتداخل فى بعضها وتتلو بعضها البعض باستطراد ودون انقطاع تأثرا بالاطار الفنى العام للحكايات فى كليلة ودمنة التى تتميز بالتداخل والاستطراد من حكاية الى أخرى ثم ان المحاورات بسبب هذا الاستطراد تطول وتمضى دون توقف أو انقطاع وهذا ما نشاهده فى محاورات كليلة ودمنة •

ولبيان هذه الخصائص الفنية للرسالة استشهد بهذه الجلسة التى يصور فيها اخوان الصفا احدى جلسات الدفاع لزعيم السباع الأسد الذى كان قد أناب عن نفسه كليلة أخى دمنة للترافع أمام المحكمة (فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضوع من الكلام قال له زعيم الانس : أما أنتم يا معشر السباع فسبيلكم أن تسكتوا وتستحوا ولا تتكلموا •

قال له كليلة : ولم ذلك ؟

قال : لانه ليس من الطوائف الحضور هاهنا جنس أشر منكم معشر السباع ، ولا أقسى قلوبا ولا أقل نفعا ، ولا أكثر ضررا ، ولا أقل رحمة ، ولا أشد حرصا ، على أكل الجيف وطلب المعاش •

---

(٤٤) رسائل اخوان الصفا ج ٤ ص ٣٠٦ •

قال : كيف ذلك ؟

قال : لانكم تفترسون معشر السباع هـذه البهائم والانعام بمخالب حداد فتخرجون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها وتنهشون لحومها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها •

قال زعيم السباع : منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما تعملون فى هذه البهائم •
قال الانسى : كيف كان ذلك ••• الخ)(٤٥) •

وهـذا الأسلوب الفنى للحوار هـو نفس أسلوب كليلة ودمنة فهو يعتمد على الاستطراد وعلى التساؤل لتكون الاجابة استطرادا آخر وهـكذا تطـول المحاورات وتطول • وهنا أسمع حوار دمنة مع شتربة فى باب الأسـد والثور حيث يبدأ دمنة المحاورة •

فيقول : (فان من حقر عـدوه لضعفه اصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى • قال شتربة : وكيف كان ذلك ؟

قال دمنة : زعموا أن طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه فى سـاحل البحر ومعه زوجة لـه فلما جاء أوان تفريخها قالت الانثى للذكر : لـو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فانى أخشى من وكيل البحر اذا مد المـاء أن يذهب بفراخنـا •

فقال لهـا : افرخى فى مكانك ، فانه لا يفعل ذلك •

فقالت له : ما أشـد تعنتك أما تذكر وعيده وتهـديده اياك : الا تعرف نفسك وقـدرك ؟

فأبى أن يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له : أن من لم يسمع قـول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين •

قال الذكر : وكيف كان ذلك(٤٦) ؟) •

---

(٤٥) رسائل اخـوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٨ •

(٤٦) كليلة ودمنة ص ١٣٨ ، ١٤٠ تحقيق نائل المرصفى طبعة القاهرة .

كما نجـد تأثرا بكليلة ودمنة فى طريقة عرض جلسات المحاكمة فى رسـالة الاخوان ، فهى أى الجلسات تنعقـد أمام رئيس المحكمة ملك الجان حيث يعلن افتتاح الجلسة بتوجيه السؤال الى أحـد الخصمين الانسان والحيوان فيتولى كل واحد منهما الدفاع عن نفسه وعن بنى جنسه ، وعلى هـذا النحـو تمضى المحاكمات كحلقات متواصلة وهـذا الدور الذى يقوم به ملك الجان فى الرسالة هـو نفس الدور الذى يقوم به دبشليم الملك فى كليلة ودمنة حيث يقوم الحوار بين الحيوانات أمامه • وعلى لسان وزيره بيدبا الفيلسوف ، وكما يفتتح ملك الجان الجلسات بتوجيه السؤال الى أحـد الخصمين يفتتح دبشليم الحكايات الرئيسية بتوجيه السؤال الى بيدبا الفيلسوف ليضرب له مثلا لما دار بين شخصين من الأحـداث والخطوب •

فجلسات المحكمة فى رسالة اخـوان الصفا تشبه الأبواب الرئيسية فى كليلة ودمنة ، كما أن الفصول التى تتلو كل جلسة من الجلسات تقابل الحكايات الفرعية التى تشتمل عليها أبواب كليلة ودمنة وهكذا تلتقى رسـالة الاخـوان بالاطار الفنى العام لفابولا كليلة ودمنة ، أما من حيث المضمون فان الرسالة تلتقى مع كليلة ودمنة فى أمور عـديدة لعل من أهمها اشتمال الرسالة على أسماء حيوانات من كليلة ودمنة مثل كليلة ودمنة ، كذلك فان أسـد الرسالة يشبه أسد كليلة ودمنة وهـو فى الرسالة يقوم بدور ملك السباع ويشاور من حـوله من الوحوش عما يستحق أن يمثل الملك فى الجلسات مندوبا عنه(٤٧) •

وهـذا ما يقـوم به الأسد فى باب الفحص عن أمر دمنة فى كليلة ودمنة فهو يشاور من حوله من الوحوش فى أمر دمنة بعـد أن ثبتت ادانته • ومن أوجه التشابه النمر صديق الأسـد وهـو فى الرسالة يحتل مركز الصـدارة بين أفراد الحاشية ويقوم بدور المخلص الأمين ، ويأخذ الأسـد برأيه ويطمئن اليه ، وهذا هـو نفس دور النمر فى باب الفحص عن أمر دمنة ، وهـو الذى كشف جريمة دمنة وأبلغ بها اللبؤة وهـو الذى كان حريصا على كل ما من شأنه أن يوفر

---

(٤٧) رسائل اخـوان الصفا ج ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ •

للأســد الاطمئنان والهدوء ويجنبه الاضطراب والقلق والتوتر النفسى • ومن أوضح نقاط الالتقاء بين الرسالة وكليلة ودمنة تلك الحكاية التى أشرت اليهــا آنفا عن القوم الذين كسرت بهم المركب والتى أوردها الاخــوان فى آخر رسائلهم وتبدأ القصة بقولهم « ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل اخــوان الصفا وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا »(٤٨) •

ومضمون هــذه القصة يشبه الى حــد كبير قصة الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة ، فكلتا القصتين تدور حــول اخــوان الصفا وبداية قصة الاخــوان تتفق مع بداية قصة كليلة ودمنة التى تقول :

« قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : حدثنى ان رأيت عن اخــوان الصفا كيف يبتدىء تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض » •

وقــد أشار اخــوان الصفا الى قصة الحمامة المطوقة فى كليلة ودمنة اشارة توحى بأنهم قــد تأثروا بها تأثرا مباشرا يقول الاخــوان :

« فاعتبر بحــديث الحمامة المطوقة المذكورة فى كليلة ودمنة »(٤٩) •

ولعل هــذه الاشارة هى التى دفعت بعض الباحثين(٥٠) أن يذهبوا الى أن اخــوان الصفا قــد اقتبسوا هــذا الاسم الذى أطلقوه على جماعتهم ممــا جاء فى كليلة ودمنة على لسان دبشليم فى أول باب الحمامة المطوقة ولكن مع تأثر اخــوان الصفا بالفكرة العامة لقصة الحمامة المطوقة فأنهم لم يقتبسوا القصة كما هى بل عمقوا معنى تصاق الاخــوان بما يتفق مع مبادئهم الفلسفية على حسب اعتقادهم فى عالم الغيب •

وقــد ذهب بعض الباحثين الى أن اخــوان الصفا قــد عمدوا فى رســالة الحيوان الى نقــد الأوضاع الدينية والسياسية التى كانت سائدة فى عصرهم

---

(٤٨) الســابق ج ٤ ص ١٠٢ •
(٤٩) رسائل اخــوان الصفا ج ٤ ص ١٠٢ •
(٥٠) تداعى الحيوانات على الانسان « اخــوان الصفا » فاروق ســعد ص ٣٦ •

وذلك بأسلوب رمزى تلميحى لكى يأمنوا بطش الحكام وذوى النفوذ فى الدولة ومن بين هؤلاء الباحثين الذين ذهبوا الى هـذا الرأى « دين بل » حيث يقـول : « وقـد أخفى اخـوان الصفا آراءهم الانتقادية فى رسائلهم بعض الاخفـاء وذلك لأسباب غنية عن البيان ، غير أن حملتهم على المجتمع والأديان الموروثة تتجلى من غير أدنى احتياط فى رسالة الحيوان والانسان ، وفيها البسوا آراءهم ثوبا رمزيا فقـالوا على ألسنة الحيوانات ما لـو جاهر به أحـدهم أثارت حوله الشـكوك(٥١) .

وقـد تصدى الدكتور محمد غفرانى الخراسانى فى كتابه عبد الله بن المقفع لأصحاب هـذا الرأى ورد عليهم بقوله « وهـذا الرأى لا يخلو من الضـعف للأسباب الآتية :

أولا — عندما نقرأ رسالة الحيوان ونمعن النظر فى مضامينها العالية ، نتأكد من أن تلك المضامين والمفاهيم الفلسفية لا تخص عصرا دون عصر أو طائفة دون طائفة ، بل هى فكرة صالحة لكل زمان ومكان ، بذر نواتها اخـوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى ، ثم انتشرت بعـد ذلك فى ربوع العالم الاسلامى .

ثانيا — ان اخـوان الصفا كما أسلفنا يصرحون بالغرض الذى من أجله ألفوا هـذه الرسالة فى مقـدمتها وختامها ، وفى خلال عرض بعض المحاكمات أيضا ، فان عرض أى تفكير فلسفى لعامة الشعب يحتاج الى أسلوب سهل بسيط مشوق ليجـذب الجمهور الى الفكرة التى يدعـو اليها دعاتها دون ضـجر أو سأم ، ويستطيع معه القارىء العادى الفهم والاستنباط . وهـذا مما دفـع اخـوان الصفا الى نشر أفكارهم الفلسفية فى أسلوب قصصى على لسـان الحيوان »(٥٢) .

ونحن نرى أن البراهين التى يقـدمها الخراسانى فى الرد على أصـحاب الرأى الأول ضعيفة ولا تنهض أن تكون دليلا فى الرد على هـذا الرأى .

---

(٥١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ٦٥ ترجمة أبو ريدة طبعة القاهرة .

(٥٢) عبد الله بن المقفع — د. محمد غفرانى الخراسانى ص ٣٦٢ .

فلا تعارض بين كون هـذه المضامين والمفاهيم الفلسفية التى تضمنتها الرسالة لا تخص عصرا دون عصر أو طائفة دون طائفة وأنها فكرة صالحة لكل زمان ومكان ، بذر نواتهـا اخـوان الصفا ، فى القرن الرابع الهجرى ، وبين أن يكون الاخـوان قـد عمدوا فى رسالتهم الى نقـد الأحـوال السياسية والدينية التى كانت سائدة فى عصرهم بل ربما يكونون قـد عمدوا الى هـذه المضامين والمفاهيم العامة التى لا تخص زمانا دون آخر لتكون أمعن فى اخفاء النقـد الذى حاول الاخـوان أن يوجهوه الى المجتمع بصورة مقنعة مستترة •

أما عن الدليل الثانى الذى يقـدمه الخراسانى فانه لا تعارض بين أن يصرح الاخـوان بالغرض الذى من أجله ألفوا هـذه الرسالة فى مقـدمتها وخاتمتها ومن خلال محاكمتها وبين أن تكون لهم أغراض خفية لم يصرحوا بها بل رمزوا اليها ولمحوا لهـا •

وهل ينتظر الدكتور الخراسانى أن ينص له اخـوان الصفا على أغراضهم التى يعمدون الى اخفـائها عمدا ؟ ولم لا يكون تصريحهم بالأغراض التى أعلنوا عنها كان يهـدف الى امعان التستر على أغراضهم وأهـدافهم التى لم يصرحوا بها وهى نقـد الأوضاع السياسية والاجتماعية فصرحوا بأشياء وهـدفوا الى أشياء أخرى لم يصرحوا بها وانما رمزوا اليها رمزا ؟

وأما أن عرض أى تفكير فلسفى لعامة الشعب يحتاج الى أسلوب سـهل بسيط مشوق ليجـذب الجمهور الى الفكرة التى يدعـو اليها دعاتها دون ضجر أو سأم فهـذا أمر منطقى وصحيح بل لا نكاد نشك فى أن الاخـوان قـد عمدوا اليه عمدا لبث آرائهم الفلسفية ومبادئهم الأخلاقية فى العامة والخاصة سـواء التى صرحوا بها أو التى رمزوا اليها فمثل هـذا الأسلوب السهل المشوق لا يشمل فقط ما يصرح به الأديب بل أنه على احتوائه لمـا يرمز به الأديب ويلمح اليه أقدر وأليـق وأدق •

وقـد ذهبنا فى بحثنا للدكتوراة الى أن ابن المقفع كان يهـدف فى كتابه كليلة ودمنة الى نقـد الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت تسود عصره ، بل أننا ذهبنا الى أبعـد من ذلك فانتهينا الى القـول بأن كتاب كليلة ودمنة كان بمثابة برنامج ثورة على النظم القائمة فى ذلك الوقت •

ونحن نرى مع أصحاب الرأى الأول أن رسالة الاخوان هى الأخرى قد رمت الى نفس الهدف وعمدت الى نفس الغاية ، وهدفت الى نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وذلك بأسلوب رمزى تلميحى ومن يقرأ كتاب « الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا »(٥٣) للدكتور محمد فريد حجاب يتبين أن الاخوان كانوا يأخذون بمبدأ « التقية » والسرية التامة فى التستر على مبادئهم السياسية أى أن اخفاء هذه المبادىء وعدم التصريح بها مقصد للاخوان سواء ، تم هذا التستر عن طريق « التقية » والسرية أو عن طريق التعبير بالرمز الحيوانى •

ولا أريد أن اختتم حديثى عن هذه الرسالة قبل أن أدلى بملاحظة أرى أنها فى غاية الأهمية ، وهى : أن رسالة اخوان الصفا تعد تطورا خطيرا لفن القصة على لسان الحيوان فقد انتقلت بها من مغزاها الخلقى والاجتماعى القريب المتناول السهل المأخذ الى مغزى فلسفى باطنى بعيد ويرجع هذا الى اعتماد الاخوان فى رسالتهم على المصادر الفلسفية والرياضية والطبيعية مما حول القصة الحيوانية ظاهرا وباطنا الى شىء يخص الفيلسوف وحده بخلاف ما رأيناه فى كليلة ودمنة حيث كانت تبدو لهوا فى ظاهرها وجدا فى باطنها •

خامسا ــ كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار

لعز الدين محمد بن عبد السلام بن أحمد بن غانم الواعظ المقدسى الملقب بشيخ الاسلام المتوفى سنة ٦٧٨ ولهذا المؤلف كتاب آخر تحت عنوان « القول النفيس فى تفليس ابليس » وهو كتاب فى التصوف ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون تحت عنوان « الحديث النفيس فى تفليس ابليس » •

وقد نسب بعض المؤرخين خطأ هذا الكتاب الى « محيى الدين بن عربى » وموضوع الكتاب مناظرات وقعت للشيخ عز الدين مع ابليس وقد طبع الكتاب فى مصر عام ١٢٧٧ هـ •

---

(٥٣) راجع فى هذا الكتاب موضوع سرية الدعوة « التقية » ص ٩٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب •

أما كتابه « كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار » موضوع حديثنا فقد ترجمه الى الفرنسية المستشرق الفرنسي جرسين دى تاس ونشره مع ترجمته الفرنسية في باريس ، وطبع النص العربي للكتاب في مصر ثلاث مرات في سنوات ١٢٧٥ ، ١٢٨٠ ، ١٣٠٧ هـ .

ويحتوى الكتاب على سبع وثلاثين مناظرة على لسان الجماد والنبات والحيوان وهي :

١ — اشارة النسيم .
٢ — اشارة الورد .
٣ — اشارة المرسين .
٤ — اشارة النرجس .
٥ — اشارة اللينوفر .
٦ — اشارة البان .
٧ — اشارة البنفسج .
٨ — اشارة المنثور .
٩ — اشارة الياسمين .
١٠ — اشارة الريحان .
١١ — اشارة الاقحوان .
١٢ — اشارة الخزام .
١٣ — اشارة الشقيق .
١٤ — اشارة السحاب .
١٥ — اشارة الهزار .
١٦ — اشارة الباز .
١٧ — اشارة الحمام .
١٨ — اشارة الخطاف .
١٩ — اشارة البوم .
٢٠ — اشارة الطاووس .
٢١ — اشارة السدرة .
٢٢ — اشارة الخفاش .
٢٣ — اشارة الديك .
٢٤ — اشارة البط .
٢٥ — اشارة النحل .
٢٦ — اشارة الشمع .
٢٧ — اشارة الفراش .
٢٨ — اشارة الغراب .
٢٩ — اشارة الهدهد .
٣٠ — اشارة الكلب .
٣١ — اشارة الجمل
٣٢ — اشارة الفرس .
٣٣ — اشارة الفهد .
٣٤ — اشارة القز .
٣٥ — اشارة العنكبوت .
٣٦ — اشارة النمل .
٣٧ — اشارة العنقاء .

وقــد جمع الكتاب بين النثر والشعر وقــد ختمت كل قصة بقطعــة من النسعر من نظم المؤلف أو من أشعار القــدماء ، وهــذه الطريقة تشبه إلى حــد كبير طريقة البنجاتنترا يقول فى آخر مقــدمة كتابه :

ألم تر أن نسيم الصــــــبا لــه نفس نشره صاعــــــد
فطورا يفــوح وطورا ينــوح كما يفعــل الفاقــد الواجــد
وسكب الغمام ونوح الحمــام اذا ما شــكا غصــنه المــايد
ونور الصــباح ونور الأقــاح وقــد هزه البــارق الراعـــد
ووافى الربيــع بمعنى بديــع يترجمــــه ورده الــــوارد
وكل لأجـــلك مســـتنبط لمــا فيــه نفعــك يا جاحــد
وكــل لآلائه ذاكـــــر مقــر لــه شـــاكر حامــد
وفى كل شىء لـــــه آية تــدل على أنـــه الواحـــد

فالبيت الأخير من شعر أبى العتاهية ، ويقول فى ختام مناظرة النسيم :

يا طيب ما نقل النسيم بمسمعى عن طيب ذياك المحــل الأرفــع
وانى لينشر ما انطوى من نشره فسكرت عن طيب الشذا المتضوع
ولربمــا اعتــل النسيم اذا بدت أنفاس وجــدى المستكن بأضلعى
هبب الصــبا سحرا ليبرد غلتى فأثار نار تحرقى وتوجعــى
ما ذاك الا أنهـــا لمـــا سرت مرت على تلك الرياح الأربــع
وتحملت عرف الشذا من طيبها فسكبت عن طيب الشذا المتضوع
وفهمت ما لم تفهمــه العشاق من سر الهوى وسمعت ما لم تسمعى
دانت تبشرنى بليـــل أنهـــا فى حسنها سفرت ولم تتبرقــع
وجلت على عشــاقها فى حليهــا وجهــا تمنع من حمى متمتــع

وعز الدين محمد بن عبد السلام فى شعره السابق يقلد ابن سينا فى قصيدته

المشهورة التى نظمها فى النفس والتى يبدؤها ابن سينا بقوله :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقد اقتبس عز الدين محمد بن عبد السلام من هذه القصيدة كثيرا من الالفاظ التى اشتملت عليها .

ويقول المؤلف فى سبب وضع الكتاب : انى نظرت بعين التحقيق فرأيت بنور التصديق والتوفيق أن كل مخلوق مقر بوجود الخالق ، وكل صامت فى الحقيقة ناطق ، فاستقريت العبارات واستبريت الاشارات ، فرأيت كلا ناطقا بلسان حاله ، أو بلسان مقاله ، لكن رأيت لسان الحال أفصح من لسان المقال ، وأصدق من كل مقال ، لان لسان الخبير يحتمل التكذيب والتصديق ، ولسان العين لا ينطق الا بالتصديق والتحقيق ، والناطق بلسان الحال مخاطب لذوى الأحوال ، والناطق بلسان المقال مقابل لأهل الصحة والاعتلال ، وقد وضعت كتابى هذا مترجما عما استفدته من الحيوان برمزه ، ومن الجماد بغمزه ، وما خاطبتنى الازاهير بلسان حالها ، والشحارير عن مقرها وارتحالها وسميته « كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار » وجعلته موعظة لأهل الاعتبار ، وتذكرة لذوى الاستبصار (فاعتبروا يا أولى الأبصار) فمن طالع مقالى ، وفهم ضرب أمثالى ، فذلك من أمثالى(٥٤) .

وهذا هو نفس الغرض الذى كان يهدف اليه ابن المقفع من كتابه كما صرح فى المقدمة وهو أيضا الغرض الذى كان يهدف اليه اخوان الصفا فى رسالة الحيوان ، أما تأثره برسالة الحيوان لاخوان الصفا فيتجلى فى موضوع الكتاب وترتيبه كما يتجلى فى التفكير والمضمون حيث يبدأ المؤلف مناظرته بالجماد وهو أول مراحل تكوين الحياة وأدنى مراتب الوجود ثم يسترسل فى الحديث حتى يعود الى النبات ثم الى الحيوان وهذا عين ما فعل اخوان الصفا فقد صاروا على هذا النمط كذلك عند الحديث عن مراتب

---

(٥٤) كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار ص ٣ لعز الدين محمد عبد السلام ـ طبعة القاهرة (١٢٧٥ هـ) وطبع الكتاب مرة اخرى عام ١٢٨٠ هـ .

الموجودات وتكوينها فى رسائلهم فقد اقتبس المؤلف الجانب الرمزى من ابن المقفع كما اقتبس الجانب الفكرى الدينى من اخــوان الصفا •

ولا تتوافر فى الكتاب الخصائص الفنية لحكايات كليلة ودمنة من حيث التقــديم للقصة بالتساؤل والاستفهام ومن حيث تداخل بعضها فى بعض ، وانما يتشابه الكتاب مع كليلة ودمنة فى المضمون الرمزى الذى يتمثل فى المناظرات على لسان الحيوان ، وأما أسلوب الكتاب فيغلب عليه طابع السجع غير أنه صادر من الطبع دون تكلف أو تعقيد » •

ومن الذين تأثروا باخــوان الصفا فى آرائهم الفلسفية الصوفى الكبير الشيخ فريد الدين محمد الملقب بالعطار سنة ٦٢٧ هـ فقــد ألف كتابه « منطق الطير » بالفارسية وموضوعه مناظرات ذات مغزى فلسفى يجرى حوارها على ألسنة الطيور ، والكتاب جــدير بأن يفرد له بحث مستقل للدراسة والمقارنة(٥٥) •

سادسا ـ الصــادح والباغم

وهو لابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هـ وهو فى ألف بيت من بحر الرجز التام مستفعلن ست مرات وأوله :

الحمــــد لله الــذى حبــانى ... بالأصــغرين القلب واللســـــان
وانمـــا فضــــيلة الانســــان ... وفخــره بالعقــــل والبيـــان
ثم صــــلاة الله والســــلام ... ما اختلف الضــياء والظــلام
على النبى المصطفى وآلـــــه ... محمــد والعــز من رجـــاله
هــذا كتاب فيـــه علم وأدب ... يفوق أنواع القريض والخطب(٥٦)

---

(٥٥) عبد الله بن المقفع ـ محمد غفرانى الخراسانى ص ٣٧١ •

(٥٦) الصادح والباغم لابن الهبارية ص ٢١ ط • بيروت عام ١٨٨٦ م •

الأســـدى صاحب الحلة(٥٧) فأجزل عطيته وأسنى جائزته يقول :

انفقت فيــــه مـــــده	عشر ســــنين عــــده
بيـــــوته الفـــــــان	جميعهـــــا معـــــان
لـــو ظـــل كـــل شــــاعر	وناظـــم وناثــــــر
كثمـــر نـــوح التالــــد	فى نظـم بيت واحــــد
مـــن مثـلـه لمـــا قـــدر	ما كـــل مـــن قـــال شعر
أنفـــذته مـــع ولـــدى	بـــل مهجـــتى وكبـــدى

لم ينس طريقته فى الفخر بمـــا يعمل فقال فى موضع آخر :

وهـــو كتاب حسن خطـــير	ليس لـــه فى فنـــه نظير

ويشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب هى :

(أ) باب الناســك والفـــاتك :

ويبـــدأه بقـــوله :

خرجت من بعض دروب البصره	فى رفقـــة من عـــامر العمـــره
حتى اذا كنا على رمل الحمى	وقـــد خبطنا جـــوف ليل مظلما
فى ليـــــلة بــــاردة مطـــــيره	رياحهـــا شــــديدة كثـــيره
قال اصيحابى أنزلـــوا فعرسوا	فالليـــل داج والرفاق نعســـوا

وقـــد تأثر ابن الهبارية فى هـــذا البـــــاب بكتاب كليلة ودمنة فى ايراد حكايات على لسان البهائم والطير يقصد بها الحكم والموعظة بصورة رمزية مستترة كقصة الصياد والظليم والبعير والجمال .

---

(٥٧) وكان يقال ملك العرب وكان ذا بأس وسطوة وهيبة سنة ٥٠١ هـ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٢٨٧ .

ويروى ابن الهبارية فى هـذا الباب أنه خرج قاصدا العمرة فى رفقة بعض الأصـدقاء وأثناء الطريق تخلف عنهم ، فتقابل مع شيخ كان يناجى صاحبا مكتهلا وافتخر كل منهما بقومه ، وما لهم من فضل والامتياز فى الاختراع :

فكان قول الشيخ قومى الهنـد — الحكمـاء العلماء اللـد
لو لم يكن من فضلهم اذ يختبر — فضل الرجال منصف ويعتبر
الا الذى أبدوه فى الشـطرنج — للناس من علم سديد النهـج
فيـه اشـارات الى مواعـظ — نافعـة لـكل واع حافـظ
قـد رسموها للهـدى مثـالا — أن الحـكيم يضرب الأمثـالا
يعنون أن العيش فى التدبير — وليس بالقسـمة والتقـدير
قال لـه الكهل وقـومى الفرس — الحكمـاء ما بذاك لبس
لهم سياسات وتدبير حسـن — كالشرع عدلا فى الفروض والسنن

ثم قـال :

والعيش بالرزق وبالتقـدير — وليس بالرأى ولا التـدبير
وقـد وضـعنا الرد للمثـال — لو فطنت بصـائر الرجـال

واستمر الفخر بينهما فى أبيات كثيرة ، بين كل منهما حجته فى فضل ما اخترعه قـومه ، وما فيه من اشارات ودلالات ، وما يستفيده لاعبه من سياسة وحكمة ، وما كان لاختراعه من أثر فى سياسة الملوك والدول وهـذا آخر حوار بينهمـا(٥٨) :

قال لـه الهندى وهـو صادق — لكن لنا فضل عليكم سـابق
تصنيفنا كليـلة ودمنـه — يقضى لنـا بحكمـة وفطنه
كم فيـه من موعظة وعلم — وحكمـة تعجب أهـل الفهم
قال لـه الفـارسى فى سـواه — لو كنت ذا علم به معنـاه
قال : وما رأيته ، قال : أجـل — ذاك لنقصى فيك ليس يحتمل(٥٩)

---

(٥٨) الصادح والباغم لابن الهبارية ص ١٤ .
(٥٩) الصادح والباغم ص ٢٥ .

سمعت بالله حـــديث الناسك   اذ راعــه الليــل بلص فاتــك

فقــال : لم أسمعه فاذكــر أسمع   لا تنفع الأخبار الا من يعى

وبدأ الفارسى قصة الناسك واللص الفاتك وخلاصتها : ان هــذا الفارسى خرج فى جماعة من التجار ومعهم ناسك نزل للصلاة فى طريق غير آمن ، فجاءه لص فأخــذ الناسك يعظه ، ويعــده أن يزوجه ابنته الوحيدة ، فحزن اللص وأظهر أنه قــد مات بقوة وعظه ، فنادى الناسك أصحابه التجار ليعـــودوا ويشهدوا جهازه فخاف اللص وقام يريد الفتك به ، فتضرع الناسك اليه وأخبره لافائدة فى قتله فقال له اللص :

تريد ان تخــدعنى لتســـــلما   وانثنى أعض كفــى ندمــــــا

أما سمعت قصة الظليم وفتكه بالصياد ، فقال الناسك :لا ، فأخبرنى بها ، فقال له : أخــذ صياد ظليما فسأله الظليم لم أخــذتنى :

قال له : شـــيخ معيل عائل   ولى بنـــات حـــالهن حائل

تنمة أطفال صغار ، فبكى الظ   ليم ممـــا قـــاله وضـــحكا

فسأله الشيخ : ما الذى يبكيك ويضحكك ؟

قـــــال بكاى لفراخى ، إنهم   قــد خيبت فى الليـــالى ظنهم

فرق لبكاه وذكر أولاده ، ثم سأله عن سبب الضحك فقال الظليم :

خرجت تبغى الرزق للعيـــال   والرزق فى بيتـــك كالجبـــال

قـــال : وما ذاك ؟ قـــال : كنز   فى داركم حيث تشــد العنز

ففرح الصياد وهم أن يطلقه ، ولكنه خشى أن تكون هــذه حيلة فلم يطلقه ، ففكر فى حيلة أخرى فقص عليه قصة البعير والجمال .

أخبره الظليم أن جمالا كان سائرا بجمله وعليه طعام ، فاستقبلا « مبرية مغيرة » لم يرها الجمال وأبصرها البعير ، فأخبره بخبرها فلم يصدقه ، حتى أدركته وشدت ثاقه ، وعاد الظليم الى حديثه مع الصياد ، والصياد فى شك من أمر الكنز الذى فى داره ، وقال للظليم :

من أين تبدى علم ما فى منزلى   من الكنوز فى الزمان الأول

فوصف له الظليم داره ، وما زال به حتى صدقه وأطلقه وعاد الى أولاده حريصا على اخراج الكنز فلم يكلمهم وبات يحفر فلم يجد شيئا وخرب الدار ولامه الناس .

ونعود للقصة الأصلية : قال اللص للناسك : انك تريد أن تخدعنى لأتركك . فقال له الناسك :

انسيك أن كففت عن اذاتى   أعطيتك المفروض من زكاتى

وقلت للرفقة هذا طالب   وحقه من الزكاة واجب

وكان خيرا لك فى الدارين   مما ترى فى موتى وحينى

فانخدع اللص الفاتك وسار معه ، فلما وصلا الى الركب أخبرهم الناسك أنه لص خبيث ، فربطوه ربطا محكما ، وقال له الناسك :

وقعت بعد ضربك الأمثالا   وذكرك الظليم والجمالا

فضرع اليه اللص وتاب على يديه ، وأعطاه القوم شيئا من الزكاة .

وأطلقوه فغدا يقول   خدعت عن رأيك يا جهول

من نال ما يريده فقد غلب   قد اتفقنا ، واختلفنا فى السبب

(ب) باب البيان ومفاخرة الحيوان :

ويبـــدأه بقـــوله :

حـــدثنى شـــيخ من الأعراب أعرفـــه بالصـــدق فى الخطـــاب
قـــال خرجت رائدا لأهـــــله وكان ذاك العـــام عام محـــل
فسرت من بئرين نصـــف ميل ثم ضـــللت لقم الســـــبيل
وكنت اذ ذاك غـــلاما يفعـــــه لـــكن قـــواى كلهـــا مجتمعـــه
قلبى جميع وجنـــــانى حاضر ماض على الهـــول جسور شاطر
استرشـــد الرياح والنجـــــوم قـــد سترتها دونى الغيـــــوم
فـــلاح لى شـــخص قريب منى فارتعت من ذاك وســـاء ظنى
وخلتـــه الغـــول فجاشت نفسى لانهـــــا لم تك أرض انس(٦٠)

وخلاصة هـــذا الباب :

يقول الفارسى : أن شيخا من الأعراب حـــدثه انه خرج رائدا لأهله ، فجار عن مقصده فوقف حائرا فرأى شخصا قريبا فارتاع وظنه الغـــول ، ثم ظهر له نخـــل وأثل ، فذهب الى هناك فوجـــد عيون ماء ورياحا فنزل فربط ناقتـــه وآكل من بعض النخيل ، ثم صعد نخلة لينام فوقها بعيدا عن الاذى •

فجـــاء ببر وهـــزبر ونمـــــر والوحش والطـــير جميعا تبتدر
وجاءت الانعـــــام والبهـــائم والهـــام والطيـــور والاراقـــم
والحشرات جلهـــــا ودقهـــــا مفتنـــة فى خلقهـــــا وخلقهـــــا
وارتفع العنقـــاء فـــوق دلبـــه وهـــو أمير الطير ، يبغى الخطبه

فخطب فحمد الله واثنى عليه ما خصه به من بديع الحسن ، وأفرده به من صورة شاهدة بقـــدرته وان كذب به الطغام ، وشك فى وجـــوده الانام لضعف عقولهم • وقال : ان هـــذا التكذيب ليس عجيبا مع الناس •

---

(٦٠) الصادح والباغم لابن الهبارية ص ٣٤ – ٣٥ •

فانهم قد كذبوا بالصانع وأنكروا البعث ليوم جامع

واستمر العنقاء فى حديثه عن بنى آدم ومزاعمهم وانكارهم للغيب وأنهم لو فكروا فى ملكوت السموات والأرض لامنوا بالله ولما قالوا : أن هذا من عمل الطبائع ، أو أنه صنعة من غير صانع ، أو أنه من عمل النجوم •

الى آخر ما أورده عن الناس ذما لآرائهم وعقائدهم ، وعدم اعتبارهم وتفكيرهم ، ثم يختتم ذلك بالاستدلال على أن بنى آدم ليسوا أفضل منهم ، وملمحا الى أن الحيوان خير من بنى آدم لعدم اشراكه ويأسه فيقول :

أسالهم ولا يقولوا مينا بأى شىء فضلوا علينا
ونحن لا نشرك بالله ولا نقنط من رحمته أذ نبتلى
فقالت الطيور مثل قوله وضجت الوحش به من حوله
وقالت الانعام والسباع لقد أصاب الملك المطاع

ثم يقول الفارسى أن الأعرابى تألم لما سمع هذا الطعن فى بنى جنسه الانسان وهم أن يجيب ، ولكنه رأى نفسه وحيدا فخاف الهلاك ، وخشى أن يكون مثله مثل من أضاع المال لطلب الربح ، كالتاجر الذى أراد أن يبيع جواهره للملك ، فعابها الدلال لعله يكرهها وقد يبيعها رخيصة فعاد بها التاجر الى بيته ليصلح ما فيها من العيوب ، على طريقة رآها فى مكتوب :

فدقها فى هاون وبلها بلبن الكلب يريد حلها

ووضعها فى الشمس لعلها تحلها ، فصارت الجواهر برادة ، فندم المسكين وكذلك من باع الوجود بالعدم •

ورأى الشيخ أنه لابد له من حيلة مع هؤلاء البهائم ، وان الكيد قد يغنى عن القوة فاستعمل الكيد والحيلة مع هؤلاء البهائم ، فنزل الى عين ماء وغاص فيها الى رقبته ، وصاح صياحا عظيما أفزعهم ، فكادوا يفرون ، ثم ذهبوا الى مصدر الصياح وسألوه ، من أنت ؟ فقال : رسول ملك الجن أرسلنى اليكم فى

صورة انسان • وقد سمع ما قلتم فى حق بنى آدم وانى سأناظركم وكيلا عنه • فدعوا الفيل للمناظرة ، فلم يصلح ، ثم دعوا الانعام فتكلم عنها الجمل فقال : انها لا تنسى فضل الانسان عليها ، وطول صحبتها له •

فغضب النعام مما قال الجمل ، واتهمه بالحمق ، وأخبره أن سبب اكرام الناس لهم هو انتفاعهم بالحيوان ، وانهم يفعلون ذلك كالضرغام الذى أكرم حمارا وأنقذه من الطين وسمنه ثم أكله • أو كالذئب الذى مر بغزالة مريضة هزيلة فأخذها وأحسن طعامها حتى سمنت ثم أكلها وهكذا الانس فى إكرامهم لبعض أنواع الحيوان •

فقال أبو أيوب : ان اكرام الناس أو ايذاءهم للحيوان فيه مصلحة •

ثم تكلمت العنقاء وتكلم الحصان ينفى التهم عن بنى آدم وتحدث كثيرا عن فضل هذا النوع من المخلوقات وان الله جعلهم سادة لهم ، وسخر لهم ما فى الأرض جميعا •

واستمر الجدل بينهم حتى آمن الجميع بأن الحصان « الصبا » على صواب وانقاد العنقاء ملكهم للحق ، ودعا الشيخ الأعرابى فاعتذر اليه وقال له : قل لملك الجن انى قد تبت عن مقالى ، وبان لى ما كان خفيا عنى • لكنه عجب من مقال ملك الجن ، مع ما بينهم وبين الانس من عداوة بالطبع ، فنفى الأعرابى هذه العداوة وأثبت أن أصلهما النار والطين ، ولا يمنعان ما بين الثقلين من قرابة التكليف ، وأنهم مخاطبون جميعا بالأوامر والنواهى • وتفرق الجميع وذهب الأعرابى بالفرس الأشقر •

وقد تأثر ابن الهبارية فى هذا الباب بكل من كليلة ودمنة ورسالة تداعى الحيوان لاخوان الصفا أما من حيث تأثره بكليلة ودمنة ففى الحكايات الفرعية والمغازى الخلقية التى يرمى اليها كل من ابن المقفع وابن الهبارية ، أما عن تأثره برسالة الاخوان فمن حيث الفكرة الفلسفية التى أودعها فى المناظرة بين الحيوان بعضه وبعض وبينه وبين الأعرابى الذى أخبرهم أنه رسول ملك الجن لهم ومن حيث الاستطراد والخروج من مناظرة الى أخرى • وقد جاء فى رسالة تداعى الحيوان لاخوان الصفا ، فقام خطيب من الانس من بنى العباس رضوان الله

عليهم ، وقد دعاه الى ذلك ملك الجن ليبين بالحجج الشرعية والعقلية أن الحيوان عبيد الناس •

وابن الهبارية من نسل العباس ولذا فقد أراد تحقيق ظن اخوان الصفا فجاء بهذا الباب بجانب ما فيه من روح رسالتهم من حيث النزاع بين الانسان والحيوان وقد دافع عن بنى الانسان على لسان الأعرابى ، كما دافع الخطيب عن الانس من بنى العباس فى اخوان الصفا ولكن بعد ذلك اختلف كل من الصادح والباغم ورسالة اخوان الصفا فيما انتهى اليه كل ، ففى الرسالة اعترف الجن بفضل بنى الانسان عليهم ، أما فى الصادح والباغم فقد تساوى الجن مع بنى الانسان بسبب اشتراكهما فى التكليف وتشابه الأصل •

(جـ) باب الأدب :

ويشتمل على ستة وعشرين فصلا فى الحكم والأمثال ويبدأه بقوله :

فاجتزت فى طريقى ... بزهر أنيق
طيورها صوادح ... ظباؤها سوانح
كأنه مفكر ... أو واله محير
لأنه مشغول ... وعقله معقول
وروضه أريضه ... طويلة عريضه
كأنه منتظر ... زيارة أو حذر
وطائر فى شجره ... ليس يمس الثمره
أو عاشق أو ثاكل ... أو أبله أو غافل
ينظر فى الآفاق ... تلفت المشتاق
فاقبلت غزاله ... فى حسنها مختاله
فربضت قريبا ... وانتصبت خطيبا(٦١)

وتكلمت فى غرور الدنيا ، وفى صحبة السلطان ، فردت عليها الأيكية « الحمامة » فصلا فى واجبات السلطان ، وآخر فى علو الهمة وطلب المعالى ،

---

(٦١) الصادح والباغم لابن الهبارية ص ٨٩ •

وثالثا فى منفعة التجارب ، ورابعا فى هموم الدنيا ، وغمومها ، وخامسا فى اجتناب الجهال • وجاءت كل منهما بكثير من الحكم والأمثال فى سياسة الناس ومنافعهم ومضارهم وأخلاقهم وأعمالهم وطغيانهم اذا قدروا ، وذلهم اذا هانوا ، وأشباه ذلك •

ثم بعد ذلك يأتى المؤلف بفصول فى الحكم أكثرها صناعة لفظية ، منها فصل يبتدىء بحكم مع لا الناهية وغيره بحكم مع من الشرطية أو حكم مع ليس ، أو حكم مع ما النافية أو كل ، ثم حكم مع من الشرطية ، وفصل فى التوقى من كلام الناس ، وفصل فى شروط الصحبة ، وفصل فى الصحبة والقناعة وفصل فى شرف السلطنة وجلالتها وفصل فى تضنب العمال ، وحكم متفرقة ، وفصل فى الكرم والسخاء وحكم مع ما التعجبية ، وحكم متفرقة ، وفصل فى رداءة الأقارب ، وأقوال أدبية ثم يختم ذلك بأنهما افترقا ثم تم الجديث وختم ، ويلى ذلك مدح الأمير صدقة ، ثم فصل فى الكتاب ومدحه وأنه جعله برسم الأمير صدقة(٦٢) •

وقد تأثر ابن الهبارية فى هذا الباب بأبى العتاهية فى ايراد الحكم والأمثال فى قصيدته الطويلة « ذات الأمثال » الا أن ابن الهبارية قد فاق على أبى العتاهية • فى أنه جمع الحكم المتشابهة تحت عنوان وأحد ، فكان بذلك أكثر نظاما وتصنيفا لأمثاله من أبى العتاهية وقد أخذ العناوين من كتاب كليلة ودمنة ومن كتب الآداب السلطانية ومن كتب الأخلاق ومن مواعظ الصالحين وضمنها آراء قيمة فى أصناف الناس وفى أعوان السلطان وفى سياسة الرعية ••• الخ • وتتميز حكمه بأنها خفيفة سهلة المأخذ قد أحسن الشاعر نظمها وعرضها وان كانت جمعت جمعا فى بعض المواضع دون أن تكون هناك رابطة تجمع بينها عدا الوزن ويغلب على الكتاب الميل الواضح الى الصنعة اللفظية وفيه كثير من الاستطراد فى القصص الفرعية التى نراها فى بيان الأولين ، وبضعف الربط بين هذه القصص الاستطرادية الفرعية وبين القصة الأصلية مما يجعل القارىء غير قادر على تتبع تسلسل أحداث القصص الفرعية أثناء مطالعته للكتاب ومن ذلك الصعوبة فى الربط بين قصة البعير والجمال الاستطرادية وبين قصة الناسك واللص الفاتك الأصلية •

---

(٦٢) قصص الحيوان فى الأدب العربى ـ عبد الرازق ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ •

وأيضا صعوبة فى الربط بين قصة امرأة الراعى الفرعية وبين القصة الأصلية فى باب التفاخر على أن هذا العيب مشترك بين الصادح والباغم وكتاب كليلة ودمنة وان كان فى الصادح والباغم أوضح وأظهر .

والعناوين التى وردت فى الطبعة الأخيرة سنة ١٩٣٦ ونشرها عزت العطار عناوين ليست ذات أهمية ، فكثيرا ما يهمل العناوين الرئيسية لقصص مهمة ويظهر العناوين التى لا قيمة لهـا ولو جاء لكل قصة بعنوان لكان فى هذا ما يوضح غموض الكتاب ويبين مواطن الاستطراد وليس فى هذه الطبعة شىء يكشف عن هذا الغموض .

والكتاب دون مستوى كليلة ودمنة بكثير ولم يبلغ فيه ابن الهبارية ما بلغه فى كتابه السابق « نتائج الفطنة » .

سابعا : سلوان المطاع فى عدوان الاتباع

لابن ظفر الصيقلى

وقد ألفه حجة الدين أبى هاشم محمد بن أحمد بن ظفر الصقلى المتوفى عام ٥٦٥ هـ وأهداه لصديقه أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم بن على العلوى القرشى أحد قواد صقلية (سيسيل) فى عام ٥٥٤ هـ وقد جاء فى الصفحة الأولى من هذا الكتاب أن المؤلف كان منتهيا من تأليفه وكتابته بخطه فى رجب ٥٦٥ هـ وقد قدمه هدية لصديقه « نائد السادة وقائد القادة ، أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم القرشى » وقد بين فى هذه المقدمة ما اشتمل عليه الكتاب من أبواب ، والطريقة التى سار عليها فى تأليفه ، فقال : « وهو كتاب عمدت فيه الى أمثلة استأثر خواص الملوك ببضاعتها ، ومنعتهم الغيرة عليها من اذاعتها ، فتوسعت بالتعبير بالفاظى عليها ، والتخيير بعلمى لها ، والتفنن بقوى فطنتى فيها توسعا لا يحظره شرع ، ولا ينبو عنه سمع .. وصدرتها بآى من التنزيل المحكم ، وأحاديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الى ما يلى ذلك من منثور الحكم وموزونها ، وابكار الآداب وعونها ، فبرزت روضة للقلوب والأسماع ورياضة للعقول والطباع ، سميتها « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » والسلوان

جمع سلوانة وهى خرزة يزعم العرب أن الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا ويتألف الكتاب من خمس سلوانات وهى :

١ ــ السلوانة الأولى فى التفويض .

٢ ــ السلوانة الثانية فى التأسى .

٣ ــ السلوانة الثالثة فى الصبر .

٤ ــ السلوانة الرابعة فى الرضى .

٥ ــ السلوانة الخامسة فى الزهد .

ويتفق المضمون العام للسلوانة مع عنوانها فى المعنى فمثلا يدور مضمون السلوانة الأولى حول معنى التفويض فقد بدأها المؤلف بقوله « ربنا تقدس اسمه : (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وقوله تقدس اسمه : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم بعد ذلك يبين كيف تؤدى الآيتان الكريمتان الى التفويض ، وبعد ذلك يذكر قصة « مؤمن آل فرعون » وكيف عامله الله وأكرمه حين فوض أمره اليه ، ثم يذكر بعد ذلك أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيها الرسول الكريم الى التفويض مثل قوله عليه الصلاة والسلام « اذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم انى اسلمت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك ، والجأت ظهرى اليك ، لا منجى ولا ملجأ منك الا اليك ... » الخ وبعد ذلك يورد الكاتب اسجاعا وأبياتا من الشعر فى التفويض . ثم روضة فائقة ورياضة رائقة . وذلك كله تمهيد للقصص التى يوردها بعد ذلك وهى أيضا تدور حول التفويض ــ عنوان السلوانة ــ وأول قصة يذكرها هى « قصة الوليد بن يزيد » وهى من التاريخ العربى لما أدبر أمره ، وأرسل خادما ليأتيه برجل على هيئة خاصة ، ولما أتى الخادم بالرجل كما أمره سيده طلب الوليد بن يزيد من الرجل أن يحدثه فأخبره الرجل بقصة جده عبد الملك لما خرج عليه عمرو بن سعيد ، فقد من جده برجل لا يعرفه وسأله عما يراه فى حروب الخليفة ، فقال له الرجل : أن حرب ابن سعيد أولى من حرب ابن الزبير ، لأن الأول باغ خرج على امام بايعه .

ويشتمل الكتاب على بعض الأساطير الفارسية ، وسير بعض ملوك الفرس المشهورين مثل كسرى أنو شروان ويزدجرد وغيرهما ، أما فابولا الحيوان فقليلة فى الكتاب الا أنها تشكل ركنا هاما وأساسيا فى تنسيق قصص الكتاب واطارا فنيا عاما يربط بعضها ببعض .

وفابولا الحيوان فى سلوان المطاع متأثرة كل التأثر بفابولا كليلة ودمنة من حيث التقديم للحكاية بالتساؤل والاستفهام ، ومن حيث طريقة العرض والاستطراد من قصة الى أخرى . وفى ثنايا هذا يقدم المؤلف المثل والحكمة وهذه كلها آثار مقفعية واستشهد هنا من الكتاب بقصة الثعلبين ظالم ومفوض وفيها يقول ابن ظفر الصقلى :

(أن ثعلبا اسمه « ظالم » كان يقيم فى جحر ، وعاد اليه يوما فوجد فيه حية استوطنته فذهب يطلب لنفسه مأوى ، فانتهى به الطواف الى جحر حسن الظاهر ، حصين الموضع ، فى أرض خصيبة ، لثعلب يدعى « مفوضا » ورثه عن أبيه ، فناداه « ظالم » فرحب به وأدخله جحره وسأله عما قصد ، فقص عليه خبره ، وشكا اليه الحية ، فرق له « مفوض » ثم قال له « ان من الهمة الا تقصر عن مطالبة عدوك ، وان تستفرغ جهدك فى ابتغاء دفعه وهلكه وأنه كان يقال : من تهيب عدوه فقد جند جيش لنفسه جيشا ، وكان يقال : رب حيلة أنفع من قبيلة ، وكان يقال : الموت فى طلب الثأر خير من الحياة فى العار ، وكان يقال : اذا طلبت لقاء عدوك بالقوة ، فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك ، واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن أمره عندك وان كان عظيما .

الرأى عندى أن تنطلق معى الى مأواك الذى انتزع منك غصبا ، فلعلى أنتهى الى وجه مكيدة فى تمكينك منه ، فان أفضل الرأى ما أسس على الروية ولهذا قيل : « يفسد التدبير بثلاثة أسباب أحدها أن تكثر الشركاء فيه ، فاذا كان ذلك انتشر التدبير فيه وبطل ، والثانى أن يكون الشركاء فى التدبير متنافسين متحاسدين ، فيدخله الهوى والبغى فيفسد ، والثالث ان يملك التدبير من غاب عن الأمر المدبر ، دون من باشره وشاهده ، فاذا كان ذلك كذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الفرص ثم أن تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخبر ، وتدبير المبصرات مؤسس على يقين النظر » .

ثم انطلقا الى جحر « ظالم » وعادا ، وظل مفوض ليلته فى جحره يفكر فى حيلة . أما « ظالم » فقد رأى فى سعة جحر « مفوض » وطيب موقعه ما جعله يطمع فى غصبه . فلما أصبحا عرض عليه « مفوض » أن يبقى معه فى هذا المكان ، وان يعينه على احتفار مسكن قريب منه ، فأظهر شدة الشوق والحنين الى وطنه ، وأنه لا يستطيع احتمال الغربة ، وان حروف هذه الكلمة مجموعة من أسماء تدل على معنى الغربة ، فالغين : من غيبة وغرر وغم وغلة — وهى حرارة الحزن والظمأ — وغرم وغول — وهو كل مهلكة والراء : من روع ورعب ورنق وهو الكيد — ورزء — وهو الهلاك ، والباء من بلوى وبؤس وبعد وبرح — وهى الداهية — وبوار — وهو الهلاك .

فلما رأى « مفوض » منه شدة اشتياقه الى وطنه قال له : أرى أن نذهب يوما فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين ، واذا أقبل الليل انطلقت أنا الى بعض هذه الخيام فأخذت قبس نار ، واحتملنا القبس والحطب وقصدنا الى مسكنك فجعلنا الحزمتين على بابه ، وأضرمناهما نارا ، فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الحجر أهلكها الدخان .. فقال ظالم : نعم الرأى .

ثم احتطبا حزمتين وذهب « مفوض » ليجىء بقبس من احدى الخيام القريبة ، فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فغيبها فى موضع وذهب بالأخرى الى جحر « مفوض » اذ حاصره وعنده طعام وشراب فى الجحر يقوى بهما على الحصار وعاد « مفوض » فلم يجده ، فأحسن به الظن ، وقال فى نفسه لعله لم يرد أن يكلفنى احتمال الحطب معه ، وبدا له أن يلقى القبس ويلحق « ظالما » ليحمل معه الحطب ، ثم كره أن يطفىء الريح القبس فأدخله فى باب الجحر ، فأصاب الحطب فأضرمه ، فاحترق ظالم وحاق به مكره .

فلما أطلع « مفوض » على أمر ظالم قال : ما رأيت كالبغى سلاحا أكثر عملا فى محتمله ولما أطفئت النار دخل جحره ، فاستخرج جيفة « ظالم » فالقاه وأوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد الكائدين »(٦٣) .

(٦٣) قصص الحيوان فى الأدب العربى — عبد الرازق حميدة ص ١٧١ — ١٧٣ .

والقصة لطيفة ظريفة وهي تشوق القارىء لما فيها من حسن الربط والسير في طريق الغاية الخلقية ولكن مما يؤخذ على الكاتب فيها أنه يحرص على التأكيد على هذه الغاية والنص عليها بدلا من أن يترك للقارىء فرصة استخلاص هذه الغاية من خلال التصوير والتحليل ، وقد انتهز كل فرصة في القصة ليؤكد صفة الواعظ ويقويها في نفس القارىء .

ولهذه القصة أصل في كليلة ودمنة أراه في قصة الصفرد والأرنب(٦٤) وفيها تحتل الأرنب جحر الصفرد فيحتكمان الى السنور الذى يتظاهر بالتقوى والورع والذى يوفق بينهما بالتهامهما معا .

كما أن القصة متأثرة بكليلة ودمنة من حيث الاستطراد والاستشهاد بالأمثال والأقوال المأثورة .

والقارىء لكتاب سلوان المطاع يتبين له أن الكتاب صادر عن قلم أديب وفيلسوف قد ألم بعلوم عصره رغم ما يسود الأسلوب من شوائب ، فقد أكثر المؤلف من المحسنات البديعية حتى بدت متكلفة تكلفا سخيفا يبعث على الملل ، كما عمد الى نقل الألفاظ الفلسفية والاسهاب في شرح المفردات على نحو ما فعل في المقدمة من شرحه لكلمة « سلوانة » .

وهذا قد يبعث على الملل وقد ينسى القارىء الموضوع الأساسى لانشغاله بشرح هذه الألفاظ .

وقد نشر كتاب سلوان المطاع في مصر لأول مرة سنة ١٢٧٨ هـ كما طبع بتونس سنة ١٢٧٩ وفي بيروت سنة ١٣٠٠ هـ .

وقد قام قرا خليل زادة المتوفى سنة ١١٦٨ هـ بترجمة الكتاب من اللغة العربية الى اللغة التركية العثمانية ونشره في استانبول .

---

(٦٤) احدى قصص باب البوم والغربان .

ثم قام المستشرق الايطالي « آماري » بترجمته من التركية العثمانية الى الايطالية ومنها نقل وترجم الى الانجليزية(٦٥) •

ثم قام تاج الدين فى الهند عام ١٣١٧ هـ بترجمة الكتاب الى اللغة الفارسية وسماه « مفرج القلوب » ثم نقله الكاتب الهندى الشهير بالأمير بهـادر على الحسينى الى اللغة الهندية(٦٦) •

ثامنا ــ كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

لابن عرب شاه

هو أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي المعروف بابن عربشاة(٦٧) المتوفى سنة ٨٥٤ هـ • والكتاب محاكاة لكليلة ودمنة ، ويذكر المؤلف فى المقـدمة السبب الذى من أجله وضع الحكماء الحكايات على ألسنة الحيوانات والبهائم فيقول :

---

(٦٥) معجم المطبوعات العربية لسركيس •

(٦٦) درباه كليلة ودمنة لمحمد جعفر محجوب ص ٢٣٤، طبعة طهران •

(٦٧) هـو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشيخ شهاب الدين ابو محمـد شمس الدين الدمشقى الأصل المعروف بابن عرب شاه ولد سنة ٧٩١ بدمشق ، ونشأ فيها ، وهرب مع أمه واخـوته الى بلاد الروم ومنها الى سمرقند ، وبلاد الخطا ، وأقام فى تركستان وتلقى العلوم على شيوخ تلك البلدان وغيرهم ، ثم نزح الى المملكة العثمانية فى آسيا الصغرى ، وخـدم سلطانها محمد الأول (٨٠٥ ــ ٨٢٤ هـ) فنقل له بعض الكتب من الفارسية الى التركية ، وتولى له ديوان الانشاء ، وكتب له عن ملوك الأطراف عربيها وفارسيها وتركيها ، فلما مات السلطان المذكور عاد ابن عرب شاه الى الشام فأقام فى حلب وقـد تزايدت معارفه ، وانقطع للمطالعة فى الفقه والبيان ، ونزح الى القاهرة فى زمن الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ ــ ٨٥٧ هـ) حتى مات سنة ٨٥٤ فى الخانقة بالصالحية وكان بارعا فى النظم والنثر وسائر العلوم يكتب فى اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية واتقن الخط ومن اشهر مؤلفاته :

١ ــ عجائب المقـدور فى نوادر تيمور •

٢ ــ التاليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر جقمق •

٣ ــ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء •

٤ ــ مرزبان نامة « تاريخ آداب اللغة العربية بركلمان » ج ٣ ص ١٥٠ كشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ١٦٣ •

« أن هناك كثيرا من الأذكياء يعمدون الى الحيوان بقصد ابراز بعض الحكم والعبر لتميل لسماعه الأسماع ، وترغب فى مطابعته الطباع ، لان الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير معتادة شيئا من الحكمة ولا يسند اليها أدب ولا فطنة .. لان طبعها الشماس والاذى والافتراس فاذا أسند اليها مكارم الأخلاق وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والوفاق ، وسلكت وهى مجبولة على الخيانة سبيل الوفاء ، ولازمت وهى مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء ، أصغت الاذان الى استماع أخبارها ، ومالت الطباع الى استكشاف آثارها »(٦٨) .

ويتفق هذا مع ما كان يهدف اليه ابن المقفع كما جاء فى مقدمة كليلة ودمنة وقد أشار ابن عربشاه فى مقدمة كتابه أيضا الى كتاب كليلة ودمنة والصادح والباغم فى لغة العرب والى جماعة أخرى وضعت كتبا مثلها فى غير لسان العرب يقول « واشتهر فيما هنالك ، وفاق على نظائره ، بمخبره ومنظره ، وحاز فنون الفطنة ، كليلة ودمنة ، والمتمثل بحكمه الطباع ، كتاب سلوان المطاع ، والمفحم بنظمه العجيب ، كل شاعر وأديب ، معجز الضراغم ، الصادح والباغم(٦٩) . ويعترف ابن عربشاه بتأثره بمن سبقوه فى هذا الفن وباقتفائه أثرهم فيقول :

« وسيرت فارس الأفكار ، فى ميدان هذا المضمار ، وقصدت من الفائدة ما قصدوه ، ومن الفائدة فى الدارين ما رصدوه ، وجمعت ما بلغنى من نقلة الأخبار وحملة الآثار ، ورواة الاسفار لسان شيخ اللطائف ، ومنبع المعارف ، وامام الطوائف ، ومجمع العوارف ، ذى الفضل والاحسان أبى المحاسن حسان . ووضعت هذا الكتاب ، نزهة لبنى الآداب ، وعمدة لأولى الألباب ، من الملوك والنواب ، والأمراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب وسميته « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء »(٧٠) .

---

(٦٨) فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ٥ – ٧ ط المطبعة اليمنية بمصر « آليا الحلبى » سنة ١٣٠٦ هـ .

(٦٩) السابق (المقدمة) .

(٧٠) السابق

ويتألف الكتاب من عشرة أبواب هي :

١ ــ الباب الأول : في ذكر ملك العرب الذي كان السبب في وضع هــذا الكتاب .

٢ ــ الباب الثاني : في وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم .

٣ ــ الباب الثالث : في حكم ملك الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك .

٤ ــ الباب الرابع : في مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان .

٥ ــ الباب الخامس : في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب كبير الضبــاع .

٦ ــ الباب السادس : في نوادر التيس المشرقي والكلب الافريقي .

٧ ــ الباب السابع : في ذكر القتال بين أبي الابطال الزبيـــال وابن دغفل سلطان الأفيال .

٨ ــ الباب الثامن : في حكم الأســد الزاهــد وأمثال الجمل الشارد .

٩ ــ الباب التاسع : في ذكر ملك الطير العقــاب والحجلتين الناجيتين من العقاب .

١٠ ــ الباب العاشر : في معاملة الأحباب الخادم والأعداء والأصحاب .

ويورد الكاتب في الأبواب الثلاثة الأولى حكايات ونوادر عن أشهر الملوك والشعوب في عصره مثل العرب والعجم والأتراك ، ثم بعــد ذلك يورد مباحث زاهــد الانس العالم مع الشيطان الجني الاثيم وبعــد ذلك يستطرد الى فــوائد البهائم والوحوش والسباع ، ثم يورد حكما على لسان الطيور في الباب التاسع والعاشر ، وكل هــذه الأخبار والحكم يرويها الحكيم حسيب بأسلوب شــيق جــذاب ، افتتن به الوزير حتى أنه ما كاد الحكيم ينتهي من استعراض ملاحــه ونوادره حتى قام الوزير وقبل قــدميه اعترافا له بالفضل المنعم عليه ، وأنه مالك أزمة الانشاء ، وملك الكلام يصرفه كيف شاء ، وأنه شيخ المنقول ، وأستاذ المعقول ، وأما أخــوه الملك ففرح به واتخــذه في مهام أموره مقام أميره ، ودعاه ان يسعى في الصلح بينه وبين اخــوته ففعل .

وأقـدم فيما يلي عرضا موجزا للباب الأول من هـذا الكتاب ليتسنى لي بعـد ذلك أن أقيم مقارنة بين كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء وكتاب كليلة ودمنة متخـذا من هـذا الباب مثالا لاقامة هـذه المقارنة •

وقـد بين الكاتب فى الباب الأول على لسان الشيخ ابى المحاسن أن السبب فى وضع هـذا الكتاب : ان فيلا من الأفيال واسع السلطان ، كثير الأعـوان ، كان له ستة أولاد ، كل بالسيادة مذكور ، وبالعلم والحلم مشهور ، وكان أكثرهم فضلا وعقلا « الحكيم حسيب » •

فلما مات أبوه استولى الأكبر على الملك وطاعته المملكة ، ثم نفس عليـه اخـوته ، ونازعـوه السلطان الا حسيبا الحكيم ، فقـد أراد أن يعتزل الفتن الى أن تنجلى الأمور ، ليؤلف كتـابا يشتمل على فنون من الحكمة ، وأنواع من دقائق الأدب والفطنة ، ولطائف التهـذيب وأخلاق العباد ويكون عـونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاذ ، وتتوفر به مكارم الأخلاق والشيم • وعـوالى تهـذيب النفس وطرائف الفضل والحكم وذهب الى أخيه فأخبره بما استقر عليه رأيه ، فاستشار الملك وزيره فخـوفه أخاه الحكيم ما عزم عليـه ، وسـأله أن يجمع بينهما ليبين للسلطان دسائسه ، فجمع الملك كبراء الدولة وحكماءها وأبداءها وغيرهم فى مجلس عام للاستماع الى رأى كل منهما •

وتكلم الحكيم حسيب فقال أنه فى مثل هـذا الحكم يجب حسن الأداء ، ثم حسن الاستماع ثم الاستفادة ، ثم المرتبة الرابعة وهى درجة العمل ، وأما الغاية القصوى فهى الاخلاص فى العمل وطلب الآخرة واتباع رضا المولى •

ثم بين أن النصيحة ثقيلة على النفس والقلب لان النفس مائلة الى الفساد والنصيحة محض خير وبر •• والنفس مطبوعة على الاذى والشر فبينهما تنافر فى أصـل الخلقـة •

ثم بين أن العقل أفضل شىء جـل فى الانسان ، وان الخلق الحسن أفضل درة فى تاج العقل ، وأن أفضل الناس بعـد الرسول الكريم هـو الملك الذى يحيى شريعته • وأورد بعـد ذلك ما يجب على الملك من العـدل والشفقة لتصلح

أمور الرعية وحــذره الطيش والخفة ، ودعاه الى اجتناب الاسراف والتبذير وان يصرف المـــال فى وجهه ، من غير سرف ولا تقتير وان يتفكر قبــل أن يصدر امرا ثم قال أنه أراد الاعتزال لمـــا رأى المملكة مختلة والظلم فاشيا ، فدعاه الملك ان يستمع الى رأى الوزير فيما قاله وما أراده ، فقال الوزير : أن ما ســـاد المملكة من الشدة هـــو بسبب فساد الناس والزمان ، وأعراضهم عن طاعة السلطان ، وما شعروا أن الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى ، وألبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا .

فرد الحكيم حسيب بأن صلاح الرعية تابع لصلاح السلطان ، وان على الحكام أن يعـــدلوا والا يأخـــذوا أحـــدا بجريرة أحـــد ، وان يسيروا على سنة أسلافهم ، ومن لم يفعل ذلك أصـــابه ما أصـــاب الذئب مـــع الجـــدى المغنى وخلاصتها : ان ذئبا أراد الاغارة على قطيع فعجز عن أن يصيب منه شيئا ليقظة الراعى وتحفظه ، ثم تخلف جـــدى فأدركه الذئب ، وفكر الجـــدى فى حيلة يخرج بها من هـــذه الورطة فقال للذئب : أن الراعى قـــد أرسلنى هـــدية لك ، لانك لم تفجعه فى شىء من قطيعه ، أمرنى أن أغنيك قبل أن تأكلنى « وان صوتى للذيد » ألذ للجائع من جـــدى حنيف ، وغنى فطرب الذئب ودعاه أن يرفع صوته ، فغنى بأعلى صوته ، فسمعه الراعى فأقبل بعصاه « فلم يشعر الذئب الذاهـــل وهو لحسن السماع غافل ، الا والراعى بالعصا على قفاه نازل » فهرب الذئب متألمـــا نادما وهـــو يقول(٧١) :

وعاجز الرأى مضياع لفرصته   حتى اذا فات أمر عاتب القدر

وانما أوردت هـــذا النظير ، لمولانا الملك والوزير ، ليعلم أن العـــدول عن طرائق الأصول ليس الا داعية للفضول ، ولا يساعده معقول ولا منقول ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، ويؤخـــذ من مفهوم هـــذا الحكم أن من لم يشابه أباه فقـــد ظلم ، خصوصا الملوك والسلاطين .

ثم يقول ومن ترك التأمل والافتكار ، أصابه ما أصاب ابن آوى مع الحمار فقال : أفـــدنا أيها المختار ، كيفية هـــذه الأخبار .

---

(٧١) ص ١٩ .

فقص عليــه الحكيم قصة ابن آوى الذى كان يغير على بستان فشعر به صاحبه فسد عليه طرق الخلاص وضربه ضربا مميتا وألقى به فى الطريق ، فلما أفاق ترك البستان وقال : لا خير لى فى جواره ، ولا قرب داره ، فان سلمت هــذه المرة فما كل مرة تسلم الجرة ، والاليق بالحال : الترحال •• والذى شـــق الاشـــداق تكفل لهـــا بالأرزاق ،وذهب الى ذئب كان صـــديقا لأبيــه فأحسن لقاءه ،وعزم على الاصطياد ليطعمه فقال الثعلب : لاتتعب فأنا أذهب فلى صاحب حمار ، كأنه تيس مستعار ، وذهب ليأتيه به ولمـــا وجه ابن آوى لطلب الزبون ، انتهى فسيره الى طاحون ، فرأى حمارا قـــد آلمــه العمل ، ثم تركه أصحابه فذهب الى المرج يرعى • فتقـــدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه ، وسأله عن الأهل والأولاد ، فقال له : أى أهل وولد وأنا فى هـــذا البؤس والنكد •• هـــذا يركب وهـــذا يضرب •• وهـــذا يحمل حمله وهـــذا ينخس بالمسلة فكأنى فى مشاقى كما قيل :

ولا يقيم على ضيم يراد بـــه   الا الاذلان عير الحى والـــوتد
هـــذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثى لـــه أحـــد

فاظهر ابن آوى التوجع ، وزين له الفرار الى أجمة ، آمنة طيبة المرعى ، فرضى وسار له مسرعا فلما قربا من الاجمة أبصر الذئب ، ففكر فى حيـــله ، فقال للثعلب : لقـــد جئت قبل أن أودع جيرانى ، وأبت مالى من التعلقات ، وأريد أن أرجع لاسوى أمورى هناك ، وأهم ما يشغلنى أننى تركت هناك وصية مع أبى لا أستطيع الهـــدوء بغيرها فى يقظة ولا منام • وألوى راجعا فرجع معـــه الثعلب ، وظل الحمار يحـــدثه حتى وصلا الى الضيعة ، فرفع الحمار صوته بالنهيق ، فسمعته الكلاب ، فخرجت الى لقائه فرأت ابن آوى وقـــد أراد الهرب ، فاحتوشته وانتوشته ، واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا أثرا » •

ثم قال الحكيم حسيب : وانما أوردت هـــا المثال وعرضته على الرأى العال ، ليعلم أن الاغترار بالكلام محال ، والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من ألفاظها الى معانيها ، وتأمل فى مقاصـــدها وفحاويها ، والاعتماد على القضايا المزخرفة ، والركون الى الأمور المسفسفة ، لا يفيد سوى الندم ،

وزلة القـدم ، والأصل في الولايات والمناصب ، التفكير في الخواتم والتأمل في العـواقب .

عندئذ أدرك الملك والوزير فضل الحكيم حسيب واعترفا له بسداد الراى ، وحكمه الملك في ولايته وولاه على الحكام والقضاة ، وبسط يده في الأقاليم واطلق لسانه في التعاليم ، فنهض الحكيم من مجتمعه وامتثل المراسيم الشريفه ، واشتغل بتاليف هـذه الحكم الظريفة ، وترتيبها بالعبارات اللطيفة .

ومن هـذا العرض يتبين لنـا أن ابن عرب شاة قـد تاثر بالاطار الفنى الحكاى في كتاب كليله ودمنة من حيث الاستطراد وتداخل الحكايات ، والاكثار من الأمثال ، والحكم والمواعظ وأقوال الحكماء والأنبياء والشعراء . كما تأثر ابن عرب شاة بالمضمون في كتاب كليلة ودمنة واقتدى بابن المقفع وبالحكيم بيديا وجعل المواعظ فيه على ألسنة الحيوان والطير وجعل الحكيم حسيبا يقف من اخيه موقف الموعظة كموقف دبشليم من بيديا وأرى أن ابن عربشاة قـد اقتبس قصة « الذئب وابن آوى والحمار » المشار اليها آنفا من ابن المقفع ، وأراها اقتباسا من قصة « الأسـد وابن آوى » والحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا اذنان(٧٢) .

ونقاط الالتقاء بين القصتين تتمثل في أن ابن آوى يخدع الحمار ويسعى به الى الأسد عند ابن المقفع والى الذئب عند ابن عرب شاه ، ولكن حمار ابن عرب شـاه كان ذكيـا فطنا على خلاف ما نعهده في الحمار عادة من بلاهة وغباء وقـد تمكن بذكائه من النجـاة بعـد أن كاد يوقعه ابن آوى في الشرك ، أما حمار ابن المقفع فقـد برز لنا في الصورة التى نألفها للحمار عادة من بلاهة وغباء فهـو يذهب مع ابن آوى ويرى شبح الموت متربصا به ويتمكن من الفرار منـه وينجـو بحياته ويتخلص من المصير المؤلم الذى كان ينتظره ومع هـذا يخـدع ثانية بنفس الأسلوب الذى خـدع به في المرة الأولى ويعود مع ابن آوى الى الموت بقـدميه ليلقى حتفه على يدى الأسـد .

---

(٧٢) انظر باب القرد والغيلم .

وتلتقى الحيلة التى لجأ اليها حمار ابن عربشاه بالحيلة التى لجأ اليها القرد ليتخلص من الغيلم بعد أن كاد يفتك به فى كليلة ودمنة(٧٣) • وكان الغيلم قد اصطحب القرد لزيارته فى البحر • وهم ليفترسه حتى يستخرج قلبه ليداوى به زوجته التى تمارضت وزعمت لزوجها أن علاجها الوحيد هو أن تأكل قلب قرد ، ولما رأى القرد الخطر الذى يتهدده ، والذى تكمن وراءه امرأة ، دبر حيلة للتخلص ، فأخبر الغيلم أنه مستعد أن يعطيه قلبه طائعا ، ولكن عليه أن يعود الى بيته أولا لانه ترك قلبه هناك وعاد الغيلم بالقرد الى الشجرة التى كان يسكنها القرد ، وعندئذ ارتقى القرد الشجرة ولم يعد للغيلم ثانية ، وبذلك نجا من الكمين الذى كان الغيلم قد أعده له •

فاذن فقد عمل كل من الحمار والقرد حيلة للتخلص من المصير المؤلم الذى كان يتربص بهما وزاد حمار بن عربشاه على القرد فى أنه ثار لنفسه من عدوه ، ورد له الصاع صاعين • بخلاف القرد الذى قنع بالنجاة والسلامة على أن أعمال الحيلة للخروج من المآزق سمة بارزة لحيوان ابن المقفع وقد اقتبسها ابن عربشاه وراح يشكل منها صورا متنوعة • منها ما اقتبسه من ابن المقفع مباشرة كقصة « الذئب وابن آوى والحمار » المشار اليها آنفا ، ومنها ما ابتكره خياله كقصة « الجدى الذى أخذ يغنى بصوت مرتفع حتى سمعه الراعى فخلصه من الذئب » والتى أشرنا اليها آنفا أثناء استعراضنا الباب الأول •

ومن أوجه الالتقاء بين كتاب كليلة ودمنة وكتاب فاكهة الخلفاء أن كلا منهما لا يطابق بين الرموز الحيوانية وما ترمز اليه تلك الرموز كما نرى قصة « الذئب وابن آوى والحمار » عند ابن عربشاه التى أشرنا اليها من قبل وفيها يخدع الحمار ابن آوى والأول معروف بالغفلة والغباء ، والثانى بالمكر والدهاء وكما نشاهد أيضا فى قصة الجدى الذى خدع الذئب والتى أشرنا اليها من قبل والأول معروف بالغفلة والغباء ، والثانى معروف بالخبث والغدر والدهاء ، واذن لم يطابق ابن عربشاه بين الرمز والمرموز اليه تماما ، كما لم يطابق ابن المقفع من قبله فى كليلة ودمنة عندما أبرز لنا ابن آوى فى صورة تبعد كل البعد عن الواقع المعروف لهذا الحيوان ، فأبرزه لنا فى صورة تتسم بالزهد والشفقة والرحمة

---

(٧٣) أنظر باب القرد والغيلم •

حتى أنه يمتنع عن افتراس الحيوانات رأفـــة بها واشفاقا عليها(٧٤) • وما أبعـــد ابن آوى عن هـــذه الصفات فى الواقع •

ويلتقى كتاب فاكهة الخلفاء بكليلة ودمنة فى أن كل باب من أبواب الكتاب يمثل حكاية أصلية يتفرع منها حكايات فرعية متشابكة يأخـــذ بعضها برقاب بعض ويختم المؤلف كل قصة فرعية بقوله :

« انما أوردت هـــذه الحكاية أو المثل وهى بمثابة التذكير بالسبب الذى حكيت لأجله الحكاية الفرعية » بعد أن يختمها بحكمة تبين هذا السبب وتوضحه كما ختم كل باب بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه كما نص على الغاية الخلقية التى يرمى اليها فى آخر بعض الأبواب كما نجـــد فى الباب السادس حيث يقول فى آخره « وفائدة هـــذه الحكايات » والباب الثامن بقـــوله « وفائدة هـــذا المثل الجارى بين الدب والجمل معرفة فضيلة الأمانة ووخامة المكر والخيانة » وقـــد يذكر هـــذه الغاية ضمنا كما ختم الباب السابع بقوله « وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره » •

ولا أريد أن أترك كتاب فاكهة الخلفاء وصاحبه ابن عربشاة قبل أن أدلى بملاحظة هامة وهى أن الكتاب يعتبر صورة صادقة للأسلوب الذى كان يسود فى عصره فى القرن التاسع الهجرى ومن أبرز صـــفاته الصـــنعة اللفظيـــة كالسجع والجناس والتهالك فى استخدام الكنى والألقاب المختلفة للحيوانات فيسمى الأسد أبا شبل ، والرئبال ، وأبا حارث ، والحيدرة ، ويسمى الفيل أبا دعفل وأبا مزاحم ، والحمار : أبا زياد والغراب ، أبا المرقال والثعلب : أبا الحصين والفار : أبا راشد والدب : أخا نهشل والنمر أبا مرسال والجمل ، أبا أيوب وهكذا ••

وهـــذا أيضا انعكاس لطابع هـــذا العصر الذى كثر فيه استخدام الكنى والألقاب لتطلق على الملوك والوزراء والكتاب والفقهاء وغيرهم من كل من يعمل فى الدولة والكتاب صادر عن قلم أديب ألم بآداب وعلوم وفلسفات عصره ، وتتجلى ملكة الكاتب الأدبية واللغوية والفلسفية فيمـــا أورده من أمثال وحـــكم متنوعة

---

(٧٤) أنظر باب الأسـد والشغير الناسـك •

استقاها من الدين ومن الفلسفة الإخلاقية ومن الآداب السلطانية ، وقد جاء منها الكثير الذى يشتمل على كل أنواع المعاملات الانسانية تقريبا كآداب العبد مع ربه وآداب الحاكمين والمحكومين والأصدقاء والأولاد والزوجة وتدبير الأموال وقيادة الجنود وحقوق العلماء ورعاية الجار وحسن تدبير المال وهكذا .. وقد استخدم الكاتب مصطلحات العلوم والفنون بكثرة واقتبس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والاسفار القديمة والحديثة وأتى بالأمثال والكلمات العامية المصرية مثل « كل شىء تزرعه ينفعك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك » « عرف الكلب بيت العميا » « وما كل مرة تسلم الجرة » « من خرجت قرعته كسرت قرعته » « ذهبت السكرة وجاءت الفكرة » وغير ذلك من الأمثال التى كانت مستعملة فى زمانه وما زال بعضها مستعملا حتى يومنا هذا .

تاسعا ـ كتاب مرزبان نامه

لابن عرب شاه

وهو لابن عربشاه أيضا ويعتبر الأصل لكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء فقد حاكى ابن عربشاه فى كتابه فاكهة الخلفاء كتاب مرزبان نامه ويذكر ابن عربشاه فى مقدمة مرزبان يامة ان الكتاب مترجم عن الفارسية الى التركية وأنه قام بنقله الى العربية باشارة من السلطان جقمق(٧٥) دون أن يحدد الأصل الذى ترجم عنه الفارسى أم التركى فيقول :

« وقد وضع فى ذلك ـ قصص الوحوش والبهائم وسائر الطير والسباع ـ كتاب يسمى مرزبان نامة مترجم باللسان التركى عن الفارسى ، فأشار الى المخدوم الذى لا يمكننى مخالفته أن أترجمه باللسان العربى فامتثلت أمره وترجمته » .

وقد وضع ابن عربشاه كتاب مرزبان نامه على هذا الأسلوب الرمزى الذى ضرب فيه الأمثال وجاء بالقصص والحكايات على لسان الحيوان ، ليلين

---

(٧٥) وقيل عن حكمه انه كان خير حكم بالنسبة للمماليك (٨٤٢ : ٨٥٧) كان حاكما قويا وانموذجا حسنا فى اسلامه وقد أحب العلماء ورغب فى مصاحبتهم .

قلوب الحكام ، ويصلح أحـوالهم ويهـديهم سبيل الرشاد وكان له فى أخلاق السلطان جقمق وتسامحه وحبه للعلماء خير مشجع على الجهر بهـذه النصـائح الرمزية تعليما للملوك وتأديبا للرعية .

وقـد يؤخذ علينا قولنا « وقـد وضع ابن عربشاه كتاب مرزبان نامه » فكيف نقول وضع بينما أن ابن عربشاه قـد ترجمه ؟ أقول كما نقول وضـع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة وهـو فى الواقع قـد ترجمه عن البهلوية على الأرجح ، وذلك لأن مصطلح ترجمة لم يكن يعنى ما نعنيه الآن من هـذا المصطلح وانما كان يعنى التأليف والوضع أيضا الى جانب نقل الفكرة العامة من الأصل المترجم عنه ، والذى يقارن بين كتاب كليلة ودمنة والبنجاتنترا الأصل السنسكريتى الهنـدى له يلاحظ أن ابن المقفع لم يلتزم بالترجمـة من الأصـل كما هـو ، وانما أضاف اليه من عنده ما جعل منه عملا آخر اختلف تماما عن أصله ولبس ثوبا جـديدا كل الجـدة على يدى ابن المقفع حتى صار ينسب اليه ، فيقال وضع أو ألف ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة ويقال أيضا ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة من البهـلوية الى العربية . والأمر كذلك فى كتاب مرزبان نامه فلئن راعى ابن عربشاه الدقـة فى ترجمته للكتاب فقـد راعاها فيما نقـله عن الأصل ولكن لا يمنع هـذا من أنه أضاف من عنده ما رأى أن يضيفه وهـو كثير وحـذف ما رأى أن يحـذفه وهـو ليس بالقليل ونتيجة لهـذا كله اختلف الكتاب عن الأصل فى هـذا الذى أتى به من عنده وفى الذى حـذفه واتفـق معـه فى القـدر الذى نقله عنه وصار الكتاب ينسب اليه أكثر من نسبته الى واضع الأصل الذى ترجم عنه ابن عربشاه .

ويتألف كتاب مرزبان نامة من ثمانية أبواب هى :

١ ــ الباب الأول : فى تسميته وسبب وضعه .
٢ ــ الباب الثانى : فى ذكر العـالم والعفريت .
٣ ــ الباب الثالث : فى ذكر أحـوال الثعلبين .
٤ ــ الباب الرابع : فى ذكر الكلب المسمى بالذكى والعنز .
٥ ــ الباب الخامس : فى ذكر السبع والأفيـال .
٦ ــ الباب السادس : فى ذكر وقائع الجمل والأسد .

٧ ـ الباب السابع : فى ذكر وقائع الطير والحجلتين •
٨ ـ الباب الثامن : فى ذكر معاملة الأحباب •

وبالمقارنة بين عناوين أبواب مزربان نامة وعناوين أبواب كتاب فاكهة الخلفاء يتبين أن الثانى يزيد على الأول ببابين هما :

الباب الثانى : باب فى وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم •

الباب الثالث : فى حكم ملك الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك •

وفيما عدا هذين البابين يتفق الكتابان فى عناوين الأبواب باستثناء ما اقتضاه السجع فى كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء •

ويلتقى الكتابان فيما تشتمل عليه الأبواب فى كل من المعانى والحكايات والغايات الخلقية فهذه كلها متشابهة فى كل من الكتابين كما يتشابه الكتابان فى كثرة السجع المتكلف السخيف والجمل والكلمات والألفاظ العامية ومن أوجه الالتقاء بين الكتابين كذلك أنهما يشتركان فى المقاصد العامة والمغازى الخلقية التى يرمى اليها كل من الكتابين كاصلاح الحاكم بالمواعظ وضرب الأمثال وابراز ماله من حقوق وما عليه من واجبات بأسلوب رمزى تلميحى ومع شىء من التلطف والتملق عند الحديث عنه واليه •

ومن أوجه الالتقاء بين الكتابين كذلك اكثار كل منهما من الأمثال والآيات والأحاديث وشواهد الشعر والنثر القديم والحديث واستخدام طرق الفلاسفة والمناطقة والفقهاء والصوفية فى أثناء الحديث على لسان الانسان والحيوان ممن يأتى ذكرهم فى الكتابين فكثرت المصطلحات العلمية وأساليب العلماء لذلك •

وأما أوجه الاختلاف بين الكتابين فتتمثل فى أن الراوى (أبو المحاسن حسان) فى فاكهة الخلفاء ليس له نظير فى (مرزبان نامه) كما توجد بعض الحكايات فى فاكهة الخلفاء لا توجد فى (مرزبان نامه) ولكتاب (مرزبان نامه) أصل فارسى قديم يرجع تاريخ تأليفه الى أواخر القرن الرابع الهجرى ألفه

(أصفهيذ مرزبان بن رستم بن شروين بريم)(٧٦) باللهجة الطبرية القديمة وقد أهدى الكتاب الى الأمير شمس المعالى قابوس وشمكير بن زيار(٧٧) وقد جاء ذكر هـذا الكتاب فى كشف الظنون لحاجى خليفة •

وقـد ضاع هـذا الأصل الفارسى لكتاب مرزبان نامة وضل طريقه الينا • ويتشكك (محمد قنديل البقلى) فى نسبة هـذا الكتاب الى (أصفهيذ مرزبان ابن رستم بن شروين بريم) حيث يقول البقلى•ويذهب الوراوينى الى أن مؤلف مرزبان نامه هو (المرزبان بن شروين) وكان (شروين) هذا من أجداد (كيرس) أخى (أنو شروان) الملك العادل • وهـذا حـدث يعوزه الدليل ففى ظنى أن مؤلفا هـذا شأنه فى قـومه بعيدان يغيب اسمه عن مؤلف يعزى اليه وما من شك فى أن هـذا الكتاب لو كان له لاضفى عليه اسمه شهرة ولعاش الكتاب حيا باسم مؤلفه • ويبدو أن الذى حمل الوراويني على هـذه هـو عنوان الكتاب وأنه يبدأ باسم مرزبان • وما يدرينا فكم من مؤلفات كانت تتوج باسم ملوك وسادة لاحظ لهم فى وضع هـذه المؤلفات وانما كل الذى حظيت به هـذه المؤلفات انها وضعت فى عهودهم(٧٨) •

وهـذا الرأى الذى ساقه محمد قنديل البقلى ينقصه الدليل ويعجزه البرهان وعلى كل حال فقـد ضاع هـذا الكتاب وضل طريقه الينا وأصبح من العبث والحال كذلك البحث فى نسبة الكتاب الى أصفهيذ مرزبان بن رستم بن شروين بريم أو الى غيره دون العثور على الكتاب نفسه •

وقبل أن يضيع كتاب مرزبان نامة القديم ظهرت ترجمتان له الأولى بعنوان (روضة العقول) والثانية بعنوان (مرزبان نامه) باللغة الفارسية الدرية •

---

(٧٦) من أسرة ملوك باوند المشهورة فى تاريخ طبرستان — عبد الله المقفع — الخراسانى ص ٤١٩ •

(٧٧) وهـو جـد الأمير عنصر المعالى ليكاوس بن اسكنه مؤلف كتاب قاموس نامة فى النصيحة الذى وضعه لابنه كيلا نشأة ونقله الى العربية الأستاذ صادق نشأت والدكتور أمين عبد المجيد بدوى وطبع فى القاهرة سنة ١٩٥٨ م •

(٧٨) مرزبان الحكيم — محمد قنديل البقلي ط دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى سنة ١٩٨٥ ص ٨ •

(أ) كتاب روضة العقول :

قام محمد بن غازى الملطيوى فى عام ٥٥٩ هـ خمس مائة وتسعة وخمسين للهجرة بترجمة كتاب مرزبان نامة القديم الذى سبقت الاشارة اليه الى اللغة الفارسية الدرية بعد أن هذبه وأدخل تعديلات على أسلوبه وغير عنوانه من (مرزبان نامه الى روضة العقول) وسنعود الى هذا الكتاب مرة ثانية عند الحديث عن محاكاة كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى(٧٩) •

(ب) كتاب مرزبان نامه الجديد :

بعد نحو عشرين عاما من ظهور روضة العقول ظهرت ترجمة أخرى لكتاب مرزبان نامة القديم باللغة الفارسية الدرية قام بها (سعد الدين الوراوينى) بعنوان (مرزبان نامة) نفس العنوان الذى كان يحمله الأصل الأول الذى ظهر فى أواخر القرن الرابع الهجرى والذى أشرنا اليه منذ قليل •

وسنعود أيضا الى هذا الكتاب (عند الحديث عن محاكاة كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى)(٨٠) أما الأصل التركى الذى يشير اليه ابن عربشاه فى المقدمة فانه بدوره قد ترجم عن مرزبان نامة الجديد لسعد الدين الوراوينى لا عن كتاب روضة العقول وذلك لأن ابن عربشاه ينقل فى ترجمته نصوصا من مرزبان نامة لسعد الدين الوراوينى لا توجد فى روضة العقول •

وقد لاحظ الأستاذ القزوينى ما يوجد من تشابه دقيق بين ترجمة ابن عربشاه العربية وكتاب مرزبان نامه الجديد الفارسى لسعد الدين الوراوينى فيما يوجد من فقرات كاملة نقلها ابن عربشاه عن سعد الدين للوراوينى مما دعا القزوينى الى استخلاص نتيجة رآها منطقية وان كان لنا فيها نظر وهى أن الترجمة التركية التى يشير اليها ابن عربشاه لابد وأنها تطابق نسخة سعد الدين الوراوينى تمام المطابقة فقد راعى المترجم التركى الدقة التامة فى ترجمته فجاءت مطابقة للأصل الفارسى لسعد الدين الوراوينى ثم راعى ابن

---

(٧٩) انظر ص ٢٢٥ من الكتاب •

(٨٠) انظر ص ٢٢٥ •

عربشاه بدوره الدقـــة التامة فى نقـــله عن الأصل التركى فكانت النتيجة النهائية التشابه الدقيق بين ترجمة ابن عربشاه العربية والأصل الفارسى لســـعد الدين الوراوينى .

ويورد الدكتور الخراسانى(٨١) رأى الأستاذ القزوينى الســـابق ويعـــلق عليه بقوله : وان الباحث اذ يؤيد الأستاذ القزوينى يذهب الى أبعـــد من ذلك ويقول لولا تصريح ابن عربشاه فى مقـــدمته للكتاب بأنه ترجمـــه عن اللغـــة التركية لكان يخيل الى القارىء أن ابن عربشاه قـــد ترجم الكتاب عن الفارسية مباشرة ــ مما يدل على أن الذى ترجم الكتاب الى اللغة التركية كان مقيدا بالنص الفارسى ولم يضف اليه شيئا من بنات أفكاره اللهم الا بعض الاشعار وبعض الجمل التى لا توجد فى الأصل الفارسى ، لو لم يكن ابن عربشاه هو الذى أضاف ذلك الى الترجمة التركية وأننا اذ لم نقف على أثر من هذه الترجمة ، فلا يمكن الوصول الى نتيجة قطعية فى هذا الأمر ، ومن ثم لا يستبعد الباحث أن يكون ابن عربشاه قـــد اعتمد فى ترجمة الكتاب على الأصل الفارسى أيضا الى جانب اعتماده على الترجمة التركية له ، وكان ابن عربشاه يتقن اللغة الفارسية ، فنجد نصوصا فارسية أوردها فى كتابه « عجائب المقـــدور فى نوائب تيمور » ونجـــد أبياتا فارسية فيه نسبها الى شاه شجاع بن محمد بن المظفر حاكم شيراز وممدوح الشاعر الصوفى الايرانى شمس الدين حافظ الشيرازى(٨٢) ومنها ما نسبه الى نفسه فى هـــذا الكتاب من ترجمة عربية لبيت فارسى . قيل فى ذم « تيمور لنك » ممـــا يدل على أنه كان يجيد هـــذه اللغة وكان لـــه نصيب من ثقافتها فيقـــول ، وأنشدوا فيه ــ تيمور ــ بالفارسى :

باى نه وتخت بزير قـــدم ... دســـت لـــه وملك بريز تكسين

---

(٨١) عبد الله بن المقفع ــ للخراسانى ص ٤٢٧ .

(٨٢) عجائب المقـــدور فى نوائب تيمور لابن عربشاه ص ٢٢ طبعة القـــاهرة عام (١٣٠٥) .

وترجمته فقلت : لا رحل له ، والتخت موطن قـدميه ، لا كف له ، والملك
ـ خاتمه(٨٣) • وأنا أذهب بدوری الی أبعـد ممـا ذهب اليه الدكتور الخراسانی
وأری أن ابن عربشاه قـد ترجم مرزبان نامه مباشرة عن الأصـل الفارسی
ـسعد الدين الوراوينی •

وذلك لان الرجل كان يتقن الفارسية علی نحـو ما أشرنا ـ بل كان من زمرة مشاهير الكتاب الذين ألفوا بالفارسية فی القرن التاسع الهجری علی نحو ما يذكر الأستاذ سعيد النفيسی(٨٤) •

واذن فليس هناك ما يدعو الی أن يترك ابن عربشاه الأصل الفارسی بلغـة يتقنها ويأخـذ من الترجمة التركية التی أخـذت عن هـذا الأصل فهی فرع له • ولا يتناقض هـذا مع ما ذكره ابن عربشا ه فی المقـدمة من أن الكتاب مترجم من الفارسية الی التركية ، وان السلطان جقمق أشار عليه بنقله الی العربية ، وذلك لان الرجل لم ينص صراحة علی أنه ترجم من الأصل التركی أو الأصل الفارسی ولكنه أشار الی الأصلين معا التركی والفارسی فی قوله « ••• مترجم باللسان التركی عن الفارسی » وقال •• وترجمته • يقصد ترجمته الی العربية ولم يحدد من أی أصل أخـذ التركی أم الفارسی ؟

وأما ما أشار به السلطان جقمق فهو أن يقوم ابن عربشاه بترجمة الكتاب الی العربية ولم يحدد من أی أصل يريد أن يترجم له ابن عربشاه الكتاب التركی أو الفـارسی ؟

واذا كان ابن عربشاه قـد أشار الی الترجمة التركية فی قوله « •• قـد ترجم باللسان التركی عن الفارسی » فما هـذا الا للتعريف بالكتاب والاشـارة الی مدی أهميته حتی أنه قـد ترجم من أصله الفارسی الی التركی وها هـو

---

(٨٣) المصـدر السابق ص ٢٢٧ ط القاهرة نقلا عن عبد الله بن المقفع للخراسانی ص ١٢٦ ، ٢٢٧ •

(٨٤) انظر مقـدمة سعيد النفيسی لكتاب « نثر فارسی معاصر » لايرج افشار ص ١١ ط طهران •

يترجم على يدى ابن عربشاه الى العربية لتزيد بذلك أهميته ويكثر انتشاره لدى الشعوب المختلفة التى تعجب بهـذا الفن •

فان قيل (ولم لم ينص ابن عربشاه صراحة على أنه أخـذ عن الأصـل الفـارسى) ؟

أقول : أنه ليس هناك ما يدعو ان ينص ابن عربشاه على ذلك ما دام قـد ذكر أنه منقول عن الفارسية والثابت أنه كان يتقن الفارسية على نحـو ما أشرنا واذا كان لم ينص على أنه أخـذ عن الأصل الفارسى فانه لم ينص كذلك على أنه أخـذ عن الأصل التركى • ولم يحـدد له السلطان جقمق أيا من الأصلين ليترجم عنه فليس هناك اذن ما يبرر ترك ابن عربشاه الأصل الفارسى وأخـذه من التركى وقـد تفرع عنه فالفارسى هـو الأصل والأصل أفضل من الفرع على كل حال •

فنحن اذن نرى أن ابن عربشاه قـد ترجم كتاب مرزبان نامه عن الأصـل الفارسى لا التركى •

ويستبعد (محمد قنديل البقلى) أن يكون كتاب فاكهة الخلفاء ومرزبان نامه معا لابن عربشاه وعنده أنه من المستبعد أن يقـدم ابن عربشاه على الاثنين معا أى يترجم ثم يختطف الكتـاب لنفسه ويسميه باسم آخر مـع الاحتفاظ بالديباجة ولم يفعل بعـدها غير أن مس النص بشىء من الاختصار(٨٥) •

بل المرجح عنده أن كتاب مرزبان نامه قـد ترجمه شخص متقـدم عن ابن عربشاه ثم قام ابن عربشاه بتأليف كتاب فاكهـة الخلفـاء على شاكلته وقـد نسب كتاب مرزبان نامه فيما يرى محمد قنديل البقلى الى ابن عربشـاه زورا وبهتانا وكان الدافـع الى هـذا اتفاقه مع كتاب فاكهة الخلفاء كما سبق أن أشرنا •

وهذا الرأى الذى ذهب اليه محمد البقلى لا يخلو عندنا من تعسف واطلاق الأحكام دون التثبت من صحتها وقبل تقديم الدليل المقنع عليه افلماذا يعتبر محمد

---

(٨٥) مرزبان نامه الحكيم ــ محمد قنديل البقلى ص ٨ •

البقلى أنه من المستبعد أن يكون ابن عربشاه صاحب الكتابين فما الذى يمنع من أن يكون ابن عربشاه فعلا قد ترجم مرزبان نامه أولا ثم قام بتأليف كتاب فاكهة الخلفاء على نمطه تماما كما فعل أبو العلاء من قبله عندما ألف كتاب إلقائف ثم قام بتلخيصه فى كتاب منار القائف(٨٦) وكما فعل ابن الهبارية عندما ألف كتاب نتائج الفطنة(٨٧) فى نظم كليلة ودمنة ثم قام بعد ذلك بمحاكاته فى كتاب الصادح والباغم(٨٨) وكما فعل ابن المقفع قبل هذا وذاك عندما ألف كتاب كليلة ودمنة ثم قام بتلخيص أفكاره فى أسلوب محكم دقيق فى كتابه الشهير (رسالة الصحابة)(٨٩) .

وأن القارىء لكل من كتاب فاكهة الخلفاء وكتاب مرزبان نامه يدرك أن الكتابين صادران عن قلم واحد مما يرجح نسبة الكتابين معا الى مؤلف واحد وهو ابن عربشاه فيما نرجح .

عاشرا ــ كتاب الأسد والغواص فى الحكم والأمثال على ألسنة الحيوانات وحكايات الملوك والوزراء

وهو محاكاة لكليلة ودمنة ولا يعرف مؤلفه ويوجد للكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٦ أدب تحت عنوان كتاب الأسد والغواص فى الحكم والأمثال على ألسنة الحيوانات وحكايات الملوك والوزراء .

ويقع الكتاب فى ست وسبعين ورقة طولها ١٩٫٥ سم وعرضها ١٥ سم ويرجع تاريخ نسخه الى عام ١٠٠٣ بعد الهجرة باستنبول كما جاء فى نهايته « تم بعون الله تعالى ومنه كتاب الأسد والغواص وذلك باستنبول المحمية

---

(٨٦) انظر ص
(٨٧) انظر ص
(٨٨) انظر ص ١٤٣ .
(٨٩) انظر ص ١٥١ .

عشية نهار السبت المبارك فى السابع من شهر رجب المبارك بشهور سنة ثلاث بعيد الألف احسن الله تعالى ختامها » •

ثم توجد نسخة خطية أخرى لهذا الكتاب بمكتبة دار البلدية بالاسكندرية برقم « د ـ ٢٠١٦ » وهى فى احدى وستين ورقة ويرجع تاريخ نسخها الى عام تسعمائة وخمسين بعد الهجرة كما جاء فى نهايتها •« تم كتاب الأسد والغواص بحمد الله ومنه وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس عشرين من جمادى الأخرة سنة خمسين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » •

فهناك اذن نحو خمسين عاما بين نسخ كل من نسختى دار الكتب ودار البلدية •

ولم يذكر اسم المؤلف فى أى من النسختين وربما كانت القصة الرئيسية فى الكتاب وهى قصة الأسد والغواص شائعة فى ذلك الوقت تتردد على الألسن ويرويها القصاص الشعبى فقام شخص بنسخ القصة تخليدا لهـا وحفاظا عليها من الضياع • وأضاف اليها المقدمة وبعض القصص التاريخية ليضفى على الكتاب أهمية خاصة لاشتماله على هذه القصص التى تمثل جزءا كبيرا وهاما من الكتاب وهى قصص تحتاج الى دراسة جادة للوقوف على مدى صحتها لأنها اذا كانت صحيحة فان الكتاب يصبح ذا أهمية خاصة كمصدر لمادة تاريخية هائلة تتضمنها هذه القصص •

فالقصة فيما نرى قد ألفها شخص معين نسج فيها على منوال ابن المقفع على ما سنوضح فيما بعد ثم انها ذاعت ذيوعا عظيما وتناقلها الناس مشافهة ورددها القصاص الشعبى ثم انه نسى مؤلفها وبعد فترة من الزمن سقطت القصة من الذاكرة ولم تعد تتردد على الألسن ولم يحفظها لنا عدا هذا المخطوط ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة عشر بابا وفى المقدمة يبين الكاتب السبب فى وضع الحكمة والأمثال على ألسنة الحيوانات فى صورة هزلية تبعث على المتعة والآثارة وهذا ما يشير اليه ابن المقفع فى مقدمة كليلة ودمنة لعلى بن الشاه الفارسى ويعلن المؤلف بصراحة تامة عن تأثره بابن المقفع

واستحسانه لبعض عباراته حتى أنه يعمد الى نقلها نقلا حرفيا فى كتابه يقول المؤلف فى المقدمة « اننى لأستحسن كلاما لابن المقفع فى وصف صديق له حيث قال : كان لا يلوم أحدا يما يكون له العذر فى مثله »(٩٠) وأما أبواب الكتاب فتنقسم الى جزئين يشتمل كل جزء على عدد من الأبواب . ويشتمل الجزء الأول على الأبواب التالية :

١ – باب صفة الملك الحازم .

٢ – باب ما يجب على الرعية من نصيحة الملك ، وأن ذلك ينفع الناصح .

٣ – باب فيما يحتاج اليه ذو الفضل من المداراة لأصحاب الملك .

٤ – باب مضرة التبرع بالنصائح ، وكيف يتلطف المرء فى ايرادها مع السلامه فى التبعة فيها .

٥ – باب انتفاع الملك بذى الرأى ، وفيه بيان عن أمر العالم الذى يعلم ولا يعمل .

٦ – باب التلطف فى عرض النصائح على الملوك من وجه يامن المرء فيه من سوء التأول عليه .

٧ – باب انتفاع الملك بالحيل والمكايد .

٨ – باب ذكر ما على المرء فى عرض ما عنده من الراى على الملوك .

٩ – باب ما يجب على المرء فى كل عمل يعمله .

١٠ – باب الانتفاع بعلم النجوم مع التوكل .

١١ – باب لم أن الغواص من يتطلب وجها ؟ حيلة .

١٢ – باب استعمال الملك واحدا من أصحابه فى المكان اللائق به .

١٣ – باب منفعة العلم والأخبار للملوك .

ويشتمل الجزء الثانى على بابين فقط وهما :

١ – باب حيل أصحاب الملوك بعضهم على بعض .

٢ – باب حاجة أصحاب الملك الى بعض المقاربة واللطف فى ايراد النصيحة .

---

(٩٠) هذه الفقرة وردت فى كتاب الأدب الكبير ص ١٣ – تحقيق أحمد زكى .

ويفصل المؤلف بين جزئى الكتاب فصلا واضحا ويختم الجزء الاول بقوله « تم الجزء الأول من كتاب الأسـد والغواص والله تعالى أهل الحكم والمنه وبه المستعان وهـو أهل الاحسان والغفران » •

على أن قصص الجزئين متداخلة ومتتالية يأخـذ بعضها برقاب بعض ، ولا أرى مبررا لتقسيم الكتاب على هـذا النحو •

والكتاب اقتباس مباشر من باب الأسـد والثور فى كليلة ودمنة مع شىء من التعـديل ، فهو أسـد يعيش فى أجمة ، ويعيش معه وحوش كثيرة ، من بينها ثعلبان يسمى أحـدهما الغواص والآخر لم يذكر الكاتب له اسما ، وعلى مقربة من هـذه الأجمة يعيش جاموس ضخم الجثة عالى الصوت ، ازعج الوحوش وسلبها الراحة ، وسبب قلقلها ، فيستأذن الغواص الأسـد ليدبر خطة محكمة كى يقضى على الجاموس ويريح الوحوش من ازعاجه ، وأما الثعلب الآخر فينصح أخاه الغواص ويحـذره من التقرب الى الأسـد ويقوم الغواص بدور دمنة فى باب الأسـد والثـور فى كليلة ودمنة ،فكلاهما يحاول التقرب الى السلطان لنيل مآربه ولو على حساب الآخرين •

أما الثعلب الثانى فيمثل دور كليلة فكلاهما يبتعد عن الأسد ويحذر أخاه من التقرب اليه وأما الجاموس فيلعب دور شتربه فكلاهما ينبه الأنظار اليـه بخـواره وصوته المرتفع ويكون ضحية هـذا الخوار فى النهاية • وهكذا فإن المؤلف قـد اتخـذ من باب الأسـد والثور فى كليلة ودمنة اطارا فنيا عـاما لموضوع كتابه ثم حـذف القصص الفرعية التى اشتمل عليها هـذا الباب وجاء بدلا منها بقصص أخرى تصبغ بالصبغة الدينية والتاريخية فى معظمها •

ولكن المؤلف ومع اقتباسه الاطار الفنى لقصة الأسـد والثور فانه قـد تصرف فى القصة فى الحوار والتصوير •

فالغواص هنا هـو الذى يقوم بقتل الجاموس فى حين قام الأسـد بقتل شتربة بنفسه فى كليلة ودمنة على أن هـذا التصرف فى تصـوير حادثة قتـل الجاموس أضعف من البنية الفنية للقصة ، وجعلها مهلهلة النسيج ، وغير متماسكة

الأركان . فان الحيلة التى دبرها الغواص لقتل الجاموس يبدو عليها التكلف والتصنع وتتسم بالتفكك وهــذا كله أدى الى تشويه الاطار الفنى للقصه رغم اقتباسها من كليله ودمنة •

ويصور لنا كتاب الأســد والغواص حادثه قتل الجاموس على النحو التالى « أن الغواص مرة مضى يتطلب وجها لحيلته فصادف قوما خرجوا لبعض شانهم يسيرون على الطريق ومعهم سلاح وثيق ، فاقبل الغواص يتعارض ليطمعهم فى نفسه ، فتبعوه وهــو يسير بين أيديهم متوجها نحو الجاموس بحيث لا ينالونه ولا يؤيسهم من أمره حتى قرب من الجاموس ، فأسرع اليه قليلا والناس من خلفه ، وقال له : قــد جاءك الناس ومعهم السلاح ، وهم ذا تراهم ، وهم قوم قــد اجهدهم السفر ، وأضر بهم الجوع ، سمعتهم يذكرون أنهم أخبروا بخبرك ، وهم متباشرون بأمرك ، وليسوا يناظرونك حتى يذبحوك ، فاحتل لنفسك ، ورأى الجاموس الناس يتعادون نحوه ، فلم يشك فى تصديقه ، فحمل عليهم فقاتلوه حتى اثخنوه جراحا وانفلت منهم ، ودخل أجمة فيها ماء ، ووحل ، وامتنع بها عليهم ، وخفى مكانه عنهم ، وسقط فليس به من حراك ، ولا نهضة ، فلمـــا بردت جراحه ، وأخــذه البرد والطين ، لم يستطع نهضة ، والقى بيديه ورجليه ، فمضى الغواص الى الأســد فقال له : أيها الملك ، قــد أدركت بغيتك ، وقتلت عــدوك ، فان شئت أن تجىء فتأخــذه وان شئت فانفــذ معى من يأتيك به ، فانفــذ الأســد معه بعض جنده فوجــدوا الجاموس على آخر نفس ، فبقروا بطنه ، وقطعوا أوداجه • وهكذا تلتقى القصتان حتى فى الشخصيات : الأســد المخــدوع ــ والثعلب المــاكر الخبيث الذى كل ما يعنيــــه أن يحقق مآربه ثم الثور أو الجاموس ضحية صوته وخواره ثم كليلة الحكيم الحــذر •

ولكن هــذه الشخصيات فى قصة الأســد والغواص قــد ركبت تركيبــا يتناقض مع نفسياتها على عكس تركيبها فى كليلة ودمنة حيث كانت الشخصية مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والغرائز التى ابدع ابن المقفع فى خلقها ، فضعف الأســد فى أعماقــه يتلاءم مــع طبيعة شترية فقربه هــذا بالضرورة لا يستقيم مع طموح دمنة الاشر ، فكان منه ما كان كما رأينا فى بابى الأسد والثور والفحص عن أمر دمنة ، كل ما فى الأمر أن مؤلف الأســد والغواص جهد نفسه ليساير مسير الشخصيات فى كليلة ودمنة ليستمد منها صــورته فجاءت هــذه

الصورة جامدة تنقصها الحركة والحيوية التى نبضت بهـا شخصيات شتربة والأسـد وغيرها فى كليلة ودمنة ، واذن فقـد رسم مؤلف الأسـد والغواص فى محاكاته كليلة ودمنة صورة ولم يوفق أن يخلق فيها مشاعرها وأرواحهـا وعقولها فخلت الا من كونها حيوانات بكماء .

والصورة وان كانت اقتباسا من صورة قتـل شتربة فى كليلة ودمنة حيث يتم القتل بتدبير الثعلب وبعـد اقتناع الأسـد فان صورة قتل شتربة تتفوق عليها غاية التفوق من حيث الحبكة الفنية وتماسك أركان الحادثة ومن حيث الأسلوب البارع المتماسك لابن المقفع والذى يقول فيه « فلما فرغ دمنة من حمل الأسـد على الثور فقال :

أيها الملك الا آتى شربة فأنظر الى حاله وأمره ، واسمع كلامه : لعلى اطلع عنى سره ، فاطلع الملك على ذلك ، وعلى ما يظهر منه فاذن له الأسـد فى ذلك فانطلق فدخـل على شتربة كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال : ما كان سبب انقطاعك عنى ؟ فانى لم أرك منذ أيام ، ولعلك فى سلامة : قال دمنة : ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه ، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ، ولا ينفك على خطر وخوف ، حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربة : وما الذى حدث : قال دمنة : حدث ما قدر وهو كائن ، ومن ذا الذى غالب القـدر ؟ ومن ذا الذى بلغ من الدنيا جسيما من الأمور فلم يبطر ؟ ومن ذا الذى بلغ مناه فلم يغتر ؟ ومن ذا الذى تبـع هـواه فلم يخسر ؟ ومن ذا الذى طلب من اللئام فلم يحرم ؟ ومن ذا الذى خالط الأشرار فسلم ؟ ومن ذا الذى صحب السلطان فـدام له منه الأمن والاحسان ؟ قال شتربه : انى اسمع منك كلاما يدل على أنه قـد رابك من الأسـد ريبة وهالك منه أمر قال دمنة : أجل قـد رابنى منه ذلك ، وليس هـو فى أمر نفسى قال شتربة : ففى نفس من رابك ، قال دمنة : حـدثنى الخبير الصدوق الذى لا مرية فى قوله أن الأسـد قال لبعض أصحابه وجلسائه : قـد اعجبنى سمن الثور وليس لى الى حيـاته حاجة وأنا آكله ومطعم أصحابى من لحمه فلما بلغنى هـذا القول وعرفت غدره ونقض عهده ، أقبلت اليك لأقضى حقك وتحتال أنت الى أمرك . فلما سمع شتربة كلام دمنة .. ظـن أن دمنة قـد صـدقه ونصـح لـه .. وقال : ما كان للأسـد أن يغـدر بى ولم آت اليه ذنبا ولا أحـد من جنده منذ صحبته ولا أظن الأسـد الا وقـد حمل على بالكذب وشبه عليه أمرى قال دمنة : دع عنك

هذا الكلام ، واحتل لنفسك قال شتربة : بأى شىء أحتال لنفسى اذا آراد الأسد أكلى فقال دمنة : اذهب الى الأســد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك ، قال شتربه : وكيف أعرف ذلك ؟ قال دمنة : سترى الأسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا صــدره اليك وبصره نحوك قــد صر أذنيه وفغرفاه واستوى للوثبة . فقال شتربه : ان رأيت هــذه العلامات من الأسد عرفت صدقك فى قولك . ثم ان دمنة لمــا فرغ من حمل الأســد على الثور والثور على الأســد توجه الى كليلة فلما التقيا قال كليلة : الام ينتهى عملك الذى كنت فيه ؟ قال دمنة : قريب من الفراغ على ما احب وتحب ثم انطلقا جميعا ليحضروا قتال الأســد والثور فجاء شتربه فدخل على الأســد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة .. ثم أن الأسد نظر الى الثور فرأى الدلالات التى ذكرها له دمنة فلم يشك أنه جاء لقتــاله فواثبه ونشبت بينهما الحرب واشتد قتال الأســد والثور وطال وســالت بينهما الدماء »[٩١] .

وبالمقارنة بين المشهدين فى كل من الأســد والغواص وكليلة ودمنة يتبين أن مؤلف الأســد والغواص حاول أن يتصرف فى حادثة قتل شتربة وأراد أن يقــدمها فى صورة جــديدة متطوزة الا أنه لم يوفق فيما سعى اليه لانه لم يتقن تصوير الخطة التى دبرها الغواص لقتل الجاموس فبدت متكلفة مفككة ومهلهلة النسيج ولم تبلغ اطلاقا روعة التصوير الذى أجاده ابن المقفع فى وصف مشهد قتــل شتربة بتلك الخطة المحكمة التى دبر لهــا دمنة الخبيث ونفـذها الأســد الأحمـــق .

وفيما عــدا حادثة قتل الجاموس يظهر تأثر المؤلف بكليلة ودمنة أوضــح ويقل تصرف المؤلف فى الأحــداث على نحو ما تصرف فى حادثة قتل الجاموس ومن الأمثلة على ذلك قوله فى الباب الأول :

« ذكروا أن أســدا كان ملكا للوحــوش فى بعض المواضع وكان حسن الطريقة فى مملكته محمودا من رعيته وقــد ساسهم بأمرين جمع الحزم معهما

---

(٩١) باب الأســد والثــور .

فى غير عنف ولين قـد جعل عطاه للعنا لا للهوى ، وعقابه للأدب لا الغضب ، يجلس بينهم متواضعا فيهم كأنه واحـد منهم وهم مع ذلك لا يكادون يرفعون أبصارهم اليه هيبة له ، وقـد حمله على التواضع حيث الرفعة يعمل للرياسـة كأنه عاشق لها ، ويحبهم محبة الوالد لولده ، ويعاقبهم كأنه لا رحمة عنده كما يضرب الوالد ولده اذا رأى مصلحته اشفاقا لهم ومن شـدة اشفاقه عليهم يسير فيهم ببعض ما يكرهون حرصا منه على ما يحبون فجمع بذلك من رعيته الهيبة الشديدة الى المحبة الوكيدة وان جاموسا يضرب فى غيضة فى جواره ، فأكل منها وسمن وأشر وبطر وعظمت خلقته واشتدت قوته ، حتى شرد الوحـوش عن مواطنهم ، وطردهم من مواضعهم وأن الأسـد لما علم بمكانه هاله واستفظع أمره ، وكره أن يبدو لأحـد ما فى نفسه وكان فى جملة عسكره ابن آوى ، وكان يقال له « الغواص » كان له رأى وأدب •• وكان له صديق يأمنه ويأنس له ، ويخرج اليه بما فى نفسه فقال لصديقه ذات يوم : يا أخى الا ترى الأسـد مقارن فكر يخفيه ، ومضمر شيئا لا يجـديه ، قال له صديقه : أن من تكلف ما لا يعنيه أضر ذلك بما يعنيه » وهـذا اقتباس من قول ابن المقفع فى باب الأسـد والثور « أما الثور شتربة فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل فى مرج خصيب كثير المـاء والكلا ، فلما سمن وآمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار ، وكان قريبا منه أجمة فيها أسـد عظيم وهـو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى وثعالب وفهود ونمور ، وكان هـذا الأسـد منفردا برأيه دون أخـذ برأى أحـد من أصحابه، فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى الثـور قط ولا سمع خواره لانه كان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يأتى برزقه كل يوم على يد جنده ، وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحـدهما كليلة والآخر دمنة ، وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب ، فقال دمنة لأخيه كليلة : يا أخى ، ما شأن الأسـد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط ، قال له كليلة : ما شأنك أنت والمسألة عن هذا ؟ نحن على باب ملكـنا آخـذين بما يجب وتاركين ما يكره ، ولسنا من أهل المرتبة التى يتناول أهلها كلام الملوك والنظر فى أمورهم ، فأمسك عن هـذا ، واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار •••• قال دمنة : قد فهمت كلامك وما ذكرت ، وأنت صادق ، ولكن أعلم أن الذى هـو قريب من السلطان ولا ذلك موضعه ، و تلك منزلته ، ليس كمن دنا منه بعـد البعـد ، وله حـق وحرمة ، وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدى •• ثم ان دمنة استأنس بالأسـد وخلا به ، فقال له يوما : أرى الملك قـد أقام فى

مكان واحـــد لا يبرح منه فما سبب ذلك ، فبينما هما فى الحـــديث اذ خار شتربه خوارا شديدا ، هيج الأســـد وكره أن يخبر دمنة بما ناله ، وعلم دمنة أن ذلك الصوت قـــد أدخل على الأسد ريبة وهيبة »(٩٢) •

والتشابه واضح بين النصين سواء فى التصوير أو التعبير ولا نلمح تصرف المؤلف على نحو ما رأينا من قبل فى حادثة قتل الجاموس وانما نرى هنا اقتباسا مباشرا وهـــو اقتباس اللاحق من السابق ونسجه على منواله واقتفائه أثره •

ولا أريد أن أترك كتاب الأســـد والغواص قبل أن أشير الى هـــذه القصص الدينية والتاريخية التى أتى بهـــا المؤلف فى كتابه بدلا من القصص الفرعيـــة الاستطرادية فى باب الأســـد والثور فى كليلة ودمنة •

١ ـــ قصة غزو كسرى خسرو أبرويز لبلاد الروم :

واحتلال جيشه مدينة القسطنطينية بقيادة « شهر براز » وقـــد أثار هـــذا الانتصار حسد أحـــد أفراد حاشية خسرو أبرويز وخواص بطانته على القـــائد المظفر « شهر براز » فقام بالوشاية ضـــده عند الملك وادى ذلك الى خروج شهر براز على خسرو أبرويز وتحالفه مع ملك الروم ثم معالجة خسرو أبرويز الموقف بحزم وتدبير ، وهـــذه القصـــة مشهورة فى المصادر العربية والفارســـية القـــديمة •

٢ ـــ قصة سجان يوسف بن عمر :

الذى كان يرفع أسماء الموتى اليه ، ورفع ذات يوم اسم أبى عبد الله المسجون فى قائمة الموتى نظير عشرة آلاف درهم فقال له يوسف بن عمر : ويحك جئنى بجثته لأراها ، ورجع السجان خائفا ووضع المخـــدة على فم المسجون حتى لفظ أنفاسه ، وهـــذه القصة أوردها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » وذكر اسم المسجون « بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى » •

---

(٩٢) كليلة ودمنة ص ٩١ ـ ١٠٢ ط القاهرة عام ١٩٢٣م •

٣ ـ قصة الحجاج بن يوسف :

عندما حاول أن يزوج ابنته الى عبد الله بن جعفر ، وقبل عبد الله هذا الزواج مكرها وخوفا من الحجاج على نفسه ، ولكنه كتب الى خالد بن يزيد يشكو له ذلك ، ويلتمس منه مخرجا من هذا المأزق ، وقد أثار كتاب عبد الله غضب خالد ، وطرق ليلا على عبد الله بن مروان ، وطلب اليه أن يكتب الى الحجاج يأمره بالكف عن تزويج ابنته لعبد الله •

٤ ـ قصة عمرو بن العاص حينما اشخصه عمر بن الخطاب لفتح بلاد مصر :

عندما حاصر المسلمون منطقة غزة وضيقوا على أهلها الى ان طلب حاكم غزة ارسال رسول من قبل عمرو بن العاص للتفاوض معه فى عقد الصلح ، فذهب اليه عمرو بن العاص متنكرا ، وأعجب احاكم بكلامه ورجاحة عقله ، فرحب به ، واعطاه بعض النقود والهدايا ، بينما اصدر تعليماته الى حارس باب المدينة أن يلقى على الرسول صخرة حينما يقرب من البوابة لتهلكه ، وفطن عمرو بن العاص لهذه المؤامرة وانقذ نفسه بالحيلة •

٥ ـ قصة منافسة الربيع صاحب الخليفة المهدى لأبى عبيد الله الوزير :

مما دفع الربيع الى اتهام ابنه محمد لدى المهدى بالزندقة وتسبب فى قتله ثم اعفى أبو عبيد الله أيضا من منصب الوزارة ، وقد أورد المسعودى هذه القصة فى كتابه « مروج الذهب » ج ٢ ص ٢٣٢ وكذلك الجاحظ فى كتابه « المحاسن والاضداد ص ١٩٧ » ولكن مع الاختلاف فى الرواية •

وكان كتاب الأسد والغواص آخر كتاب ألف فى القديم فى محاكاة كليلة ودمنة ، وقد ظل الأمر متجمدا عند هذا الكتاب حتى عصر الشاعر المصرى محمد عثمان جلال (١٨٢٩ ـ ١٨٩٨ م) وكتابه العيون اليواقظ كما سيأتى • وبعد فقد كانت هذه أشهر المحاولات القديمة فى محاكاة كليلة ودمنة وهى محاولات لا تظفر بقدر كبير من النجاح والتوفيق الا أنها أفادت فى الاحتفاظ بالكتاب وعدم ضياعه واندثاره •

فقد لفتت اليه الأنظار من جهة ثم اذاعت صيته من جهة أخرى ومن يدرى ماذا كان مصير الكتاب لو لم توجد هذه المحاولات فلربما ضاع واندثر كما

ضاعت واندثرت كتب غيره وفى هـذا الميدان نفسه مثل منظومة ابان اللاحقى وكتب أبى العلاء المعرى وكتاب ثعلة وعفراء وغيرها •

ولكن هكذا أراد القـدر أن يبقى كتاب كليلة ودمنة ذكرى خالدة فى تراث الفكر والعبقرية ومتعة لا تنتهى ولا تفنى فى مجال الأدب والبلاغة يسلمه جيل الى جيل بكل أمانة وتلتفت اليه العقول فى كل زمان ومكان ، فتقتبس منه وتفيد من بلاغته وفلسفته وعبقرية صاحبه الأستاذ الأول لفـابولا الحيـوان ومرسى قواعـدها وأسسها الفنية •

محاكاة كليلة ودمنة

فى الأدب العربى الحـديث

قام الأدباء العرب فى العصر الحـديث بتأليف حكايات على ألسن الحيوانات حاكوا فيها خرافات كليلة ودمنة ولكن هؤلاء الأدباء قـدموا لنا خرافاتهم فى قالب جـديد كل الجـدة متأثرين فيه بلافونتين(٩٣) الشاعر الفرنسى الشهير (١٦٢١ ـ ١٦٩٥ م) الذى جعل للخرافة قواعـد فنية جـديدة تختلف كل الاختلاف عنها فى كليلة ودمنة ، ورغم أن لافونتين نفسه قـد تأثر بخرافات ابن المقفع واقتبس منه عشرين حكاية ضمنها الجزء الثانى من حكايته على ما صرح به فى مقـدمة هـذا الجزء فانه جعل للخرافة اطارها الفنى الحـديث الذى صارت تعرف به •

وقد افتتن الأدباء العرب بهذا الاطار الفنى اللافونتينى وبتلك القواعد الفنية التى وضعها لافونتين للخرافة فراحوا يحاكون هـذا وينسجون على منوال تلك فى تقـديم حكايات كليلة ودمنة فى ثوب جـديد براق •

ويتميز الاطار الفنى لحكاية الحيوان عند لافونتين بما يلى :

(أ) وحـدة الحكاية واستقلالها وهـذا يختلف تماما عن طريقة ابن المقفع فى تداخل الحكايات والاستطراد من حكاية الى أخرى •

---

(٩٣) لنا فى هـذا الموضوع بحث مستقل بعنوان لافـونتين فى الأدب العربى الحـديث ولذا سأكتفى هنا باشارات بسيطة وطفيفة فى هـذا الموضوع وللقـارىء الرجـوع الى هـذا البحث أن هـو أراد أن يقرأ الموضوع مفصلا وذلك فى مجلة آفاق عربية عـدد ديسمبر سنة ١٩٨٥ •

(ب) تجنب أسلوب ابن المقفع فى التمهيد للحكاية بالاستفهام والتساؤل كيف كان ذلك ؟ وكيف ذلك ؟

جـ) يراعى لافونتين أن تتشابه الشخصيات الرمزية فى الحكايات «الحيوانات» مع الشخصيات الحقيقية التى ترمز اليها هــذه الحيوانات كأن يجعل القط رمزا للغــدر والخــداع ، والأرنب رمزا للوداعة والاستسلام وهــذا شأن كل من الأرنب والقط فى الواقع وهــو يختلف فى هــذا عن ابن المقفع الذى يقــدم لنا ابن آوى كرمز للرحمة والشفقة وعدم الاعتداء على من هــودونه(٩٤) وما أبعــد ابن آوى فى واقعه عن هــذه الصفات .

(د) التذكرة الدائمة بالرمز والمرموز اليه معا فهو لا يسترسل فى وصــف الرموز بحيث ينسى القارىء صفات الشخصيات الحقيقية ولا يسترسل فى وصف الشخصيات الحقيقية بحيث ينسى القارىء صفات الرموز .

(هـ) تصوير الشخصيات حية قوية فى أدق صفاتها المثيرة للفكرة وتطوير هــذه الشخصيات دراميا فى ضــوء الأحــداث ويهيىء لافــونتين للحــدث بالوصف المحكم الاتصال به بحيث يمكن أن يقــال أنه راعى فى حكاياته قواعــد التصوير الفنى هى صــورة تقريبية لقواعــد المسرحية كما نبه اليها أرسطو(٩٥) .

(و) مراعاة الواقع فى رسم الصور الخلقية بحيث تطابق الواقع المــألوف فى حياتنا البشرية لا أن تكون مجرد تصوير للخلق المثالى الذى يعز وجوده(٩٦) فى الواقع ويختلف لافونتين فى هــذا عن ابن المقفع الذى يصــدر فى كل ما يقــدمه عن مثالية يعز وجودها فى واقعنا وهى مثالية مفرطة قــد لا تتحقق فى الواقع .

ومن الأدباء العرب الذين حاكوا كتاب كليلة ودمنة فى ثوب لافونتينى حديث :

---

(٩٤) باب الأســد والشغبر الناسك فى كليلة ودمنة .

(٩٥) الأدب المقارن د. محمد غنيمى هلال ص ١٨٧ .

(٩٦) أنظر

أولا — عثمان جلال[٩٦] : ١٨٢٩ — ١٨٩٨ :

قدم لنا عثمان جلال كتابه الطريف « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » الذى يتضمن مائتى خرافة قدمها الينا فى قالب شعرى جذاب ومن بين خرافاته حكاية « السلحفاة والطيور » وتقول :

السلحفاة رأت الطيورا ... فى طيرها العالى تفوق الدورا
قالت ومن لى أن أطير فى الهوا ... لأنظر الكون ضحى وما حوى
أسألك اللهم أن تبلغنى ... ما أتمنى انك البر الغنى
فسمع الله لها الدعاء ... أوزتان نزلا وجاءا
قالا لها هلا تردين السما ... قالت نعم أبصر من بعد العمى
قالا علينا أنا نطير معك ... بحيلة لابد أن نطلعك
وبيننا تمشين فى الهواء ... وتنظرين الأرض بالارجاء
والعجل والدرفيل والجاموسه ... ترينهم من فوق كالنموسة
وتنظرين الفيل مثل النملة ... والجمل المخزوم مثل القملة
والبحر تنظرينه كالنقره ... وتنظرين جبلا كالبقره
أما ابن آدم فليس ينظر ... لانه من كل هذا أصغر
قالت ومن يمنحنى ذى المنحه ... لا ذيل لى ولم تكن لى أجنحة
فاحضرا عودا وقبضاه ... كل يطرف ثم عرضاه
وقال كل منهما أمسكى الوسط ... بالفم واحذرى الكلام واللغط
فامسكت وارتفع الكل بها ... وكان شيطان لها منتبها
فأخبر الناس فقالوا عجبا ... وازداد كل من رآها طربا
وسألوها اليوم كيف طارت ... وبين سكان الهواء سارت
قالت لهم قد طرت رغما عنكم ... ولا أخاف العين الا منكم
ولم تكمل قولها ان وقعت ... وانكسرت أحجارها وانفقعت
وذاك حب الفخر بعض الشر ... وسرعة الجواب عين الضر[٩٧]

---

(٩٦) درس محمد عثمان جلال فى صغره اللغات فى مدرسة الألسن بحى الأزبكية بالقاهرة وترقى الى أن صار وزيرا لتوفيق باشا وله عدة تآليف نقل بعضها من الفرنسية كرواية « بول » و « فرجينى » وكأمثال « لافونتين » وقد نظم بعضها بالشعر .. الآداب العربية فى القرن التاسع عشر . للأب لويس شيخو ص ٩١ .

(٩٧) العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال الحكاية الثامنة والعشرين .

وهـذه القصة تلتقى مع قصة لابن المقفع يقول فيها :

« زعموا أن غـديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان ، وكانت فى الغـدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة ، فاتفق أن غيض ذلك المـاء ، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا : السلام عليك فاننا ذاهبتان عن هـذا المكن لأجل نقصان المـاء عنه ، فقالت : انما يبين نقصان المـاء على مثلى ، فانى كالسفينة لا اقعـد على العيش الا بالمـاء فأما انتمـا فتقـدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بى معكما ، قالتا لها : نعم قالت : كيف السبيل الى حملى ؟ قالتا : نأخـذ بطرفى عـود وتتعلقين بوسطه ، ونطير بك فى الجو ، فقال الناس : عجب ، سلحفاة بين بطتين قـد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت : فقأ الله أعينكم أيها الناس ، فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت »(٩٨) .

وتلتقى القصتان فى المضمون العام والمبادىء الأخلاقية فى كل . ولكن عثمان جلال يقـدم الينا قصته فى اطار فنى جـديد اطار لافونتينى صرف لا استطراد فيه ولا بدء للقصة بعبارة زعموا أن أو الاستفهام والتساؤل كيف ذلك أو كيف كان ذلك على نحو ما نجـد فى حكايات كليلة ودمنة ويقتبس عثمان جلال الأسماء التى الطلقها ابن المقفع على حيوانه مثل كليلة وشتربة . يقـول عثمان جـلال فى قصة الرجل والحية :

قال لهـا :

الانســان أنت كـاذبه	**قالت له اسأل ابن عمى شتربه**
فجاء وهـو الثـور فى كليـله	**وحـوله من المواشى عيـلة**

ثانيا ــ أحمد شوقى (١٨٦٨ ــ ١٩٣٢) :

قـدم لنـا شوقى اثنتين وخمسين خرافة فى الجزء الرابع من الشوقيـات محاكيا كليلة ودمنة فى المضمون ولافونتين فى الخصائص الفنية ومن خرافاته الطريفة « الكلب والقط والفأر » وفيها يقول :

فأر رأى القط على الجـدار	**معـذبا فى أضـيق الحصـار**

(٩٨) كليلة ودمنة ص ١٤٠ ، ١٤١ تحقيق نائل المرصفى .

والكلب فى حالته المعهوده ... مستجمعا للوثبة الموعوده
فحاول الفأر اغتنام الفرصه ... وقال أكفى القط هذى الغصه
لعله يكتب بالأمان ... لى ولأصحابى من الجيران
فسار للذئب على يديه ... ومكن التراب من عينيه
فاشتغل الراعى على الجدار ... ونزل القط على بدار
مبتهجا يفكر فى وليمه ... وفى فريسة لها كريمه
يجعلها لخطبه علامه ... يذكرها فيذكر السلامه
فجاء ذاك الفأر فى الاثناء ... وقال : عاش القط فى هناء
رأيت فى الشدة من اخلاص ... ما كان منها سبب الخلاص
وقد أتيت أطلب الأمانا ... فامنن به لمعشرى احسانا
فقال : حقا هذه كرامه ... غنيمة وقبلها سلامه
يكفيك فخرا يا كريم الشيمه ... انك فأر الخطب والوليمه
وانقض فى الحال على الضعيف ... يأكله بالملح والرغيف
فقلت : فى المقام قولا شاعا ... من حفظ الأعداء يوما ضاعا

والقصة اقتباس من باب الجرذ والسنور فى كليلة ودمنة الا أن جرذ ابن المقفع كان أكثر حيطة وحذرا من فأر شوقى فلم يمكن السنور منه كما فعل فأر شوقى بل كان على حذر وحيطة ولذا نجا وسلم .

على أن الصورة التى رسمها شوقى للفأر والقط كانت أقرب الى الواقع واذن فقد قدم الشاعر الصورة المألوفة لهذين الحيوانين وهى افتراس القط للفأر ولم يعمد الى تقديم المبادىء التى يعز وجودها فى الواقع كما فعل ابن المقفع وأيضا فقد طابق الشاعر بين الرمز الحيوانى والمرموز اليه بخلاف ابن المقفع الذى جعل من القط رمزا للوداعة والصفاء والنقاء والرحمة والشفقة فى علاقاته بالجرذ وما أبعد السنور عن هذه الصفات فى موقفه مع الجرذ بصفة خاصة .

ثالثا ـ الشاعر جبران النحاس :

قدم لنا جبران النحاس كتابه « تطريب العندليب » الذى يتضمن ستا وتسعين حكاية من بينها سبع وخمسون فابولا حيوانية متأثرا بابن المقفع والشاعر الفرنسى لافونتين فى مضمونها واطارها الفنى كما رأينا عند كل من عثمان جلال وأحمد شوقى ومن فابولات جبران النحاس الحيوانية استشهد بقصة « شورى

الجرذان » ويقول فيها :

يحكون عن هر خبيث خاننا ديدنه أن يخنق الجرذانا
فالتأمت منهن يوما زمره تحتال حيلة تقيها شره
وبعد ما نظم سلك المؤتمر وسدد الآراء أنعام النظر
قلن السبيل لاتقاء رهقه أن نشد جلجلا فى عنقه
حتى اذا دنا من المنازل أيقظ بالطنين كل غافل
فطارت الهيصة فى الخيار ولاذت الجرذان بالفرار
فأحضروا الجلجل والخيط معا وفاق ما الرأى عليه اجمعا
وصاح فى حشد كبير المحفل الا فتى يعقد خيط الجلجل
قلن له لقد بقى أشده فانما المعضل فيه عقده(٩٩)

والقصه اقتباس من قصة مهرايز ملك الجرذان فى كليلة ودمنة وتتحد معها فى الفكرة العامة وكذا فى المحاورات التى تدور بين ملك الجرذان ووزرائه حول الوسيلة التى يتبعونها لاتقاء شر السنور • يقول ابن المقفع فى هذا الباب « بدأ الملك يشاور الثلاثة وزراء فقال لأصغرهم عنده : ما تقول أنت فى هذا الأمر الذى نحن فيه وما الذى يجب أن نصنع ؟ قال الوزير : عندى ان تجعل اجراس كثيرة ويعلق كل جرس منها فى عنق واحد من السنانير ليكون كلما ذهب وجاء سمعنا صوت الجرس فحذرنا منها ولم ينلنا مضرة • فقال الملك للوزير الثانى : ما الذى عندك فيما أشار به صاحبك ؟ قال : أنا غير حامد لمشورته • وهبنا احضرنا أجراسا كثيرة ، من ذا يقدر أن يتقدم الى السنور حتى يعلق عليه ذلك وهبنا علقنا الأجراس فى رقابها ، فما الذى يمنع السنور من الاضرار بنا ؟ وما الذى يزيل الخوف عنا ؟ ولكن الذى عندى أن نخرج جميعا من المدينة ونقيم فى البرية سنة واحدة الى أن يعلم أهل المدينة أنهم قد استغنوا بغيبتنا عن السنانير ، لانه قد يلحق الناس مضرة عظيمة من السنانير فاذا علموا أنه لم يبق فى المدينة جرذ واحد قتلوا السنانير وطردوها وتهاربت • فاذا هلكوا عدنا نحن باجمعنا الى المدينة كما كنا » •

رابعا — ابراهيم العرب :

قدم لنا كتابه آداب العرب وضمنه تسعا وتسعين حكاية معظمها على لسان

(٩٩) « تهذيب المندليب » جبران النحاس ص ٦٧ ، ٦٨ .

الحيوان استشهد منها بحكاية الطاووس الذى أظهر اعجابه واختال بين الورد والآس :

فقام من حولهما طائر يرميهما بالمنطق القاسي
فقال : كل منكما معجب وغافل عن عيبه ناسي
لو نظر الناس الى عيبهم ما عاب انسان على الناس

خامسا ـ رزق الله حسون :

وقد وضع احدى وأربعين حكاية ضمنها كتابه « النفثات » حاكى فيها الأطار الفنى اللافونتيني واقتبس مضامينها من كتاب كليله ودمنه ومن خرافات رزق الله حسون استشهد بقصة قرد ونظارة يقول فيها :

قرد على الأزمان اعياه الكبر وساءه من وهنه ضعف البصر
بلغه فيما مضى من النفر دواء هذا الداء فيهم مشتهر
بآلة الزجاج تحديق النظر فابتاع نظارات بللور أغر
مجربا احسنها للمختبر فى رأسه يضعها كما أئتمر
ثم على ذنبيه اذا اسبكر وكان هذا دأبه وما ظفر
بما تمنى نفعه ولا شعر حتى اعتراه اليأس من فرط الخور
ألقى بها يقول موفور الكدر أكمق من صدق أقوال البشر
مديحهم كذب نفاق وهذر صدقتهم بذا فكنت المغترر
ضربها ضربا شديدا بالحجر بددها على الثرى شذر مذر
وقد فشا هذا الخطأ وانتشر فى الناس من أفعالهم على غرر
فكل شىء نافع له خطر عند الذى يجهله لمحتقر
والا قدر الله جهول أن قدر فى فرحة يكافىء الخير بشر(١٠٠)

والقصة اقتباس من قصة « القرد والنجار »(١٠١) فى كليلة ودمنة وفيها يقول ابن المقفع : « أن قردا رأى نجارا يشق خشبة وهو راكب عليها وكلما شق منها ذراعا ادخل فيه وتدا فوقف ينظر اليه وقد اعجبه ذلك ، ثم أن النجار

---

(١٠٠) النفثات لرزق الله حسون ص ٥٢ طبعة لندن عام ١٨٦٧ .
(١٠١) احدى القصص الفرعية بباب الأسد والثور .

ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شأنه ، فركب الخشبة وجعل وجهه قبل الوتد وظهره قبل الخشبة فتدلى ذنبه فى الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليه فكاد يغشى عليه من الآلم ، ثم أن النجار وافاه فأصابه على تلك الحالة فاقبل عليه وضربه فكان ما لقى من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبه •

ونقاط الالتقاء بين القصتين القرد يقلد الانسان فيصنع صنيع النجار فى قصة ابن المقفع ويبتاع نظارة فى قصة رزق الله حسون وهو ينال المصير المؤلم فى كل من القصتين بسبب هذا التقليد الأعمى •

سادسا — احمد فارس الشدياق :

وقد ألف كتابه « اللفيف فى كل معنى طريف » وضمنه تسعا وستين حكايه على لسان الحيوان نسج فيها على منوال لافونتين من حيث الخصائص الفنيه والبناء الدرامى • وابن المقفع من حيث المضمون عدا القليل منها فمن تاليفه ومن خرافات أحمد فارس الشدياق تلك القصه التى يقول فيها :

« أسد شاخ وضعف فلم يقدر على شىء من الوحوش ، فاراد ان يحتال لنفسه فى المعيشة فتمارض وألقى بنفسه فى بعض المغاير ، وكان كلما اتاه زائر من الوحوش يعوده افترسه داخل المغارة وأكله ، فاتى الثعلب ووقف على باب المغارة مسلما عليه قائلا له : كيف حالك يا سيد الوحوش فقال له الأسد : مالك لا تدخل يا أبا الحصين ؟ فقال له الثعلب : يا سيدى قد كنت عولت على هذا ، غير انى أرى عندك آثار أقدام كثيرة قد دخلوا ولا أرى أن خرج منهم أحد » •

والقصة اقتباس من « العلجوم والسرطان »(١٠٢) فى كليله ودمنة وفيها يقول ابن المقفع :

« كان علجوم معششا فى أجمة مخصبة كثيرة السمك ، فعاش هنالك ما عاش ، ثم هرم فلم يستطيع الصيد ، فأصابه جوع وجهد ، فالتمس الحيل وقعد مفكرا حزينا ، فرآه سرطان من بعيد • فلما رأى حاله عرف ما به ، فأتاه فقال له : مالى

---

(١٠٢) احدى القصص الفرعية فى باب الأسد والثور .

اراك كئيبا حزينا ؟ قال العلجوم : وكيف لا اكتئب واحزن ؟ وانما كان معاشى من السمك ههنا ، وهن كثير ، وانى رايت اليوم صيادين اتيا مكاننا هـذا فقال احدهما لصاحبه : ان ههنا سمكا كبيرا افلا نصيده ؟ فقال صاحبه : انى عرفت أمامنا مكانا فيه سمك أكثر منه ، فانا أحب ان نبدا به ثم نرجع الى ما ههنا ، فنفنيه ، وقد علمت انهما لو فرغا من هناك رجعا الينا فلم يدعا فى هـذه الاجمه سمكه الا صاداها ، فاذا كان ذلك فان فيه هلاكى وموتى • فانطلق السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك ، فأقبلن الى العلجوم وقلن : اتيناك لتشير علينا ، فان ذا العقل لايدع مشاورة عدوه ، اذا كان ذا رأى فى الأمر الذى يتبركه فيه ، وأنت ذو رأى ، ولك فى بقائنا صلاح ناشر علينا برأيك ، قال العلجوم : اما مكابرة الصيادين وقتالهما فليسا عندنا ولا نطيقهما ولا أعلم حيلة الا انى قد عرفت مكانا كثير الماء والخضر ، فان شئتن فانتقلن اليه • فقلن له : ومن يمن علينا بذلك ؟ فقال : أنا ، وجعل يحمل منهن اثنتين فى كل يوم ، ينطلق بهما الى بعض التلال فيأكلهما •

ثم أن السرطان قال له : انى قد أشفقت مما حذرتنا ، فلو ذهبت بى • فاحتمله حتى دنا من المكان الذى كان يأكلهن فيه • فلما بصر بعظامهن مجموعة تلوح ، عرف أنه صاحبهن وانه يريد به مثلهن • فقال : اذا لقى المرء عدوه فى المواطن التى يعلم أنه هالك فيها ، فهو حقيق أن يقاتل كرما وحفاظا فأهوى بكلاليبه على عنق العلجوم فعصره ، فوقع الى الأرض ميتا • ورجع السرطان الى السمك فأخبرهن » •

ويلعب أسد أحمد فارس الشدياق دور علجوم ابن المقفع فكلاهما يعجز عن الصيد فيحتال على الحيوانات حتى يوقعها فى قبضته ويفترسها وهو فى مكانه ، وتخدع الحيوانات عدا واحد منها يدرك الخطة ولا يخدع بالحيلة فينجو من الهلكة ويسلم •

***

تلخيص الكتاب في العصر الحديث

قام بعض الأدباء في العصر الحديث بتلخيص كتاب كليلة ودمنة وتهذيبه وكان هدفهم من هذا تيسير الكتاب وتبسيطه حتى يتلاءم مع مستوى القراء من غير الخاصة والذين لا يستسيغون أسلوب ابن المقفع ولا يستطيعون الاحاطة بمرماه البعيد .

وكانت معظم هذه المحاولات متجهة في أصلها الى تلاميذ المدارس الاعداديه والثانوية حيث تقرر الكتاب على طلبة هاتين المرحلتين فرأى بعض الأساتذة الأفاضل أن يبسطوه حتى يتلاءم مع مستوى هؤلاء التلاميذ ويتناسب مع ادراكهم وليست هذه المحاولات هامة في مجال بحثنا في هذا الفصل ولا تعد محاكاة لكليلة ودمنة .

ولم يحاول أصحابها أن يتطوروا بحكاية الحيوان الى مفهوم جديد أو ادراك أعمق مما كانت عليه في كليلة ودمنة ولم يفعلوا عدا تلخيص الحكايات وتجريدها من الاستطراد والاسهاب في ذكر الأمثال والمواعظ وابتعدوا عن طريقة تداخل القصص والحكايات ومع هذا بقيت حكاية الحيوان عند هؤلاء تسبح في نفس نطاق حكايات كليلة ودمنة وقد رأيت أن أشير الى أشهر هذه المحاولات بشيء من الايجاز كي أسجلها للتاريخ فقد لاحظت أن بعضها في سبيله الى الاندثار والضياع .

١ ــ كتاب نوادر الببغاء :

ألفه أحد الأدباء في أوائل هذا القرن ويشير الأستاذ « محمود خاطر » الى هذا الكتاب فيقول(١) :

« قد طالعت هذه المجموعة الأدبية لناسخ بردها جناب المعلم « أ• سرائى » مدرس اللغة العربية فألفيته اوافية بالقصد ، مرشدة الى سواء السبيل ، ولا غرابة اذا عظم اقبال الناس عليها وتزاحمت الأدباء في طرق اقتنائها فهي خير ما يقتنى وأعز ما يجتنى » •

(١) هو الذى صحح قاموس مختار الصحاح •

ويحتوى الكتاب على سبع وأربعين خرافة ومعظمها اقتباسات من كليلة ودمنة وقد ذيل المؤلف كتابه بمجموعة من الأمثال السائرة شعرا ونثرا .

٢ – تمثيليات كليلة ودمنة :

ألفه ابراهيم عز الدين اسماعيل ونشر فى بغداد ويشتمل الكتاب على خمسه ابواب من كليله ودمنه وهى :

١ – باب الأسد والثور قد سماه المؤلف (النمام) .
٢ – باب الفحص عن أمر دمنة وقد سماه (المحاكمة) .
٣ – باب البوم والغربان وقد سماه (خطة محكمة) .
٤ – باب ايلاذ وبلاذ وايراخت وقد سماه (حلم الأسد) .
٥ – باب ابن الملك وأصحابه وقد سماه (أسلحه الكفاح) .

ويستهل المؤلف كل باب من الأبواب الخمسة بالفكرة التى يوردها ابن المقفع فى مدخل كل باب من أبواب الكتاب كحلقة اتصال تربط حكايات الكتاب الرئيسيه بعضها ببعض ثم يقسم المؤلف مضمون كل حكاية من الحكايات الخمسة الرئيسية الى مناظر تمثل الحوار الذى يجرى على ألسنة الحيوانات والأشخاص التى وردت فى كليلة ودمنة ولكن فى أسلوب روائى وبلغة سهلة ثم يختم كل منظر من هذه المناظر بقطعة موسيقية وكأنها مشاهد تمثيلية تعرض على المسرح ولذا أطلق المؤلف على كتابه اسم تمثيليات كليلة ودمنة .

وعمل المؤلف فى هذا الكتاب أقرب الى الاقتباس منه بالمحاكاة ويبدو أن المؤلف حاول أن يخرج بعض حكايات كليلة ودمنة بهذه الصورة الجديدة لتتلاءم مع ذوق النشء حتى يقبلوا على قراءتها وحتى يتأدبوا بأدابها .

وأورد فيما يلى نصا من هذا الكتاب من الفصل الأول من كتابه تحت عنوان (النمام) ويبدأه بقوله :

« قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف أضرب لى مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العدواة والبغضاء قال بيدبا : زعموا أنه كان فى أجمة أسد عظيم وكان هذا الأسد سيد تلك الأجمة وكانت معه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى وثعالب وفهود ونمور وكان الأسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان يسكن تلك الأجمة ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب .

المنظر الأول

دمنة : يا أخي كليلة هل كتب علينا أن نظل هكذا مغمورين في زحمة الحياة نعيش فلا يؤبه بنا ونموت فلا يذكرنا أحــد .

كليلة : يا صديقي دمنة ألم يقولوا أن القناعة كنز لا يفنى .

دمنة : هــذه تميمة يهمس بها في اذن المستسلم القانع .

كليلة : لا تؤاخــذني لقــد نسيت انك مجــد طموح .

دمنة : نعم لاني بعيد النظر .

كليلة : قــد تكون نهاية الطموح هلاك الطامح .

.. وهكذا يستمر الحـوار بين كليلة ودمنة حتى ينتهي هــذا الفصل بقول الأســد مخاطبا دمنة بعــد قتله شتربة :

الأسد : لقــد جرحني آكل العشب اللئيم .

دمنة : ألم أحــذرك شره ؟

الأسد : نعم ولكني صرعته ولن تسمع خواره المزعج بعــد الآن .

دمنة : الحمــد لله .

٣ — السمير المفيد :

ألفه ابراهيم ماجــد ويرمي الكتاب الى شرح خواص الحيوان وهــو أقرب الى علم الحيوان ولا يعتبر من الكتب القصصية الخرافية غير أن المؤلف قــد ضمن الكتاب بعض الحكايات الخرافية القليلة التي تحمل طابع حكايات كليلة ودمنة الفني .

٤ — محاولة الأستاذ ابراهيم عزوز :

المفتش بوزارة التربية والتعليم المصرية وقــد قام هــذا الأستاذ بتلخيص الكتاب وتهــذيبه وتيسيره كي يتلاءم مع مستوى تلاميذ المدارس الاعــدادية ويقول الأستاذ في مقــدمة الكتاب « قــد اساءني اني رأيت النشء يعرضون عن

هـذا التراث الخالد و لايصبرون على تلمس درره الغوالى لبعـد ما بينهم وبين بلاغـة ابن المقفع •

لهـذا أخرجته فى هـذه الصورة الجـديدة التى تقرب حكمته وتيسر فوائده دون أن تمس جوهره فى لغة سهلة تلائم ذوق النشء لعلى أقرب بينهم وبين ابن المقفع فيتجهون الى أصل الكتاب فى مستقبل أيامهم •

وبعـد أن ينتهى الكاتب من مقـدمته يأخذ فى عرض مقـدمة على بن الشاه الفارسى فى أسلوب شيق ممتع ثم يعرض بابين من أبواب كليلة ودمنة وهما باب الأسـد والثور وباب الفحص عن أمر دمنة وأورد فيما يلى نصا من الكتاب من أول باب الأسـد والثور :

« زعموا أن أسـدا كان فى أرض خصبة كثيرة المياه والعشب طيبة المرعى والثمر وكان فيها من الوحوش عدد كبير ولكن هذه الوحوش كانت غير مستمتعة بهـذه الخيرات التى فى الأرض لأن الأسـد كان ينغص عليها حياتها ويهجم عليها يفترس منهـا ما يقـدر عليه فحبست الوحوش أنفسها فى مساكنها وصارت لا تخرج لترعى وتأكل الا فى لحظات قصيرة وهى فى أشـد الحرص والحـذر من الأسـد تخاف أن يخرج عليها فجأة ولمـا طال بها الزمن ولحقها الضرر أرادت أن تصالح الأسـد وتتفق معه على أمر فذهب وفـد من الوحوش الى الأسـد وقالوا له : أيها الأسـد العظيم ••• » الخ •

ويتبين من هـذا النص أن الكاتب قـد عمد الى تقـديم مادة كليلة ودمنة بدقـة وأمانة ولكن فى أسلوب سهل مبسط مهذب يناسب مستوى تلاميذ المدارس الاعـدادية وللأستاذ ابراهيم عزوز كتاب آخر بعنوان قصص من كليلة ودمنة ويعد امتدادا لكتابه السابق وقـد تناول فيه سبعة أبواب أخرى من كليلة ودمنة على نفس النمط الذى سلكه فى كتابه السابق •

وبعـد فقـد كانت جولة كبيرة فى فابولا الحيوان المولدة من كليلة ودمنة فى أدبنا العربى شعره ونثره قـديمه وحـديثه •

وقـد حاول أصحابها أن يفعلوا شيئا وأن يتطوروا بها عن نطاق كليلة ودمنة سواء فى الشكل أو المضمون وأن يكسوها ثوبا جـديدا غير الذى كانت ترتديه من قبل •

وقـد نجح الشعراء المحـدثون الى حـد كبير فيما سـعوا اليـه من التجـديد والتطـوير فجاءت فابولاتهم صورة مبتكرة فى الأداء والتصـوير والحبكة الفنية والشخصيات المعبرة وتصوير المواقف والشخصيات فى أدق صورة ويقف ابن المقفع الأستاذ بفنه ورهافة حسه وذوقه الرفيع وراء هـؤلاء وهؤلاء يعلمهم كيف يسيرون وقـد مهـد لهم الطريق ولقنهم دروسا نافعـة ومفيدة فى فن الفابولا وكيف تكتب كما سلمهم مادة مرنة خصبة صالحة للتشكيل واعـادة التصـوير •

واذا كنا نقر بأن هؤلاء الشعراء المحـدثين قـد تطـوروا بفن ابن المقفع الرفيع فان الفضل الأول والأخير يرجع الى هـذه العبقرية الفـذه التى وضعت النواة وأرست قواعـد وأصول فن الفابولا ليس فقط لأدبائنا وشعرائنا العرب بل لكل أدباء وشعراء العالم الذين يطرقون باب فابولا الحيوان •

* * *

* *

*

الفصل الرابع

كليلة ودمنة في الآداب الشرقية

أولا ــ كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى

نشأ كتاب كليلة ودمنة أول ما نشأ فى بلاد الهند ثم انتقل منها الى بلاد فارس حتى ترجمه عبد الله بن المقفع الى العربية فى القرن الثانى الهجرى فيما نرجح وبعد ذلك ضاعت الأصول البهلوية التى ترجم عنها ابن المقفع والتى كانت همزة الوصل بين الأصول الهندية السنسكريتية والترجمة العربية لعبد الله بن المقفع ورغم أن هذه الأصول البهلوية قد ضاعت ولم يعد لها وجود فان الفرس لم ينسوا الكتاب وأرجح أنهم كانوا يرددون حكاياته ويروون قصصه مشافهة كما يرددون سائر أنواع القصص الشعبى ، ثم انه ما كادت الفرصة تتاح لهم لاعادة الكتاب الى الديار الفارسية حتى اغتنمها الفرس فأقبل الأدباء الايرانيون على نسخة عبد الله بن المقفع العربية يترجمونها تارة وينظمونها شعرا تارة أخرى ثم قام فريق من الأدباء الفرس بمحاكاتها بينما قام فريق آخر بتلخيصها وتبسيطها وتهذيبها على نحو ما فعل الأدباء العرب .

وقد لعب الكتاب فى الأدب الفارسى دورا لا يقل خطورة عن الدور الذى لعبه فى الأدب العربى بل ان الكتاب قد لعب دورا لغويا خطيرا فى اللغة الفارسية حيث نقل الى الفارسية بعض الاشتقاقات العربية التى لم تكن تألفها اللغة الفارسية قبله مثل استخدام أبى المعالى فى ترجمته الفارسية اشتقاق التبصيص على وزن التفعيل وهو اشتقاق مألوف فى العربية ولكنه ليس كذلك فى الفارسية .

كما أدى انتقال الكتاب الى الأدب الفارسى الى انتشار الحضارة والثقافة العربية لدى الايرانيين من خلال الأمثال والحكم والمأثورات الشعبية العربية التى تشيع فى كتاب كليلة ودمنة شيوعا عظيما .

فاذا أضفنا الى ذلك أن أديبا ايرانيا مثل أبى المعالى نصر الله لم يكتف بالأمثال والحكم التى تضمنتها النسخة العربية لابن المقفع بل أضاف اليها مزيدا

من الأمثال والحكم العربية أدركنا خطورة الدور الذى يمكن أن تؤديه هـذه الحكم والأمثال فى تعليم الايرانيين كيفية تراكيب اللغـة وبناء الجملة العربية لان الترجمات الفارسية نقلت هـذه الأمثال والحكم كما هى باللغة العربية دون أى تصرف فى معظم الأحيان مما كان له أثر عظيم على المـام الايرانيين بقـدر من العربية من خلال هـذه الأمثال والحكم فقـد كان عليهم أن يلجأوا الى المعاجم اللغوية لفهم تراكيب ومفردات هـذه الأمثال والحكم التى كانت تبدو لهم معقدة التراكيب صعبة الفهم ممـا أفادهم دون شـك بالالمـام بقـدر من العربيـة وتراكيبها اللغوية •

ويبدو أن هـذا الدور قـد تحقق على أكمل وجـه حتى أننا نجـد أبا المعالى يتبع فى ترجمته الفارسية نظام تركيب الجملة فى اللغة العربية فنراه يبدأ الجملة الفارسية بالفعل بينما تقتضى قواعـد اللغة الفارسية أن يؤتى بالفعل فى آخر الجملة وماهـذا الا تأثر منه بقواعـد تكوين الجملة الفعلية فى اللغة العربية وقـد أصبحت هـذه القواعـد العربية فى تركيب الجملة مألوفة لأبى المعالى يتبعها تلقائيا ودون قصـد وتكلف ، وهـو يكثر من استخدامها حتى أن كثيرا من النقاد الايرانيين قـد وجهوا اليه النقـد اللاذع لاستخدام هـذا الأسلوب الذى لا يألفه الذوق اللغوى الفارسى •

وقـد كان للأدب الفارسى الفضل الأكبر فى انتقال الكتاب الى الأدب التركى ومنه انتقل الكتاب الى الأدب الفرنسى ليشيع وينتشر فى سائر أنحـاء العالم فى ثوبه الفرنسى الجـديد على يد الشاعر الفرنسى العملاق لافونتين •

والآن حان الوقت لأن نقوم بجولة جـديدة مع كتاب كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى نثره وشعره لنشير الى أهم التراجم والأعمال الأدبية الفارسية المستوحاة من رائعة عبد الله بن المقفع الخالدة (كليلة ودمنة) •

أ ـ الترجمات النثرية الفارسية للكتاب

وأشهر الترجمات الفارسية النثرية للكتاب هى :

١ ـ ترجمـة البلعمى :

وهى أول ترجمة فارسية للكتاب وقام بها (أبو الفضل محمد البلعمى) وزير الأمير نصر بن أحمد السامانى (٣٠٢/ ٣٣١ هـ) •

وقـد أشار الفردوسى الى ترجمة البلعمى للكتاب بقوله : (كان الكتاب بالعربية الى عهد نصر ، ولمـا أصبح نصر ملك العصر أمر الفضل وزيره الأعظم الذى كان على خزانته القيم فنقـله الى الفارسـية وتم الأمر دون ابطـاء أو روية)(١) .

ويقول المستشرق الفرنسى ده ساسى فى مقـدمته لكتاب كليلة ودمنة فى شأن هـذه الترجمة الفارسية للبلعمى (توجد فى مقدمة الشاه نامة ترجمة المستشرق والبنورج) عبارة تفيد أن الأمير نصر بن أحمد السامانى قـد أشار على وزيره أبى الفضل البلعمى بترجمة كتاب كليلة ودمنة الى الفارسية فقام بترجمته واملائه على الرودكى لينظمه شعرا ولم أجـد هـذه العبارة فى أى مقـدمة أخرى لكتاب الشاه نامة)(٢) .

٢ ـ ترجمة أبى المعالى نصر الله للكتاب :

قام أبو المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب المتوفى عام ٥٥٥ هـ بترجمة كتاب كليلة ودمنة من العربية الى الفارسية نثرا فى عهد السلطان أبى المظفر بهرام شاه ابن السلطان مسعود بن السلطان محمد بن سبكتكين الغزنوى والسلطان أبو المظفر هـذا هو السلطان الثالث عشر من سلاطين الدولة الغزنوية التركية الأصل التى قامت بأفغانستان وما حـولها من منتصف القرن الرابع الى أواخر القرن السادس الهجرى (٣٥١ ـ ٥٨١ هـ) وقـد عرف أبو المظفر بمحبته للعلم والعلماء وفى أيامه ظهر أمر الحكيم محمد بن أحمد المشهور بالسنانى وكان من أجلاء شعراء الصوفية .

وقـد سمى أبو المعـالى ترجمته (بهرامشاهى) على اسم السلطان أبى المظفر بهرام شاه .

ويشير أبو المعالى فى مقـدمة ترجمته الى الغرض الذى من أجله ترجم الكتاب فيقول : وخلاصـة القول أنه لمـا قلت رغبـة الناس فى مطالعة الكتب العربية وهجرت تلك الحكم والمواعظ وكأنها قـد اندثرت تماما خطر ببالى أن

---

(١) عبد الله ابن المقفع ـ الخراسانى ص ٢٦٨ .

(٢) طبعت هـذه المقـدمة فى « فينا » بعـد موت المترجم فى عام ١٨٢٠ م وقـد نقل الأستاذ عبد العظيم قريب فى مقـدمة كتابه « منتخب كليلة ودمنة » من مقـدمة احدى نسخ الشاهنامة ما يفيد أن البلعمى ترجم الكتاب نثرا ثم نظمه الرودكى .

أترجم كتاب كليلة ودمنة وأشرح معانيه وأوضح رموزه وأؤكد مغزاه بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال ، حتى يبعث من جديد ذلك الكتاب الذى يشبه ميتا قد انقضى على موته آلاف السنين ولم يحرم الناس من منافعه »(٣) .

وقد ضمن أبو المعالى ترجمته الكثير من الحكم والمواعظ والأمثال العربية والفارسية واستشهد بالأشعار والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كما أكثر من المحسنات البديعة تماشيا منه مع أسلوب الكتابة الفارسية فى عصره ، وقد تصرف أبو المعالى فى ترجمته تصرفا عظيما خرج بها عن النص العربى ولم يلتزم بترجمة حرفية ، كما أنه أكثر من الألفاظ العربية فقدم بذلك أسلوبا جديدا فى الكتابة الفارسية لفت اليه الأنظار وأكسب ترجمته شهرة عظيمة وخاصة بعد أن أهدى الترجمة الى بهرام شاة أعظم ملوك الغزناويين تشجيعا للأدب والأدباء .

ورغم خروج أبو المعالى على النص العربى وتصرفه فيه على نحو ما اشرنا فقد احتفظ بجوهر الكتاب وترتيب أبوابه والمحافظة على معانيه الأساسية وراعى سهولة الألفاظ ومتانة التركيب وعدم الاسهاب والاطناب ولهذا كانت ترجمته من أمهات الكتب الفارسية الخالية من التعقيد والغموض لذا كتب لها البقاء والتأثير فى عدد كبير من الأعمال الأدبية التى عمد أصحابها الى نظم أو محاكاة ترجمة أبى المعالى نصر الله .

وقد لعبت ترجمة أبى المعالى فى الأدب الفارسى دورا عظيما يشبه الدور الذى لعبته ترجمة ابن المقفع فى الأدب العربى ، فقد قام الأدباء الايرانيون بنظمها تارة ومحاكاتها تارة أخرى وبتلخيصها تارة ثالثة على نحو ما حدث بالنسبة لترجمة ابن المقفع فى الأدب العربى .

ويتضح لنا المنهج الذى سار عليه أبو المعالى فى ترجمته من الديباجة التى كتبها للكتاب حيث ذكر فيها انه يهدف الى اكمال النص العربى بفيض من الحكم والأمثال والاستشهاد بالأشعار الفارسية والعربية والأحاديث والآيات القرآنية والأقوال المأثورة حتى يعرف القارىء المقصود من الكتاب ويفهم مضامين حكاياته الأخلاقية فهما دقيقا .

---

(٣) كليلة ودمنة بهرامشاهى ص ٤٤ تحقيق عبد العظيم قريب .

ولتوضيح منهج أبى المعالى فى الترجمة أستشهد بفقرتين من كليلة ودمنة العربية وترجمة أبى المعالى لهما .

ويبدأ عبد الله بن المقفع احدى القصص الفرعية بباب القرد والغيلم بقوله : (زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكنة فى جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا)[٤] .

ويترجم أبو المعالى هذه الفقرة بقوله : (كانت جماعة من القرود بجبل من الجبال وعندما مشى ملك النجوم يتبختر ويتخايل نحو أفق المغرب (يقصد الشمس) وقنعت جمالها المضىء للعالم بنقاب الظلام فانتصر جيش الزنوج (يقصد الليل) بغيبة الشمس على جيش الروم (يقصد النهار) ليل شبيه بعمل الاثم يوم الحشر ، وهبت ريح الشمال جامحةالعنان ومحكمة الركاب هاجمت القردة ، فأنهك البرد القردة المسكينة وأخذوا يبحثون عن مكان يلجأون اليه) .

ويبدأ ابن المقفع قصة القرد والغيلم بقوله : (زعموا أن قردا كان ملك القرود يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه ، فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل) .

ويترجم أبو المعالى الفقرة السابقة فيقول :

(زعموا أنه كان فى جزيرة قردة كثيرة وكان لهم ملك ذو مهابة وافرة وسياسة محنكة وسلطان نافذ وعدل شامل ، وحينما مضت أيام الشباب التى هى ربيع العمر وموسم السعادة ظهر فى أطرافه ضعف الشيخوخة ونشر أثرها فى قوة بصره ونور عينيه :

ان الزمان اذا تتابع خطوه سبق الطلوب وأدرك المطلوبا

وهكذا شان الدنيا تبدل طراوة الشباب بذبول الشيخوخة وتجعل ذل الفقر يستولى على عز الغنى :

شباب وشيب وافتقار وثروة فلله هذا الدهر كيف ترددا

---

(٤) هى احدى القصص الفرعية فى باب القرد والغيلم .

وتعرض الدنيا نفسها على أهلها فى ثوب العرائس وتجعل من حليتهـا الظاهرة مصـــدر غرور السفهاء ، وتتخـــذ مظاهرها الزائفـــة رأس مال خـــداع للجشعين والطامعين ، ويقع الأتراب فى شرك آفتها ويصبحون أسرى هــــواها ومرادها غافلين عن خبث باطنها ومكر جبلتها ، جاهلين دناءة طباعها وقلة وفائها : سعادة الدهر مثل الحيـــة السامة • ظاهرها ناعم ومزركش اللـــون وباطنها ملىء بالسم ، فى غرورها الغنى والفقير ، فى بهجة كمن يحلم الظفر بكنز •

والعاقل لا يلتفت الى هـــذه الخصائل ولا يتعلق قلبه بطلب الجاه الفانى ويتوجه الى كسب الخير الباقى فلا ثبوت لجاه الدنيا وعيشها ولو حصل على شىء من المـــال فى يده عليه أن يتركه كما هـــو حتى يحـــد الكلاب أنيابهم قائلين : أن الميراث حلال وما هـــذه الدنيا وما هـــذا الخلق والاستظهار بها ؟ فهى مزبلة مليئة بالكلاب والجيف ، أمن أجل جيفه صامتا كل هذا الصراخ والصيحات ••• ؟ أمن أجل كومة تراب كل هـــذه الجلبة الفارغة والغطرسة ؟ حب الدنيا ملىء بالحقد كطعام لوزينة الذى فيه ثوم)(٥) •

وبمقارنة هذه النصوص يتبين أن أبا المعالى كان لا يلتزم بالترجمة الحرفية ، وانه خرج خروجا واضحا عن النص العربى ، فصارت ترجمته تختلف اختلافا بينا عن النسخة العربية ، وقـــد أكثر من الاستعارات والتشبيهات والكنايات وايراد الشعر ، وأطنب فى الأسلوب على عكس ابن المقفع الذى كان يميل الى الايجاز فى كثير من الأحيـــان ، وعـــدم التهالك فى استعمال السجع والزخرفة اللفظيـــة •

ومع هـــذا فقـــد احتفظ أبو المعـــالى بالمعنى الأصلى فى كل من الفقرتين السابقتين ، وقـــد أخـــذ بعض النقاد على أبى المعالى بعض المـــآخـــذ الأسلوبية ومنها تركيب الجملة الفارسية فى بعض الأحيان على نمط التركيب العربى وذلك بتقديم الفعل فى الجملة الفعلية كما هو متبع فى اللغة العربية بينما تقتضى القاعدة فى اللغة الفارسية ذكر الفعل فى طرف الجملة ، وكذلك آخـــذوا على أبى المعالى أنه استعمل بعض الألفاظ العربية التى لا يألفها الذوق الفارسى ، ومن ذلك كلمات (التشوق) على وزن التفعل (المستحث) على وزن المستفعل و (الذمام) على

---

(٥) عبد الله بن المقفع — الخراسانى ص ٢٧٨ •

وزن الفعال (الأحماش) على وزن الأفعال و (التبصيص) على وزن التفعيل و (التقشف) على وزن التفعل و (الانتماء) على وزن الافتعال ، وغـيرها من الألفاظ والمصطلحات التى أدت الى تعقيد العبارة الفارسية وابتعاد أسلوبها عن تذوق أهـل اللغـة .

٣ ــ أنوار سهيلى ــ تهذيب كليلة ودمنة بهرامشاهى :

قام المولى حسين بن على الواعظ الكاشفى فى أواخر القرن التاسع الهجرى ــ الخامس عشر الميلادى ــ بتبسيط وتهـذيب وتلخيص ترجمة أبى المعـالى نصر الله حتى يسهل فهمها على العامة ، وقـد حـذف الألفاظ الغريبة الوحشية واستبدلها بألفاظ سهلة متداولة ، كما حـذف الأشعار العربية وأحل مكانها أشعارا فارسية وقـد قام حسين الواعظ الكاشفى بهـذا العمل وقـدمه إلى الأمير سهيلى الذى ورد اسمه فى عنوان الكتاب ، وكان القائد العام لجيوش السلطان أبى المغازى حسين ميرزا أمير خراسان بن غياث الدين منصور بن بيكره بن عمر شيخ الابن الثانى لتيمور لنك المعروف .

وكان أبو المغازى هـذا ممن يجلون العلماء ويقربونهم اليهم ويغـدقون عليهم العطايا والهبات ، وكانت وفاته سنة ٩١١ هـ ــ سنة ١٥٠٥ م(٦) .

وكان حسين الواعظ الكاشفى من أبرع كتاب عصره ، وتعـد ترجمته أكثر الترجمات الفارسية ذيوعا وانتشارا ، كما تعـد أطولها وأعلاها منزلة فى الأدب الفـــارسى .

وقـد برهن الكاشفى فى هـذه الترجمة على مقـدار ما يتمتع به من سعة اطلاعه ، وغزارة معلوماته ، وضخامة مادته ، وتمكنه التام من اللغتين الفارسية والعربية ، ومقـدرته الفائقة على اصطناع الأساليب البلاغية ، الا أنه كان مولعا باستعمال المترادفات المتعـددة والعبارات الكثيرة المتنوعة التى تؤدى معنى واحـدا ، واتباعه هـذا الأسلوب ألبس المعانى التى يريد التعبير عنها غلالات متراكمة طبقات بعضها فوق بعض قـد يصعب معها على القارئ فى كثير من

---

(٦) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ـ حامد عبد القـادر ص ٥ .

الأحيان أن يصل الى المعنى المراد ، اللهم الا اذا أعمل فكره وأجهد قريحته فى تحليل الجمل وتعيين المبتدأ والخبر فى كل جملة والوصول الى مكملات المبتدأ ومكملات الخبر وهكذا(٧) .

ولا يستطيع فهم أنوار سهيلى الا من كانت عنده دراية كبيرة بالقرآن الكريم ، والمام عظيم بالحديث النبوى الشريف ، وعلم واسع بالحكم والأمثال العربية والفارسية ، ومعرفة كاملة بأوزان الشعر والبحور المستعملة فى الفارسية :

وقد تأثر الكاشفى فى ترجمته بالأصول الهندية السنسكريتية ونقل عنها معظم قصصه ، وكثير من هذه القصص غير وارد فى الترجمة العربية لعبد الله ابن المقفع ، كما قام الكاشفى باضافة بعض القصص ، وهذه ربما تكون من ابتكاره ، وربما تكون منقولة عن أصول فارسية أو سنسكريتية غير معروفة لدينا ، وعليه فان القصص فى كتاب أنوار سهيلى تنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ ــ قسم منقول عن أصول هندية سنسكريتية يوجد لها نظير فى الترجمة العربية لعبد الله بن المقفع .

٢ ــ قسم منقول عن السنسكريتية ولا يوجد له نظير فى الترجمة العربية .

٣ ــ قسم غير معروف لا فى الترجمة العربية لعبد الله به بن المقفع ولا فى الأصول السنسكريتية التى بين أيدينا ، وهذا القسم ربما يكون من ابتكار حسين الواعظ الكاشفى وربما يكون منقولا عن أصول سنسكريتية أو فارسية ضاعت ولم تصل الينا ، ويدخل فى هذا القسم الأخير الحكايات التالية :

(أ) قصة الناطور (حارس البستان) والبلبل ، الباب الأول رقم ١٩ .

(ب) قصة النقاش وربة البيت ، الباب الثانى رقم ٧ .

(جـ) قصة اللص والقرد ، الباب الخامس رقم ٢ .

(د) حكاية زوجة الفلاح ، الباب السابع رقم ٣ .

---

(٧) السابق ص ٥٠ ، ٥١ .

(ه) حكاية الفلاح وكيس الذهب ، الباب الرابع عشر رقم ٢ •

ويرى بعض الباحثين الايرانيين أن تهذيب المواعظ الكاشفي لكتاب بهرامشاهي قد زاد أسلوب الكتاب تعقيدا وركاكة على عكس ما زعم هو نفسه فى مقدمة كتابه ، الا أن هناك ميزة كبيرة لكتاب انوار سهيلى لا يحظى بها غيره ، ذلك أنه يذكر بأسلوب مسهب مفصل قصة حصول دبشليم ملك الهند على القصص الوعظية التى تضمنها كتاب كليلة ودمنة وملخص هذه القصة التى يرويها الكاشفى كما يأتى :

(كان ببلاد الصين ملك نافذ الكلمة مطاع يأتمر بأوامره الملوك والأمراء ، وكان ثريا امتلأت خزائنه بأنواع اللؤلؤ والجواهر النفيسة ، وكان شجاعا كريما عادلا ، عاشت رعيته فى أمن ودعه وطمأنينةبعيدين عن الثورة وارتكاب الجرائم ، ولذلك كله كان يسمى (همايون فال) أى (صاحب الفال الحسن) وكان له وزير حازم مدبر يسلك فى معاملة الرعية مسلكا محمودا ، ولذا سموه : (خجستان راى) أى (صاحب الرأى السديد السعيد) وكان الملك يثق به ويستشيره فى جميع شئون الدولة •

وفى ذات يوم خرج الملك للصيد يصحبه وزيره ، وفى أثناء الرحلة اشتد القيظ وشق على الملك متابعة الصيد ، فاستشار وزيره فيما يعمل للوقاية من حر الشمس ، فأشار عليه أن يذهب الى جبل يعرفه ، أخضر نباته ولطف هواؤه ، وعلى مقربة منه بحيرة يزيد ماؤها فى لطافة الجو وصفاء الهواء •

وذهب الملك والوزير الى الجبل ، وهنالك وقع نظر الملك على شجرة جرداء ناحلة سقطت أوراقها • وفى جذعها شقوق تأوى اليها النحل فسأل وزيره عن هذه الحشرات ، فشرح له الوزير حالها ووصف له حياتها ، وبين له ما تعمل من جمع رحيق الزهور وبناء الخلايا وصنع العسل •

واقترب الملك من جذع الشجرة وشاهد بنفسه النحل وهى تعمل عملها جاهدة لا وانية ولا لاهية ، فأعجب بها وبنظامها وبتعاونها على العمل وقال : ان بنى الانسان لا يستطيعون أن يحيوا حياة النحل التى يسودها التعاون والنظام ويعمها التآلف والوئام الا اذا عاشوا عيشة عزلة وانفراد بها ، يتهيأ اطمئنانهم ، وتتم سعادتهم •

فقال الوزير : ان ما يقول الملك حـق ولكن الانسان اجتماعى بطبعـه فلا مناص من ان يعيشوا معا فى مجتمع واحـد • ولكى يحيوا فى هـذا المجتمع حياة هادئه سعيده يجب ان يتولى امرهم ملك حسن السيرة محمود الأخلاق •

وهنا سأل الملك عن الصفات التى يجب ان يتصف بها الملك الصالح ، فاجابه الوزير الى ما طلب وعقب على ذلك بانه من الواجب أن يتخـذ الملك له وزيرا أمينا مخلصا يستشيره ويثق به ويعمل برأيه ، كما فى حال دبشليم ملك الهنـد ووزيره بيـدبا الفيلسوف البرهمى •

وسمع (همايون فال) هـذا الـكلام فقال : انى سمعت كثيرا عن هـذا الملك وعن وزيره وانى فى شوق الى تعرف أخبارهما فهل لك أن تقص على قصتهما ؟

فانبرى خجستان راى يقص قصة دبشليم الملك فقال : اجتمع هـذا الملك يوما بوزرائه وأولى الرأى من رعيته ، وطلب اليهم أن يتحـدث كل منهم حديثا يفصح به عن أفضل الصفات واحسن الأعمال ، فاجمع رأيهم على أن الكرم والسخاء أفضل الأخلاق وأنبل الصفات •

واستمع دبشليم الملك الى هـذا الكلام وفهم معناه وأدرك مغزاه ، فأسرع الى فتح خزائنه وأخـذ يوزع المـال على الفقراء ويغدق العطايا على المحتاجين ، ولمـا تم له ما أراد من توزيع الصدقات وبذل العطايا والهبات ، أخـذته سنة من النوم فسمع فى نومه هاتفا يقول : ان فى مكان ما كنزا دفينا من الجـواهر واللآلىء قـد ادخر لك فأسرع اليه لتحظى بالاستيلاء عليه •

واستيقظ دبشليم الملك من نومه فى فزع وفرح ، وأفضى الى خلصائه ، ما رأى فى يومه وما سمع ثم جـد فى طلب الكنز الموعـود ، وانطلق يتابع السير حتى اهتدى الى كهف على بابه درويش فقص عليه خبره ، وأطلعه الدرويش على الكنز فاذا به يبهر الأبصار ، ويخلب العقول ، جواهر متراكمة بعضها فوق بعض ، ولآلىء متراصة يكاد بريقها يذهب بالأبصار •

وقـد اشتد به العجب حينما رأى بين هـذه الجواهر صندوقا من الفـولاذ مغلقا ومطليا بالذهب ومرصعا بالجواهر النفيسة ، فهم بفتحه فأعجزه وأعجز

الحاضرين فتحه ، فأرسل الملك فى طلب خبير بهـذا الأمر فجاء وفتح الصندوق واذا فيه سجل مكتوب بحروف معماة ورموز مبهمة قيل انهـا حروف سريانية ، وحاول كل من حضر أن يقرأ هـذا الخط فعجزوا فأمر الملك بالبحث عن حكيم من حكماء البراهمة يستطيع حل هـذه الرموز .

وبعـد لأى عثروا على طلبة الملك فجاءوا به ، واطلع الحكيم على ما كتب فاذا به رسالة من الملك هوشنكى(٨) الى دبشليم ملك الهند ، وقـد جاء فى مقدمة هـذه الرسالة أن دبشليم ملك الهند هـو الذى قـدر له أن يستولى على هـذا الكنز ، وأن هـذا الكنز كنزان أحـدهما : مادى لا يعـد شيئا بجانب الكنز والآخر الذى هـو ذخيرة روحانية لا تقوم بمال ، وهـو يتألف من أربع عشرة وصية ، وشرع الحكيم فى قراءة الوصايا واحـدة واحـدة واليك خلاصتها :

١ ــ لا ينبغى للملك أن يصغى الى قول الوشاة النمامين السباعين فى ايقاع العـداوة بينه وبين وزرائه العاملين ، ورجال حاشيته المخلصين .

٢ ــ على الملك أن يأخـذ حـذره من المرائين المتملقين فلا يسمح لهم بالانتماء اليه ولا بالدخول عليه ، لأن فى تقريبهم اليه وبالا على الدولة .

٣ ــ على الملك أن يعامل بالرفق والعطف نبلاء دولته ، وأساطين مملكته ، ليأمن جانبهم ويحظى بمعونتهم .

٤ ــ يجب أن يأخـذ الملك حـذره من أعـدائه فلا يغتر بمـا عسى أن يظهروه من مودة أو يتظاهروا به من تواضع ، فالصداقة لا تأتى مع الأعـداء كما لا يتأتى الدواء مع الداء .

٥ ــ على الملك اذا حصل على طلبته أن يستمسك بها ولا يهملها طمعا فيما قـد يعز أو لا يفيد الحصول عليه ، فانه ان ضيع ما فى يده ، ولم يحصل على غيره ندم حيث لا ينفع الندم .

٦ ــ يجب على الملك أن يتجنب العجلة والتسرع ، وأن يلزم جانب التؤدة والتأنى فيما يقصد اليه من الأمور ، فان ضرر التسرع جسيم ونفع التأنى عظيم .

---

(٨) هـو ثانى ملوك الأسرة البيشدادية أول أسرة حكمت فارس ومعنى هوشنكى : الحـكيم .

٧ — على الملك ألا يدع زمام التروى والتدبر يفلت من يده ، وأن يلجأ الى الخداع والحيلة عند الضرورة ، فاذا اجتمع على محاربته جمع من الاعداء ورأى من حسن الحيلة أن يحل عقدتهم باجتذاب أحدهم اليه والتخلص بذلك من اذاهم ، فليعمد الى ذلك ، فالحرب كما يقال خدعة •

٨ — يجب أن يكون الملك على حذر من الحقدة والحسدة من الناس مهما يظهروا له من مودة وصفاء أو يبدوا من ملق ورياء فالحسد اذا كمن فى الصدر ثبتت أصوله وتفرعت جذوره واستحال اقتلاعه •

٩ — على الملك أن يستشعر العفو والشفقة على خدمه وحشمه ، فاذا هفا أحدهم عفا عنه ، فخليق بالعظماء أن يرحموا الضعفاء •

١٠ — يجب ألا يؤذى الملك أحدا ولا يعتدى على أحد الا بمثل ما اعتدى عليه ، فان تجاوز الحد فى العقوبة وخيم العاقبة ، وعلى الملك أن يؤثر خطة الاحسان فانه يذهب بالعداوة ويؤلف بين القلوب •

١١ — على الملك ألا يشغل باله الا بما يلائم حاله ويناسب ظروفه فكثيرا ما يترك المرء عملا له به طاقة ويزاول غيره مما لا طاقة له به ، فيخفق فيما حاول ، ويعجز عن تدارك ما فات •

١٢ — يجب أن يكون الملك حليما صبورا فقد صح فى الحديث (كاد الحليم أن يكون نبيا) •

١٣ — يجب أن يجمع الملك حوله الأمناء الأوفياء ويباعد بينه وبين الخونة الأشقياء ، فان حاشية الملك موطن أسراره ورسله الى رعيته ، فاذا اتسم أحدهم بالخيانة والكذب فى القول عرض المملكة للخطر والرعية للظلم •

١٤ — على الملك الا يستسلم للعجز من تقلبات الدهر ، وألا يتأذى بمحن الأيام ، فان العقلاء دائما عرضة للبلاء ، وهدف للشقاء أما الجهلة فهم دائما فى راحة ونعيم) •

وجاء فى ختام هذه الوصايا : (ان لكل منها قصة تتصل بها ، وحكاية توضح مغزاها ، فاذا شاء الملك أن يلم بتفاصيل هذه القصص فعليه أن يذهب

بى جبل (سرنديب) الذى هبطه آدم أبو البشر ، فهنالك يجد من شرح هذه الوصايا ما يشبع غلته ويحقق رغبته .

سمع الملك هذا الحديث فتاقت نفسه الى السفر الى ذلك الجبل ، فجمع ذوى الرأى من حاشيته واستشارهم فى الأمر فأخذ كل يدلى برأيه ، ويؤيد ما يقول بضرب الأمثال ورواية القصص ، فمنهم من شايع الملك والماض فى بيان فوائد السفر ومنهم من خالفه وعزز رأيه ببيان ما ينجم عن السفر من مضار)(٩) .

وقد وضع الكاشفى كتابه على أربعة عشر بابا هى :

الباب الأول : فى الاجتناب عن سماع قول الساعى والنمام .
الباب الثانى : فى معاقبة الأشرار وسوء نهايتهم .
الباب الثالث : فى منافع موافقة الأصدقاء وفوائد مناصرتهم .
الباب الرابع : فى مراقبة أحوال الأعداء وعدم جواز الأمن من كيدهم .
الباب الخامس : فى مضار الغفلة وفقدان المطلوب .
الباب السادس : فى آفة التسرع وضرره .
الباب السابع : فى الحزم والتدبير والخلاص من مكر الأعداء بالحيلة .
الباب الثامن : فى الحذر من أرباب الحقد ، وعدم جواز الاعتماد عليهم وعلى ملقهم .
الباب التاسع : فى فضيلة العفو والصفح فانهما أحسن الصفات للملوك وأجمل الخصائل للزعماء وأصحاب السلطة .
الباب العاشر : فى مجازاة الأعمال عن طريق الانتقام .
الباب الحادى عشر : فى ضرر طلب الزيادة وما يفوت بسببه من العمل .
الباب الثانى عشر : فى فضيلة الحلم والوقار والسكينة وخاصة بالنسبة للملوك .
الباب الثالث عشر : فيما يجب على الملوك من حذر عن الاستماع للغادر والخائن .

---

(٩) قصص الحيوان وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية - حامد عبد القادر ص ٥١ : ٥٨ .

الباب الرابع عشر : فى عـدم الاهتمام بتقلب الأيام وبناء الأعمال على التسليم والتـوكل •

وهـذه الابواب تشتمل على اثنتين وأربعين قصة فرعية من نسخة أبى المعالى ، وقـد أضاف اليها الكاشفى ستين قصة أخرى وبذلك بلغت قصص الأبواب الأربعة عشر الفرعية عند الكاشفى اثنتين ومائة قصة •

وقـد اتسم أسلوب الكاشفى بالاطناب والاسهاب فى بعض أجزاء الكتـاب وبالايجاز والاختصار فى أجزاء أخرى ، وقـد سلك الكاشفى أسلوب الاعجاز والاختصار فى بابى الفحص عن أمر دمنة وبعثة برزويه ، بينما اتبع أسـلوب الاطناب والاسهاب فى باقى أبواب الكتاب ، وعندما يطيل ويسهب الكاشفى فانه يغرط فى الاسهاب والاطالة حتى أنه كثيرا ما يجـد القارىء للكتاب الجملة الواحدة الكاملة الأجزاء تشغل صفحة كاملة أو تكاد ، ومن الأمثلة على ذلك قوله :

« ان حضرة الحكيم المطلق جلت حكمته ، والذى جرت على السنه جميع الموجودات العلوية والكائنات السفلية الأقوال السديدة الدالة على حمده والثناء عليه بحكم قوله تعالى : (وان من شىء الا يسبح بحمده) ذلك الذى شملت فوائد موائد الآئه التى لا نهاية لهـا جميع عناصر المبدعات السماوية والأرضية . وفق القاعـدة الثابتة المقررة فى قـوله تعالى : (أعطى كل شىء خلقـه ثم هـدى) ، والذى هـو الوهاب لأسرار العقل المدرك لمـا خفى ، ومانح المعرفة والتمييز لأرواح الحكماء ، ومؤتى جوهر الحكمة الدقيقة للناس سبحانه ، يحول الليل البهيم الى نهار منير ، خاطب فى كلامه القـديم الكريم وكتابه اللازم التقـديم والتكريم ، حضرة معقل النبوة ، وصاحب العرش المشار اليه فى قوله صلى الله عليه وسلم : (لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل) ذلك النبى العالم بدقائق المعارف وفقا لقوله تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم) الفصيح البيان بحكم قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا أفصح العرب والعجم) ذلك الرسول محمد الذى انطبعت على صفحات جميع الكائنات حلية اسمه ، والمصباح الذى انبعثت منه الأنوار المتلألئة ، وبه شمل الجلال جميع الموجودات صلوات الله وسلامه عليـه وعلى آله وصحبه المقيمين لديه ، وعلى من تابعـه وانتمى اليه — (خاطبه ربه) بالاشارة الى هـداية الطالبين الى معرفة مقاصد الارادة الربانية وحماية القاصـدين الى اصابة مرامى الاستفادة بالخطـاب

الاتى ، وبين لذلك المعلم للحكمة الذى (علمه شديد القوى) طريق تعـــليم المستعدين للجلوس الى مكتب الأدب وسبيل تلقين طلاب مدرسة الجهــد والطلب بالخطاب نفسه ، وهــو قوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمــة والموعظــة الحســـنة) .

ومعنى هذا الكلام بعبارة عربية موجزة : (ان الله تعالى خاطب نبيه الكريم فى كتابه القــديم بقوله جل شأنه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظــة الحسنة) ليبين له طريق هــداية الطالبين وسبيل تلقين الراغبين فى مقام التفقه فى الدين)(١٠) .

وبسبب هــذا الاطناب طال الكتاب وصار غاية فى الضخامة حيث يقع فى ستمائة وثلاثين صفحة من القطع الطــويل العريض ، فى كل صفحة ستة عشر سطرا ، فى كل سطر نحو عشرين كلمة .

ويرى الدكتور محمد غفرانى الخراسانى(١١) أن الواعظ الكاشفى لم يعتمد اعتمادا كليا على نسخة أبى المعالى وانما اعتمد على نسخة عربية أخرى الى جانب نسخة أبى المعالى الفارسية ويستدل الخراسانى على ذلك بنص يورده من كليلة ودمنة العربية ، ويورد ترجمته عنه كل من أبى المعالى وحسين الواعظ الكاشفى فيلاحظ أن أبا المعالى يترجم النص بكل جزئياته فى حين يسقط الكاشفى فقرة منه من باب الأســد والثور .

والنص كما يرويه ابن المقفع هــو (ثم ان دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فسلم عليه فقال الأسد لبعض جلسائه من هذا ؟

فقال : فــلان بن فــلان .

قال : كنت أعرف أباه . ثم سأله : أين تكون ؟ قال : لم أزل ملازما باب الملك رجاء أن يحضره أمر فأعين الملك فيه بنفسى ورأيى ، فان أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التى ربما احتيج فيها الى من لا يؤبه له ، فانه لا يكاد يخلو أحــد

---

(١٠) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية — حامد عبد القــادر ص ٥٩ — ٦١ .

(١١) ابن المقفع لمحمد غفرانى الخراسانى ص ٢٨٩ .

وان كان صغير القــدر والمنزلة أن تكون له مزية وان صغرت فان العود المبتور الملقى فى الأرض ربما انتفع به فيأخــذه الرجل تأكله أذنه فيحكها به ، فالحيوان العالم بالضر والنفع أحرى أن ينتفع به)(١٢) •

والفقرة المشار اليها هى : (فالحيوان العالم بالضر والنفع أحرى أن ينتفع به) فقد أثبتها أبو المعالى بينما لم يثبتها الكاشفى فى نسخته •

ويلاحظ الخراسانى أن هــذه الفقرة لا توجــد فى كل من نسخة الأب شيخو وخليل اليازجى فى حين أنها توجــد فى نسخة نائل المرصفى ، واستنتج من ذلك ان الكاشــفى لابد أن يكون قــد اعتمد على نسخة عربية الى جانب نسخة أبى المعــالى لأن هــذه النسخة تختلف عن النسخة العربية التى اعتمــد عليهــا أبو المعالى ، ولست أدرى كيف وصل الدكتور الخراسانى الى كل هذه الاستنتاجات دون الاستناد على دليل منطقى مقنع فلماذا لا يكون الكاشفى قــد أسقط هذه العبارة متعمدا ما دام يهــدف الى اختصار وتهــذيب الكتاب ؟ لا سيما أن حــذف هــذه العبارة لا يخل بالمعنى لانها ليست من العبارات الأساسية بدليل أنهــا لا توجــد فى نسخة الأب لويس شيخو ولا فى نسخة خليل اليازجى •

اننى أرى أن القول بأن الواعظ الكاشفى لم يعتمد على نسخة أبى المعالى وحــدها لمجرد وجود بعض الجمل فى نسخة أبى المعالى وعــدم وجودها فى نسخة حسين الواعظ الكاشفى ، قول غير مقنع تماما ، ولو كان العكس ، لاقتنعنا فلو فرض أن العبارة توجــد فى أنوار سهيلى ولا توجــد فى بهرامشاهى لكان هــذا دليلا مقنعا أن الكاشفى لم يعتمد على نسخة أبى المعالى وحــدها ، وانه اعتمد على نسخة عربية أيضا شريطة أن تكون هــذه العبارة واردة فى بعض النسخ العربية •

والحق أننا ألفنا من الدكتور محمد غفرانى الخراسانى هــذه الأسلوب المتعسف المتسرع فى اصــدار الأحكام ، دون اعتماد على أدلة منطقية مقبولة ، مما يتنافى تماما مع المنهج العلمى الذى يجب أن يتسم بالحيطة والحــذر وعــدم

---

(١٢) باب الأسـد والثور •

اصدار الأحكام العامة ، الا بعد التثبت والتيقن من صحتها وبعد اقامة الدليل عليها :

وقد لاحظت أن الكاشفى يضيف بعض الفقرات التى لا توجد عند أبى المعالى ولا فى النسخ العربية ، ولم أعثر عنده على فقرة واحدة تكون ثابتة فى النسخة العربية وغير ثابتة فى نسخة أبى المعالى ، ومعنى هذا أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون الكاشفى قد اعتمد على نسخة أبى المعالى وحدها ، ثم أضاف اليها من عنده أو من مصادر أخرى ، ولبيان هذه الملاحظة أقدم فيما يلى نص قصة الثعلب والطبل(١٣) عند كل من عبد الله بن المقفع وأبى المعالى نصر الله وحسين الواعظ الكاشفى يقول ابن المقفع :

(زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها ، فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم ، فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظم صوته ، فلما أتاه وجده ضخما فأيقن فى نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه ، فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال : لا أدرى لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة) .

ويروى لنا أبو المعالى هذه القصة فيقول ما ترجمته :

(قال دمنة : يحكى أن ثعلبا دخل أجمة فرأى فيها طبلا ملقى بجانب شجرة ، فكلما تحركت أغصان الشجرة فضربت الطبل فوصل منه الى سمع الثعلب صوت مفزع ، فذهب نحوه ولما شاهد ضخامة جسم الطبل وسمع صوته المدوى ، توهم أن لحمه وجلده بمقدار صوته فجد واجتهد حتى مزق غشاءه تمزيقا ، فلم يجد شيئا وراء هذا الغشاء فأخذ منه الندم كل مأخذ وقال : ما كنت أدرى أنه كلما عظم الجسم وأفزعت الجعجعة قلت الفائدة)(١٤) .

ويروى الكاشفى هذه القصة فيقول ما ترجمته : (زعموا أن ثعلبا كان يجول فى غابة وفى أثناء تجواله فى أطرافها رجاء أن يشتم رائحة الطعام وصل

---

(١٣) احدى القصص الفرعية لباب الأسد والثور .
(١٤) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ص ٤٩ حامد عبد القادر .

الى جـــذع شجرة معلق على أحـــد جوانبه طبل ، فكان كلما هبت الريح تحرك فرع من الشجرة ودق الطبل فانبعث منه صـــوت عظيم ، ورأى الثعلب تحت الشجرة دجاجة تبحث فى الأرض بمنقارها طلبا للغـــذاء فكمن الثعلب لهـــا ، وأراد أن ينقض عليها ، واذا بصوت الطبل يصل الى أذنيه فنظر فرأى جسما فى غاية الكبر ، صوته يخترق السمع فتحرك فى نفسه الطمع ، ودار بخلده أن لحم هـــذا الجسم وجلده لابد أن يكون بنسبة صوته فخرج من مكمنه وتوجه نحو الشجرة ، فأحست الدجاجة بالخطر وفرت هاربة وبذل الثعلب كل ما فى وســـعه من جهد واحتال حتى تسلق الشجرة وجاهـــد جهادا صادقا ، حتى مزق الطبل فلم يجـــد فيه الا جلدا وخشبا ، فاستعرت فى قلبه نيران الحسرة وأمطرت مقلتاه عبارات الندم وقال : واسفاه لقـــد أفلت هـــذا الصيد الحلال من يدى ، وأغوتنى جثة ضخمة كلها هواء ولم أفـــد شيئا مطلقا من هـــذا الهيكل الضخم الحجم العـــديم القيمة :

يصدح الطبـــل كل حين ولكن ... هل يفيد الجوعان صوت جهورى
ليس يرضى اللبيب الا لبـــاب ... ونرى الغر قانعـــا بالقشور(٦٥)

وبمقارنة القصة عند كل من ابن المقفع وأبى المعالى والكاشفى يتضح أن الكاشفى قد أتى بعناصر جـــديدة فى القصة لا توجـــد عند كل من أبى المعالى وابن المقفع ، فهناك الدجاجة وهذه رمز للحقيقة التى كثيرا ما تكون واضـــحة ظاهرة ساطعة ومع هـــذا يتجاهلها الناس ويجرون وراء السراب والأوهام ، وقـــد ختم الكاشفى قصته ببيتين من الشعر يلخصان مغزى القصة وما ترمز اليـــــه .

ووجود مثل هـــذه العناصر فى قصة الكاشفى واختفاؤها من نسختى أبى المعالى وابن المقفع يدل على أنها اضافات من الكاشفى ، ولو كانت ثابتة فى قصة ابن المقفع وغير ثابتة فى قصة أبى المعالى لرجحنا أن يكون الكاشفى قـــد اعتمد على نسخة عربية لكتاب كليلة ودمنة.

وقـــد ذاع صيت كتاب أنوار سهيلى وترجمه على شلبى الى التركيـــــة العثمانية كماسيأتى .

---

(٦٥) الســابق ص ٦٢ .

وقــد طبع كتاب أنوار سهيلى طبعة كاملة مشروحة فى لندن عام ١٨٣٦ م وطبع قبل ذلك أيضا فى آسيا عــدة مرات منها طبعة الهند التى نشرت لأول مرة عام ١٨٠٤ م فى كلكتا ثم طبع مرة ثانية عام ١٨١٦ م ، وطبع أيضا فى مدينة مدراس عام ١٨٢٦ م بتحقيق غلام أشرف وتراب على حسين على ، وطبع كذلك فى بومباى عام ١٨٢٨ م وأما فى طهران فقد طبع الكتاب سنة ١٢٦١ هـ • ونشره محمد باقر خوانسارى وقد ترجمت مقتطفات من كتاب أنوار سهيلى الى الانجليزية والفرنسية كما ترجم الكتاب كله أيضا الى هاتين اللغتين(١٦) •

وفى عام ١٣٧٢ هـ قام الأستاذ على أويس فى طهران بالجمع بين حكايات نسخة أبى المعالى ونسخة حسين الواعظ الكاشفى فى كتاب واحــد ، سماه كليلة ودمنة جــديد فى أسلوب فارسى رصين خال من التكلف والتصنع كمــا وضـــع لأبواب الكتابين عناوين جــديدة •

٤ ــ عيار دانش ــ معيار الحكمة :

وهــو تهــذيب وتبسيط لكتاب أنوار سهيلى وضــعه الأستاذ الشهير (أبو الفضل بن مبارك شاه) وزير امبراطور الهند المسمى جلال الدين أكبر (٩٦٣/١٠١٤ هـ) (١٥٥٦/١٦٠٥ م) ابن ناصر الدين همايون ابن ظهير الدين بابر من أحفاد (تيمور لنك المغولى)(١٧) •

ويقول أبو الفضل فى معرض الحــديث عن السبب الذى دفعه الى تأليف الكتاب ما ترجمته : (ان كتاب أنوار سهيلى وان كان أقرب الى تذوق أهل عصره من كليلة ودمنة (بهرامشاهى) لــ (أبى المعالى) الا أنه مع ذلك لا يخلو من التراكيب العربية والاستعارات الاعجمية ، فرأينا أن نحــذف بعض الكلمــات والجمل ونضع مكانها عبــارات أخرى فى أســـلوب واضح بعيد عن التكلف والتصنع) •

ويشتمل كتاب عيار دانش على ستة عشر بابا ومقدمة ، وهى نفس الأربعة عشر بابا التى ضمنها الكاشفى كتابه (أنوار سهيلى) بالاضافة الى بابين لم

---

(١٦) عبد الله بن المقفع ــ للخراسانى ص ٢٩٠ •

(١٧) القصص الحيوانى وكليــــلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ــ حامد عبد القــادر ص ٦٤ •

يشملهما الكاشفى وهما باب بعثة برزويه ، وباب برزويه المتطبب ، ويذكر أبو الفضل أنه نقل عشرة أبواب مباشرة من أصل هندى اسمه (كرتك ودمنك) •

ويقول أبو الفضل فى مقـدمة كتابه ما ترجمته :

(أنه ليس من المروءة والجميل اهمال ذكر برزويه وبزر جمهر اللذين لهمـا دور كبير فى تأليف كتاب كليلة ودمنة ، فذكرنا البابين الأولين اللذين قـد حذفهما حسين الواعظ الكاشفى ، وذلك تقديرا للجهود التى بذلها برزويه الطبيب للحصول على الكتاب فى الهند ، ولترجمته له الى اللغة الفهلوية ، وفضلا عن ذلك فقـد وجـدنا فى هـذين البـابين كثيرا من المفاهيم العالية ممـا هو جـدير بأن يتنبه له العقلاء والأدباء وخاصة أن اضافة باب برزويه الى أصل الكتاب كانت تلبية لرغبته ، واخلادا لذكره ، فليس من الانصاف حـذف هـذا الباب)(١٨) •

ولمـا كان الكتاب يتسم بالأسلوب السهل البعيد عن التعقيد فقـد أقبـل القراء الايرانيون عليه ، كما قامت المدارس الهندية بتلخيصه وتبسيطه وتدريسه للطلبة الذين يتكلمون الفارسية فى المدارس الهندية وهكذا يعود الكتاب وتصل امتداداته الى مهـده الأول أرض الهند ، بعـد أن رحل الى فارس فالجزيرة العربيـة •

وفى سنة ١٨٠٣ م ترجم كتاب عيار دانش هـذا الى اللغـة الأردية أو الهندوستانية على يد العلامة (مولوى حفيظ الدين) أحـد أساتذة كلية (فورت وليم) التى انشئت بكلكتا فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى برياسة الدكتور جـون جلكريست ، وقـد سميت الترجمـة الأردية (خرد أفروز) أى (منير الافهام) وكان الغرض من هذه الترجمة التى بدأت باشارة الدكتور (جلكريست) أن يكون الكتاب المترجم كتابا للمطالعة فى اللغة الأردية بكلية (فورت وليم) •

وقـد توخى المترجم سهولة الألفاظ ومتانة التركيب ، ولذا جاء كتابه مفيدا لمن يريد تعلم الأردية من مبتدئى الطلاب •

وقـد راج الكتاب رواجا عظيما لم يعهد له نظير وذلك بفضل طابعـه وناشره الكابتن (روبك) •

---

(١٨) كتاب عيار دانش ص ٧ ، ٨ طبعة كنبور عام ١٨٩٤ م •

ولنا أن نتصور الى أن حد بعد كتاب عيار دانش عن الأصل العربى ، فقد تصرف أبو المعالى فى ترجمته ، ثم تصرف الكاشفى فى نقله عن أبى المعالى ، وأخيرا تصرف أبو الفضل فى نقله عن الكاشفى ، ومعنى هذا أن كتاب عيار دانش يبتعد ابتعادا كبيرا عن النص العربى وان احتفظ بالمضمون العام لكتاب كليلة ودمنة العربى .

ولعل هذا ما دفع أستاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة الى القول : (أما التراجم الفارسية الحديثة فمنها ما هو خليق بأن يسمى تأليفا ولا يسمى ترجمة ومن هذه التراجم حقيقة ما عبث بها أصحابها عبثا بعدت به الشقة بينها وبين الترجمة العربية والنسخ المأخوذة عن هذه الترجمة ويظهر أن هؤلاء لم يكتفوا بذلك حتى استبدلوا باسم (كليلة) و (دمنة) أسماء أخرى مخالفة فسماها أحدهم وهو (الكاشفى) باسم (أنوار سهيلى) وسماها آخر وهو (أبو الفضل) باسم (عيار دانش) أو (معيار العلم) وأبقى قليل منهم على اسمهاالقديم رغم أنهم قاموا فى الوقت نفسه بتغيير جوهرى فى أكثر القصص »(١٩) .

وقد طبع كتاب عيار دانش لأول مرة عام ١٨٧٩ فى (كنبور) وجدد طبعه مرة ثانية عام ١٨٩٤ ، ثم ترجم الكتاب الى اللغة الهندية وطبع فى كلكتا تحت عنوان (خرد أفروز) وقدم له الناشر مقدمة باللغة الانجليزية وشرح فيها تاريخ الكتاب كما طبع الباب الثالث من الكتاب طبعة مستقلة فى مدينة بمباى لطلاب مدرسة دار الفنون فى عام ١٩٠٢ م بتحقيق (محمد أردكانى)(٢٠) .

---

(١٩) ابن المقفع ـ عبد اللطيف حمزة ص ٢١٣ .

(٢٠) عبد الله بن المقفع ـ الخراسانى ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

ب ـ الترجمات الشعرية الفارسية للكتاب

وأشهر هـذه الترجمات الشعرية الفارسية للكتاب هى :

١ ـ ترجمة الرودكى :

قام أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى المتوفى عام ٣٢٩ هـ • بنظم الكتاب بأمر من الأمير (نصر السامانى)(٢١) فأعطاه الملك (نصر) ثمانين ألف درهم مكافأة له نظير ذلك(٢٢) •

وكانت منظومة الرودكى أول نظم لكليلة ودمنة بالفارسية الا أنها وللأسف الشديد ضاعت ولم يبق منها عـدا سبعة وثمانين بيتا وردت فى كتب الأدباء والمؤرخين الايرانيين(٢٣) وجميعها من بحر الرمل المسدس المقصور أو المحـذوف وهـو فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن مرتين ، والحـذف يجعل فاعلاتن فى الطرف فاعلن والقصر يحولها فاعلان • ويبدأ الرودكى منظومته بما ترجمته (من لم يتأدب من مرور الأيام فلن يتأدب من أى مؤدب) •

ويقول فى باب الأسـد والثور ما ترجمته :

(قال الأسـد لدمنة : ما هـذا الصوت المخيف المرعب ومن هـو صاحبه ؟ قال دمنة للأسـد : هل راب الملك شىء آخر سوى هـذا الصوت ، وليس من شأن الملك أن يرعبه هـذا الصوت وهـو أعظم هيبة وزئيرا من صاحبه ، ألا ترى أن ماء النهر عندما تشتد قـوة اندفاعه يحطم السد المصنوع من الطـين والحشائش) •

وقـد وردت هـذه الفقرة فى باب الأسـد والثور حيث يقول ابن المقفع على لسان الأسـد : (هـذا الصوت الذى أسمعه ما أدرى ما هـو ؟ غير أنه

---

(٢١) نسبة الى الدولة السامانية وهى دويلة استقلت بخراسان وما وراء النهرين فى عهد الدولة العباسية فى منتصف القـرن الثالث الى أواخر القـرن الرابع الهجرى (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ) •

(٢٢) منتخب كليلة ودمنة ص ٢٧ لعبد العظيم قريب •

(٢٣) عبد الله بن المقفع للخراسانى ص ٢٩٦ •

خليق أن تكون الجثة على قــدر الصوت فان يكن ذلك كذلك فليس مكاننا هــذا لنا بمكان • قال دمنة : هل رابَ الملك شيء غير هــذا ؟ قال الأســد : لم يكن غير هــذا) •

وبالمقارنة بين النصين يتضح أن الرودكي كان دقيقا في نقله من كليلة ودمنة وأنه توخى الأمانة والمحافظة على نقل الجزئيات •

٢ ــ منظومة القانعي :

بعــد مضي ثلاثة قرون على منظومة الرودكي قام بهاء الدين محمود القانعي بنظم آخر لكليلة ودمنة بالفارسية سنة ٦٥٥ هـ ، ويؤخــذ من المقــدمة التي كتبها أنه نظم الكتاب دون أن يطلع على منظومة الرودكي ، وأن منظومته أول نظم للكتاب فيقول ما ترجمته :

(لا يوجــد من كلامي (نظمي) لدى أحــد الا ذلك المجلد المكتوب كليلة ودمنة المنثور ، وقــد مضى منذ تأليف الكتاب فترة من الزمن لم يحاول أحــد فيها أن ينظمه) •

وأنقل هنا بعض الأبيات من منظومة القانعي من أول باب الأســد والثور يقــول القانعي ما ترجمته :

١ ــ سمعت أن الملك قال للبرهمي : ان تدبيرك وذكاءك يحلان المعضلات •

٢ ــ يكون تدبيرك مفتاحا لباب الأسرار ولا يفوقك عقل •

٣ ــ فأضرب لك مثل الصديقين كانا كالروح الواحــدة في جسمين مثل لب واحــد في قشرين : (وهو كناية عن وفائهما في الصداقة) •

٤ ــ كان قلب ولسان كل واحــد منهما مثل السهم في الاستقامة فلا غنــاء لأحــدهما عن الآخر •

٥ ــ قلباهما مفعمان بالمحبة والعــدل ولا يفرحان يوما بدون اللقاء •

٦ ــ ثم تفرق الأيام بينهما بسبب قول النمام اللئيم •

٧ ــ تبدلت الصداقة بالعداوة ودب بينهما الصراع والحقد الشيطاني •

٨ ــ وتمادى الشر بينهما حتى هم أحـــدهما باراقة دم الآخر وأصبح العقل بسبب هـــذا الحقد الدفين عاجزا •

٩ ــ فقال له البرهمى : أيها الملك عندما يسعى النمام بين المتحابين •

١٠ ــ يفترقان من دون شك ولا تسير الأيام على مرادهما •

١١ ــ وينقلب الحب الى نقمة والاحسان الى اساءة •

١٢ ــ واقص الآن لك قصة تمت الى هـــذا المثل بصلة •

ويتبين من النص السابق أن القانعى لم يقيد نفسه بالنص العربى ، وانما خرج عليه وحرف فيه ، وقـــد نظم القانعى منظومته من بحـــر المتقارب المثمن المقصور فعولن فعولن فعولن فعول مرتين •

وتوجـــد نسخة خطية من منظومة الرودكى فى مكتبة حاج حسين أقـــا ملك فى طهران ، كما توجـــد مخطوطة أخرى للمنظومة فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم ٧٧٦٦ ويرجع تاريخ نسخها الى عام ٨٦٣ هـ •

٣ ــ منظومة كلشن آرا (مزين حـــديقة الورد) :

قام « ميرزا عبد الوهاب ايران بور » وهـــو أحـــد الشعراء المحـــدثين فى ايران فى عهد الشاة رضى بهلوى بنظم كتاب أنوار سهيلى وسماه كلشن آرا ، أى « مزين حـــديقة الورد » وقـــد أنجز منظومته فى اثنين وعشرين عاما والمنظومة من بحر الخفيف والسالم المخبون أو المقصور •

ويبدأ الشاعر المنظومة بما ترجمته :

(أنت الاله الذى لا يحيط بك أحـــد ، ولا يشبهك نظير ، تعاليت عن القياس والظن والوهم) •

وهناك نسخة خطية من هـــذا الكتاب محفـــوظة بمكتبة البرلـــمان الايرانى تحت رقم ١١٦٨ ، وجاء ذكرها فى الجزء الثالث من فهرست المكتبة ص ٦٣٠/٦٣١ وهـــو من عمل ابن يوسف الشيرازى •

٤ ــ منظومة شكرستان (مزرعة القصب) :

نظمها خسرو الدارائى سنة ١٣٦٠ هـ ، وقد استغرق نظم الكتاب منه ثلاثة أعوام ونصف ، ويبدأ خسرو الدارائى المنظومة بما ترجمته :

١ ــ وصل الينا هذا الكنز المعنوى من كنوز تراثنا القديم •

٢ ــ وهكذاذكر الحكيم هذه المعانى الرفيعة التى دبجتها براعة البليغ •

٣ ــ كان فى الصين ملك عاقل تقتات الشمس من عتبته •

والمنظومة من بحر الهزج وهذا البحر كما هو معروف لا يأتى فى الشعر العربى الا مجزوءا فيكون وزنه : مفاعيلن مفاعيلن مرتين • وأما فى الفارسية فيأتى مسدسا : (مفاعيلن ست مرات) وقد أتى خسرو الدارائى بمنظومته من هذا البحر المقصور فتصير العروض مفاعلين والضرب مفاعيل •

وقد طبعت منظومة شكرستان فى طهران عام ١٣٦٦ هـ بمطبعة الفردوس •

٥ ــ منظومة رأى وبرهمن أو (كليلة ودمنة منظوم) :

أى ملك الهند دبشليم والبرهمى بيدبا الفيلسوف •

نظمها شاعر الشباب جهاز نبخش بن على أكبر الجمهرى وكانت آخر نظم لكليلة ودمنة فى الفارسية ونشرها عام ١٣٦٣ هـ فى طهران ، وتشتمل المنظومة على ثمانية آلاف بيت من بحر الهزج المسدس المحذوف مفاعلين مفاعيلن فعولن •

ويبدأ الشاعر المنظومة بما ترجمته :

(حمــد الالــه)

١ ــ أفتتح كتابى باسم الاله الذى لا ند له •

٢ ــ الاله الذى لا مثيل له ولا قرين ، وهــو اله السماء واله الأرض •

٣ ــ أوجــد الأشياء من العــدم بقوله « كن » وهــو الذى جعل الذليل عزيزا ، وجعل العظيم حقيرا •

ويقول فى السبب الذى دفعه لنظم الكتاب : (لمـا رأيت أن طلبة المدارس الثانوية الايرانية يرغبون عن قراءة كتاب كليلة ودمنة (بهرامشاهى) ولا يدرسون جميع أبوابه ، ويظنون أن الهــدف من دراسة هــذا الكتاب هــو تعلم طريقة الكتابة الفارسية ، وهم فى غفلة عن المغزى الأخلاقى والاجتماعى للكتاب ، نظمت الكتاب فى أسلوب سهل بعيد عن التعقيد والتصنع على مستوى الثقافة العــامة ليقبل الجيل الناشىء على قراءته وينتفع به الســواد الأعظم من الشــــعب الايرانى(٢٤) •

وقــد اعتمد جهانبخش بن على أكبر الجمهرى فى نظمه على نسخة أبى المعالى كليلة ودمنة بهرامشاهى ، وكان أمينا دقيقا فى نظمه بحيث لم يترك من نسخة أبى المعالى شيئا الا وشمله فى نظمه(٢٥) •

وقــد لفت نظرى عنوان هــذه المنظومة (راى وبرهمن) (ملك الهند والبرهمى) فقــد سمى الشاعر منظومته باسم البطلين اللذين تبدأ بهما جميع أبواب الكتاب • ولم يطلق على منظومته اسم كليلة ودمنة كما هــو مألوف ، على أن هــذا المعنوان الذى أطلقه الشاعر أقرب الى الواقع ، فان كليلة ودمنة لا يتردد اسماهما الا فى البابين الأولين فقط وبعــد هــذا يختفيان تماما • أما الملك والفيلسوف فيظهران فى مقــدمة الأبواب كلها ويتردد اسمهما من أول الكتاب الى آخره ، والأولى أن ينسب الكتاب اليهما لا الى كليلة ودمنة •

---

(٢٤) مقــدمة كتاب راى وبرهمن حرف ك •

(٢٥) عبد الله بن المقفع لمحمد غفرانى الخراسانى ص ٤١٠ •

جـ ـ محاكاة كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى

قام الأدباء الايرانيون بمحاكاة كليلة ودمنة على نحو ما فعل الأدباء العرب ، وساهمت فى ذلك كتب كثيرة أهمها .

(أ) كتاب روضة العقول :

قام محمد بن غازى الملطيوى فى عام خمسمائة وتسعة وخمسين للهجرة بترجمة كتاب مرزبان نامه القديم الى اللغة الفارسية الدرية الذى سبقت الاشارة اليه ، بعد أن هذبه وأدخل تعديلات على أسلوبه وغير عنوانه من مرزبان نامة الى روضة العقول ، وقد أهدى محمد بن غازى كتابه الى أبى الفتح ركن الدين سليمان شاه بن قلج أرسلان ، ويشتمل الكتاب على أحد عشر بابا هى :

١ ـ باب الملك وأولاده .
٢ ـ مناظرة ابن الملك مع وزير أخيه .
٣ ـ أردشير بابكان مع العالم مهرانيه .
٤ ـ مناظرة العفريت المشقق الحوافر مع العالم الدينى .
٥ ـ نهاية المناظرة بين العفريت المشقق الحوافر مع العالم الدينى .
٦ ـ فى ذكر الثعلبين داذامة وداستان .
٧ ـ فى ذكر الكلب الذكى والعنز .
٨ ـ فى ذكر سلطان الأسود وسلطان الفيلة .
٩ ـ فى ذكر الأسد الناسك والدب الجاهل .
١٠ ـ فى ذكر العقاب والصياد والحجل آزاد جهر .
١١ ـ فى ذكر الملك السعيد مع زوجته « يونا » .

وقد نشر المستشرق الفرنسى « ماسيه » مقتطفات من هذه الترجمة ، كما قدم الأستاذ القزوينى مقتطفات من كتاب روضة العقول فى مقدمته لكتاب « مرزبان نامه » ترجمة سعد الدين الوراوينى ومنها قصة الفلاح والمعبر وتقول :

(هكذا سمعت أن فلاحا رأى فى نومه أن حديقة كانت مغلقة ، وانسان عينه مغلولا ، فلما أفاق من ذلك الحلم واكتحل بصره ، من ذلك التهويم بيد

اليقظـــة جاء فى الحال الى معبره وشرح له قصة ما رآه فى النــوم فقال المعبر : اعطنى درهمين حتى أعبر ذلك على أصلح وجه ، فأعطاه الفلاح درهمين فقال المعبر : سيفتتح فى خميلة حـــلالك عـــود الجمـــال ، وتثمر شجرة مودتك ثمرة الميلاد ، وعاد الفلاح الى بيته فوجـــد أن برعـــومة السرورة قـــد تفتحت فى النسيم الطلق ، وفى مرة أخرى أصيبت قـــدم الفلاح بأذى ، فجاء الى الحكيم وعرض عليه أحوال تفجع قـــدمه فقال له الحكيم : ادفـــع درهمين لأشرح لك وسائل العلاج ، فأعطاه الفلاح درهمين فقال لـــه الحكيم : اذهب واربط عليه الية ففعل الفلاح ذلك ، فاندملت قرحته ، فقال الفلاح لنفسه : ان هـــذه الحرفة خير من حرفة مكابدة الزراعـــة وتحمل حرارة الهواجر ، ومعاناة الحراثة ، فاحترف التعبير بعـــد اليوم ، وأرحب بكل انسان بمختلف الوسائل حتى اصل بتلك الوسيلة الى المراتب العليا والمطالب القصوى ، فلما استقر رايه السخيف على تلك العزيمة باع آلة الحراثة واشترى أدوات المعبرين ، جلس على طرف دكـــة ، واتفق أن خصيا ذا منزلة شريفة ، ومكانة متينة ، رأى رؤيا قـــد انشغل خاطره من هولها ، فرآه جالسا على طرف طراف فقص عليه رؤياه ، فقال الفلاح : ادفع درهمين لا عبر رؤياك ، فأعطاه الخصى درهمين ، وقال له الفلاح : سترزق ولدا ، فتبسم الخصى وقال له : اننى مجبوب ، منقطع النسل ، فقال له الفـــلاح : اذا تطلبت صـــدق المقال فادفع درهمين آخرين لأظهر لك صورة اليقين من حجاب الارتياب ، فأعطاه الخصى درهمين آخرين فقال لـــه : اربط على قـــدميك الية ، فاصبح الخصى فى نهاية الضجر وغاية الحيرة واشار بلومه وتوريطه ، ففر الفلاح خائبا خائفا وهـــو يقول :

من تحلى بغير ما هـــو فيـــه   فضـــحته شـــواهد البرهـــان

وهـــذه القصة تشبه فى مغزاها قصة الغراب والحجل(٣٦) وفيها يقول ابن المقفع : (زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشى فأعجبته مشيتها ، وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقـــدر على احكامها ، وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التى كان عليها فاذا هـــو قـــد اختلط وتخلع فى مشيته واصبح أقبح الطير مشيا) .

---

(٣٦) احـــدى قصص باب الناسك والضيف فى كليلة ودمنة .

وتوجد نسختان مخطوطتان لكتاب روضة العقول احداهما فى مكتبة ليدن والثانية فى المكتبة الأهلية بباريس •

٢ — كتاب مرزبان نامة الجديد :

بعد نحو عشرين عاما من ظهور روضة العقول ظهرت ترجمة أخرى لكتاب مرزبان نامه القديم باللغة الفارسية الدرية قام بها سعد الدين الوراوينى وقد قدمها بعنوان « مرزبان نامه » نفس العنوان الذى كان يحمله الأصل الأول الذى ظهر فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد أهدى الوراوينى الكتاب الى الأتابك بن محمد بن ايلدكز(٢٧) ويشير سعد الدين الوراوينى فى مقدمة كتابه الى الكتب التى ألفت قبله فى الخرافات الحيوانية ، ويضع كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع فى مقدمة هذه الكتب فيقول :

(وقفت على بعض كتب للأسماء والقصص مؤلفة فى أسلوب رصين مهذب ، ومتحلية بعبارات رقيقة مستعذبة مثل كتاب « كليلة ودمنة » الذى هو أذليل مرصع بغرر اللالىء ودرر المتلألىء قد توج رءوس ذوى المفاخر فى البراعة ، وكتاب « سندباد نامه » وكتاب « مقامات الحميدى » و « رسائل منتخب البديعى » وكتاب « عتبة الكتبة » وكتاب « فوائد القلائد » وكتاب « ذرة الشارق »)(٢٨) •

ويشتمل كتاب مرزبان نامه لسعد الدين الوراوينى على تسعة أبواب هى :

١ — فى تعريف الكتاب وذكر مؤلفه وسبب وضعه •
٢ — فى ذكر الملك السعيد الذى أوصى أولاده عند موته •
٣ — فى ذكر الملك أردشير والعالم مهرانيه •
٤ — فى ذكر العفريت المشقق الحوافر والعالم الدينى •
٥ — فى ذكر أحوال الثعلبين داذمة وداستان •
٦ — فى ذكر الكلب الذكى والعنز •
٧ — فى ذكر الأسد وسلطان الفيلة •

---

(٢٧) احد امراء أذربيجان (٦٠٧ — ٦٢٢ هـ) •
(٢٨) مرزبان نامه ص ٣١٢ طبعة ليدن تحقيق القزوينى •

٨ ـ في ذكر الجمل والأسد الناسك .
٩ ـ في ذكر العقاب والحجلتين .

وهناك اختلاف واضح بين كل من مرزبان نامه الجديد لسعد الدين الوراويني وكتاب روضة العقول لمحمد بن غازي من حيث عدد الأبواب وترتيب الحكايات الفرعية في كل باب ، كما وردت حكايات كثيرة في روضة العقول لا يوجد لها أي ذكر في مرزبان نامه ، أما الذي يجمع بين الكتابين فهو التأثر الواضح في كل منهما بكتاب كليلة ودمنة من حيث الخصائص الفنية كالاستطراد وتداخل القصص بعضها في بعض ، ومن حيث المضمون حيث يوجد في كل منهما حكايات مقفعية كثيرة في مضمونها ، ومن ذلك التشابه بين دادمة وداستان في كل من مرزبان نامه وروضة العقول ، وهما من فصيلة ابن آوى مع الثعلبين كليلة ودمنة عند ابن المقفع ، فأحدهما حريص على الوفاء للملك مخلص له ، والثاني على النقيض من ذلك تماما . ولذا يغضب عليه الملك ويلقى به في السجن ، ونجد التقاء كذلك بين كل من روضة العقول ومرزبان نامه الجديد ، وكتاب كليلة ودمنة في الصور المتنوعة للفتن والدسائس التي يحيكها رجال حاشية الملك ، والخطط الدنيئة التي يدبرها بعضهم ضد البعض من أجل التقرب الى السلطان .

كما يلتقي مرزبان نامه الجديد مع كتاب كليلة ودمنة في قصة الوزير مع ملك خسرو في مرزبان نامه ، وقصة ايلاذ الوزير مع الملك بيلاذ في كليلة ودمنة .

ففي كل من القصتين نجد ملكا يغضب على زوجته ويأمر وزيره بقتلها فيمتثل الوزير للأمر في الظاهر ، بينما لا ينفذ الأمر في الواقع بل يبقى على الزوجة ولا يقتلها ، ثم يندم الملك على قتل الزوجة بعد ذلك فيكشف له الوزير النقاب عن موقفه فيغتبط الملك ويقربه اليه .

ومن نقاط الالتقاء بين مرزبان نامه وكليلة ودمنة جو الزهد الذي يسود بعض القصص في كل الكتابين والامتناع عن أكل اللحم . وهذه كلها مبادىء هندية في أصلها وان كانت قد انتقلت فيما بعد الى الفارسية ، وذلك عن طريق نقل هذه القصص من الهنديه السنسكريتية الى اللغة البهلوية الساسانية .

فنحن نجد في مرزبان نامه الأسد الناسك الذي يحرم على نفسه أكل اللحم على نحو ما نجد في كتاب كليلة ودمنة في باب ابن آوى الناسك ، حيث يحرم

ابن آوى على نفسه أكل اللحم ، وكذلك فى باب اللبؤة ، والأسوار والشغبر حيث تجرم اللبؤة على نفسها أكل اللحم بعد أن فجعت فى شبليها ، ويروى لنا كتاب مرزبان نامه قصة الأسد الناسك فيقول :

(قال ابن الملك : سمعت أنه كان أسد متميزا عن سائر الوحوش والضوارى بقلة الأذى والورع ، ومتحرزا عن التعرض لضعاف الحيوانات ، وكان ملكا وآمرا على الجميع ومتوطنا غابة كأنما زرعت أشجارها من أغصان دوحة طوبى ، وأعطى مذاق فواكها من نهر العسل الفردوس الأعلى ، وقد جثمت الطيور على نوافذ أغصانها فارغة البال من مقاذف الآفات كالنسر والدجاج على شرفة هذا الصرح الزمردى ، والغزلان ترعى فى مراتع خمائله الخضر آمنة من انطلاق سهام الحوادث مثل الجدى والحمل فى علياء هذا المرج النيلوفرى ، لم يصل أحد الى قاص أودان من قطوف أشجارها ، وقد كف الزمان يد الجانى عن تعرض مجانى ثمارها ، وقد بقيت نخيلها وأعنابها بخاتم بكارتها كالكواعب الأتراب ، ولم ير رمان نهدها وتفاح ذقنها من كوة نافذة الأغصان غير الشمس والقمر ، ولم يرفع شفير صفحة الأوراق عن فستق شفاهها ولوز عيونها غير الشمال والصبا ، ولم تصل أسنان الطامعين الى شفاه أترجها وعنق نارنجها ، ولم تخطف أيدى المتناولين من وجهها الأزرق وعارضها التفاحى ولم ير عنابها عناء ولم يسمع عتابا :

فاخضل من سقياه كل مفرج	واخضر من رياه كل مصنفة
وتلثمت شمس النهار ببرقع	من طرتيه والسماء بمطرفة

وكان للأسد من أبناء آوى نديمان وأنيسان ذكيا الطبع وخيرا المحضر بهيا المنظر ، يدعى أحدهما « دادمة » والآخر « داستان » وقد نال كلاهما دون سائر خواص الخدم مرتبة التقدم بمزيد القربة وصارا مشيرى وصاحبى أسرار المملكة ، وكان دب وزيرا للأسد وهو فى خوف دائم من أن هذين الرفيقين الضئيلين اللذين صار اليهما مرجع جسام الأمور يتصديان له يوما بالتعرض لمنصبه ويفسدان عليه أمر الوزارة وقال :

فلا تحقرن عدوا رماك	وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب	وتعجز عما تنال الابر

فــلا جرم أنه كان يحسد عليهما علو مقامها ومنزلتهما ، وكان دوما يقــول لنفسه ينبغى أن أتدبر وسيلة هــذا الأمر ، وأن أقف على ذريعة أبعــدهما بها عن عناية الملك ، وأفسد ما بينهما بحيث لا يمكن لانثلامه اصلاح والتئام ، وكان الملك ذات يوم قــد اتكأ مستريحا على معهود عادته واستغرق فى نومه ، وقــد جلس دادمة وداستان عند رأسه يتسامران ، وينفثان عن سحر سكر نوم الراحة ، وفى أثناء ذلك انطلق ريح من الملك فاذا بـ « دادمة » يضحك ضحكة عالية أحسها سمع الملك فاستيقظ ، وبقى فى مكانه ــ مضجعه ــ متناوما متصامما يتظاهر بالنوم حتى يسمع ما يدور بينهما من الحــديث فقال داستان لصــديقه : لم تضــحك من الملك ؟ هل رأيت واقعة مشينة أو ظاهرة شنيعة صــدرت عن الملك فعلام هــذه الضجة الباردة والسخرية المنكرة ؟) •

ونستخلص من هــذه القصة أن الكاتب يقلــد ابن المقفع ويحاكيه من قرب فموقف الدب من الثعلبين فى هــذه القصة يشبه تماما موقف دمنة الخبيث من شتربة فى باب الأســد والثور عند ابن المقفع وموقف دستان من دادمة يشبه موقف كليلة من دمنة الى غير ذلك من أوجه التشابه بين الحكايتين فى الخصائص الفنية والمضمون لحكايات كليلة ودمنة •

٣ ــ كتاب موش وكربة (حكاية الفار والقط)

وهى منظومة من خمسة وتسعين بيتا ، ألفها شاعر ايرانى ساخر اسمه عبيد الزاكانى وهــو شاعر حــديث ، وموضوع المنظومة مناظرة دينية بين القط والفار ، وقــد اتبع الزاكانى فى منظومته أسلوب ابن المقفع من حيث تداخــل القصص وبدئها بالتساؤل والاستفهام •

وتشتمل المنظومة على تسع حكايات فرعية وهى :

١ ــ قصة الرجل الذى كان يحاول أن يسبق الرسول الكريم صلى الله عليه وســلم بالتحيــة •

٢ ــ قصة قاطع الطريق الذى رآه أحــد الصالحين فى النوم بعــد وفاته •

٣ ــ قصة طالب العلم والفئران التى كانت تقطن فى حجرته وتفسد عليــه عيشه وتغير بين حين وآخر على كتبه وطعامه •

٤ ـ قصة سارق أكفان الموتى الذى ذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم يريد التوبة على يده •

٥ ـ قصة البوم واستماعه للمناظرة التى دارت بين شجرة الصفصاف وشجرة النارنج وشجرة الترنج •

٦ ـ قصة تفاؤل القط والفأر بديوان حافظ الشيرازى •

٧ ـ قصة ملك بخارى وغرام ابنته بابن أخيه وكانا قد تعاهدا على أن يرفض كل منهما الزواج بالغير •

٨ ـ قصة الرجل الذى ذهب الى مدينة (أصفهان) ومعه قطيع من الغنم يريد بيعه •

٩ ـ قصة سفر أحد أوباش العراق الى خراسان •

وقصص الكتاب الفرعية بعيدة كل البعد عن فابولا الحيوان كما يبدو من عناوينها ولكن القصة الرئيسية التى تضمها وتربط بينها جميعا وهى قصة القط والفأر تعد فابولا حيوانية ، حيث تقوم المناظرة على لسان كل من القط والفأر ، وتجىء القصص الفرعية من خلال هذه المناظرة ، ومن الأمثلة على ذلك :

(وقال القط للفأر : ان للصلاة شروطا كثيرة ، ومن جملة تلك الشروط التوحيد والاخلاص وخلو القلب من الشرك والشريك والعناد والحسد ، وأن تتوجه الى جناب الاله الاقدس بالقلب الطاهر لئلا يكون مثلك كمثل التركى الذى كان يبكى فى حضرة الواعظ •

قال الفأر : كيف كان ذلك ؟ بين لنا حتى نستمع • قال القط : زعموا أن تركيا دخل مدينة وبينما هو يمر فى حى من أحيائها اذ هو أمام مسجد فيه واعظ وكان الواعظ يعظ الناس بمواعظ يعجز أهل العلم عن فهمها وادراكها وعلى الرغم من عدم فهم التركى لهذه المواعظ أخذ يجهش بالبكاء بصوت جهورى حزين مما جعل أنظار الناس تلتفت اليه فسألوه : لم تبكى ؟ ولأى سبب هذا التشنج ؟ فقال : أيها الاخوة لى قطيع من الغنم يرعى فى حدود البلاد ، وبين هذا القطيع معزة أعزها كثيرا ومضت على مدة طويلة فى هذه المدينة دون أن أراها ،

ولما رأيت الواعظ ذكرني بلحية معزتي التي تشبه لحيته ، وتمثلت معزتي في خاطري ، فأهاج ذلك شجوني ، فهذا هو سبب بكائي الذي استولى علي) .

وهدف الكتاب كما يظهر الوعظ والارشاد الديني بطريقة هزلية ساخرة بأسلوب رمزي تلميحي حتى تكون في بعد عن جفاف الموعظة المباشرة التي تؤدي بأسلوب صريح ظاهر .

ثم أن تقديم النصح على لسان الحيوان وبهذا الأسلوب في حد ذاته حث على اتباعه وتطبيقه في المجتمع البشري ، فاذا كانت الحيوانات تعظ على هذا النحو وبهذا الأسلوب الرفيع فأجدر بالانسان أن يتعظ حتى لا يكون أقل من هذه الحيوانات الحكماء .

وقد ذاع صيت هذه المنظومة في ايران ورددها الصغار والكبار حتى بلغت مكانتها في الأدب الشعبي الايراني ، مكانة سيرة أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد والظاهر بيبرس في الأدب الشعبي العربي .

ويستهل الشاعر منظومته بقوله :

ان كان لديك عقل ومعرفة وذكاء — فتعال استمع الى قصة القط والفأر

لاقص عليك قصة عجبا — تظل مبهورا بمعناها

ويختم المنظومة بقوله : يا بني اتعظ بهذه الحكاية لتصبح في الحياة فرحا مبتهجا ، اقرأ حكاية الفأر والقط وتفهم مغزاها يا نجي الروح .

وأورد فيما يلي نصا من هذه المنظومة يحكي لنا فيه الزاكاني موقف القط بعد أن التهم الفأر الذي كان قد أعد له كمينا لاصطياده في الخمارة ، يقول الزاكاني ما ترجمته :

(شبع القط ومسح فمه بلسانه وخرج من الخمارة الى المسجد ، فتوضأ وأخذ يتلو الأوراد كأنه من أهل الصلاح الزاهدين ، ثم صار الى المحراب فجلس واستغفر ربه وتاب وأناب ، وأقسم ألا يأكل فأرا بعد ذلك ، وأخذ يدعو ربه نادما على أكله الفيران الضعفاء نادرا ، منين من الخبز صدقة وتكفيرا

عن ذنبه ، ثم أخـذه الورع وتملكته التقوى فأجهش بالبكاء ، وكان وراء المحراب فأر استرق السمع فأعجبه ما سمع من القط وراح يبشر اخـوانه بندم القط وتوبته ويحـدثهم عن وضوئه وصلاته ودعائه ، وأنه أصبح مسلما عادلا يؤدى الفرائض ويخشى الله • وفرح الفئران بما بشرهم صاحبهم به وأخـذوا يفكرون فيما يعملون لهـذا القط الذى اهتدى جزاء محبته لهم فأجمعوا على أن يرسلوا سبعة من زعمائهم ليعبروا له عن صادق مودتهم وخالص وفائهم •

وحمل كل منهم من الهـدايا والتحف أشكالا وألوانا ، وسار الوفـد الى حيث القط فوضعوا أمامه هـداياهم المتعـددة من العنب والتمر والجبن واللبن والزبد والخبز والأرز واللحم المشوى وعصير الليمون ، وتقـدم رئيسهم فأعرب للقط عن اعجاب الفئران بسلوكه وهـدايته ، ثم قال : انه حضر مع اخوانه بهذه الهـدية عرفانا بالجميل ومبادلة للصداقة والولاء ، وكان القط قـد أمضى أياما فى الصلاة والعبادة صائما عن أكل الفئران فلما رأى وفـدهم قـد جاء عنده طائعا مختارا ، تبسم ورفع رأسه للسماء وقال : [حقا ينزل الله لكم من السماء رزقا] وقد رزقه ربه جزاء صبره وعبادته ، ثم نظر الى الفئران السبعة قائلا : (تقدموا أيها الرفاق فانا تربطنا منذ اليوم أوثق الصلات) •

وتقدمت الفئران مرتعـدة فرائصهم لا تكاد أرجلهم تحملهم وأقبـل القط يستقبل ضيوفه متئد الخطى ثابت النظرات هادىء النفس حتى اذا صار منهم على مسافة قصيرة قفز فأمسك خمسة منهم فى كل مخلب من مخلبيه اثنـان ، وفى فمه واحـد ، وأما الفأران الباقيان فقـد ملئا رعبا وذعرا ووليا هلعين لأن القط قد عاد الى طبعه وسارا الى الفئران ينبئانها بما جرى)(٢٩) •

وربما يكون الزاكانى قـد تأثر فى قصته هـذه بقصة الأرنب والسـفرد والسنور(٣٠) فى كليلة ودمنة ونقاط الالتقـاء بين القصتين تتمثل فى تظاهر السنور بالتقوى والورع حتى يخـدع السفرد والأرنب فى قصة كليلة ودمنة والفئران فى قصة الزاكانى بمظهره التقى الورع فتطمئن اليـه وتدنو منه ولكنـه ينقض عليها بغتة ويفترسها •

(٢٩) حكايات فارسية ص ١٥٤ ، ١٥٥ للدكتور يحيى الخشاب طبعة القاهرة •
(٣٠) ارجع الى نص القصـة •

٤ — كتاب بند أهل دانش وهــوش بزبان كربه وموش :
(Boileau)

أى الموعظة لأهل المعرفة على لسان القط والفأر •

ألفه بهاء الدين العاملى فى القرن العاشر الهجرى ، وموضوع الكتاب مناظرة دينية بين القط والفأر على نمط الكتاب السابق ومن خلال هــذه المناظرة يسرد المؤلف القصص الفرعية ، كما يستطرد فى ذكر الأمثال والحكم والمواعظ على نمط كليلة ودمنة •

وتتحقق فى الكتاب الخصائص الفنية لكتاب كليلة ودمنة ، ومنها الاستطراد فى سرد القصص وبدء القصة بعبارة (جكونه بودآن) أى كيف كان ذلك • ثم تتلوها عبارة (أورده آند) أى (زعموا أن) •

وتتكرر هــذه العبارة الأخيرة فى بداية كل قصــة حتى أن بعض النقــاد الايرانيين أطلقوا على الكتاب اسم (زعموا أن) وهــو نفس العنوان الذى أطلقه عبد الرحيم ثرة على منظومته •

ويتشابه الغرض الذى يذكره العاملى من تأليف كتابه مع الغرض الذى يذكره ابن المقفع •

يقول العاملى ما ترجمته : (أيها الأعزاء لا تحسبوا أن مناظرة الفأر والقط انما هى لهو وهراء ، بل ان الفأر هــو نفوسكم الأمارة التى تحاول أن تتخلص من سلطان العقل بالمكر والخــديعة وان تتبع الشيطان لتفسد فى الأرض) •

ومأشبه قوله هــذا بقول ابن المقفع فى باب عرض الكتاب حيث يقول : (يجب على قارىء هــذا الكتاب كليلة ودمنة أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن أن نتيجته انما هى الاخبار عن حيلة بهيمتين ، أو محاورة سبع لثور ، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود) •

وقــد بدأ العاملى كتابه بقوله : (زعموا أن فأرا أبيض حصيفا كان يقطن فى موضع مستمتعا بالعزلة ، فاذا بقط دخل جحره ، فارتبك الفأر وأخــذ ينظر اليه خلسة ويتأوه حرقة من قلبه ، فاغتاظ القط وقال له : أيها اللص الشرير

لم هـذا التأوه ؟ وما الذى شاهدته منى حتى نسيت التحية على ؟ فأجاب الفأر قائلا : أيها الأمير العظيم سألتنى سؤالا طريفا أعجز عن جوابه ، لأنه لن يرى ولن يسمع أحد أن يحيى مخلوق ملك الموت حين يهم بقبض روحه) .

وما أشبه هـذا بقول ابن المقفع فى باب الجرذ والسنور حيث يقول على لسان كل من الجرذ والسنور :

(ثم ان الجرذ خرج بعـد ذلك وكره أن يدنو من السنور فناداه السنور : ايها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندى ، ما منعك من الدنو الى ؟ لأجازيك بأحسن ما أسـديت الى ، هلم الى ولا تقطع اخائى فانه من اتخـذ صديقا وقطع اخاه وأضاع صـداقته حرم ثمرة اخائه وأيس من نفسه الاخـوان والأصدقاء ، وان يدك عندى لا تنسى وأنت حقيق أن تلتمس مكافأة ذلك منى ومن اخـوانى وأصـدقائى ، ولا تخافن منى شيئا ، واعلم أن ما قبلى لك مبذول . ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال ، فناداه الجرذ : رب صداقة ظاهرة باطنها عـداوة كامنة وهى أشـد من العـداوة الظاهرة ، ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذى يركب ناب الفيل المغتلم ، ثم يغلبـه النعـاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه ويقتله . وانما سمى الصـديق صـديقا لمـا يرجى من نفعه وسمى العـدو عـدوا لمـا يخاف من ضرره ولا أعلم لك قبلى حاجة الا أن تكون تريد أكلى ، ولا أعلم لى قبلك حاجة وليس لى بك ثقـة ، فانى قـد علمت أن الضعيف المحترس من العـدو القوى أقرب من السلامة من القوى اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه) .

ونقاط الالتقاء بين القصتين : السنور الذى يحاول أن يخـدع الجرذ ويجعله يقترب منه حتى ينقض عليه ويلتهمه ، ولكن الجرذ يكون على حـذر ، فلا يخـدع بالحـديث العـذب والوعود المعسولة التى يبديها له السنور ، ولذا ينجـو ويسلم ولا يصيبه ما أصاب الجرذ فى كثير من القصص السابقة عندما اغتر بوعود السنور الزائفة ، وكلامه المنمق المعسول ، وكانت النتيجة أن التهمه السنور التهاما دون شفقة أو رحمة .

وأورد فيما يلى عناوين الحكايات التى يجرى حوارها على لسان القط والفأر فى كتاب بند أهل دانش وهوش بزبان كربه وموش .

١ — قصة الرجل الذى كان يحاول أن يسبق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالتحية •

٢ — قصة قاطع الطريق الذى رآه أحد الصالحين فى النوم بعد وفاته •

٣ — قصة طالب العلم والفئران التى كانت تقطن فى حجرته وتفسد عليه عيشه وتغير بين حين وآخر على كتبه وطعامه •

٤ — قصة سارق أكفان الموتى الذى ذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم يريد التوبة على يده •

٥ — قصة البوم واستماعه للمناظرة التى دارت بين شجرة الصفصاف وشجرة النارنج وشجرة الترنج •

٦ — قصة تفاؤل القط والفأر بديوان حافظ الشيرازى •

٧ — قصة ملك بخارى وغرام ابنتيه بابن أخيه وكانا قد تعاهدا فى الصبا أن يرفض كل منهما الزواج بالغير (وهى أطول حكايات الكتاب) •

٨ — قصة الرجل الذى ذهب الى مدينة أصفهان ومعه قطيع من الغنم يريد بيعه •

٩ — قصة سفر أحد أوباش العراق الى خراسان •

١٠ — قصة الثعلب وهو يستهوى كعادته كسر الرمان واتلافه •

١١ — قصة الشيخ الذى يلتمس من الناسك أن يدعو الله ليرزقه ولدا من امرأته الحامل •

١٢ — قصة أحد مشايخ خراسان وأحد مريديه الذى يدعى (مجد الدين) •

١٣ — قصة الشيخ الذى يحاول أن يظهر أمام أصحابه وأتباعه بمظهر صاحب الكرامة •

١٤ — قصة القط والأسد والحطاب •

١٥ — قصة مغامرات بهلول مع أحد أئمة المعتزلة فى بغداد •

١٦ — قصة التاجر واللص •

١٧ — قصة مراهنة السلطان (محمود الغزنوى) ووزيره (حسن الميمندى) حين سأله : هل هناك انسان لم يأكل الفالوذج قط ؟ فهو يرد على الملك بامكان العثور على شخص لم يتذوق الفالوذج •

١٨ — قصة الرجل التركى والواعظ •

١٩ — قصة الرجل الكريم وامرأته البخيلة التى تكره نزول الضيف فى بيت زوجهـا •

٢٠ — قصة ابراهيم النبى عليه السلام وجماعة من المجوس حيث دعاهم لتناول الطعام على مائدته •

٢١ — قصة لوم الصحابة لضيف نزل فى بيت الرسول صلى الله عليـه وسلم ثم لم يحافظ على نظافة فراشه •

٢٢ — قصة اعتذار مختار بن أبى عبيدة الثقفى ليزيد بن معاوية من محاربة الحسين بن على بحجة كسر ساقه •

٢٣ — قصة الشيطان وهـو يفكر فى اغـواء بنى آدم ويلتمس الوسائل الى أن استقر رأيه على أن المرأة هى الوسيلة الناجحة لهـذا الاغـواء •

٢٤ — قصة التاجر وقاضى مدينة (غزنين) •

٢٥ — قصة الرجل وامرأته السيئة الخلق التى تدعى أن القط أكل اللحم •

٢٦ — قصة الشريكين اللذين كانا يبيعان خريزة •

٢٧ — قصة صيد الظبى عند الهنود وصيد الحمام عند أهل العراق •

٢٨ — قصة أمير خراسان والدراويش •

٢٩ — قصة مؤدب الصبيان الذى غادر بلدته بحثا عن العمل •

٣٠ — قصة ملك الروم وخادمه الكيس الذى أرسله الى بلاد الهند للتجارة •

ويتضح من استعراض عناوين حكايات الكتاب أن العاملى قـد تناول فى كتابه الحكايات التسع التى تناولها الزاكانى ثم أنه أضاف اليها احـدى وعشرين قصـة •

وأسوق فيما يلي نص قصة التاجر وقاضي مدينة غزنين وفيها يقول العاملي ما ترجمته(٣١) .

(لا تجبني كلما سألتك بالمكر والخديعة والتفكير الملتوي والمعوج ، ولا تجادلني لعل باطن شرع الأنور يأخذ بيدك في النهاية لئلا يكون مثلك مثل قاضي غزنين الذي ابتلاه الله بحسن الميمندي بسبب خبث باطنه وسوء نيته حيث كان يضمر لجاريه تاجر شرا . قال الفأر : يا سيدي القط كيف كان ذلك ؟ بين لنا .

قال القط : زعموا أنه كان في عهد السلطان محمود الغزنوي تاجر له جارية حسناء رائعة الجمال ولم يكن يفارقها برهة ، ومضت على تلك الحال مدة حتى اضطر التاجر يوما الى السفر فقال لنفسه : لو أخذت جاريتي معي لكان من الصعب المحافظة عليها من زملائي في الرحلة وغيرهم ممن ليسوا محارم لها وبعد تفكير طويل ، رأى أنه ليس أمامه سبيل الا أن يسلم الجارية لقاضي المدينة الذي نال منصب القضاء بدينه وأمانته وصلاحه كما لا سلطان للملك عليه واستقر رأيه على ذلك فذهب الى بيت القاضي وأودع عنده الجارية وسلمه مبلغا من الذهب والمال لنفقتها ثم توجه الى السفر ، فدعا القاضي الجارية ذات يوم وقال لها : ان التاجر قد وهبك اياي وأنت الآن ملك لي ، فردت عليه الجارية قائلة : أيها القاضي من العجب أن يورط الرجل العاقل نفسه لأجل أمر تافه يسير ، فيقع في ذنب عظيم وأن يرتكب عملا يجلب له العار في الدنيا والآخرة .

قال القاضي : ما هو الذي يسبب الخسران في الدنيا والآخرة ؟

قالت الجارية : انك تدعي أن التاجر قد وهبني اياك فلو كان هذا صحيحا لما كان يوصيك بي في مواجهتي ويعطيك مصاريف النفقة والكسوة ، وهذا الأمر واضح لي ولك ، والحق يشهد على أنك كاذب فيما تدعيه . وقد قال رب العالمين في شأن الكاذبين : (ان الله لا يحب الكاذبين) والذي حملك على الكذب انما هو نيتك السيئة التي سولت لك الخيانة وقال الله عز وجل في شأن الخيانة : (ان الله لا يحب الخائنين) ويبدو انك لا ضمير لك يردعك من هذه الصفات والأخلاق الذميمة ولا تحترز عنها .

---

(٣١) عبد الله بن المقفع ـ الخراساني ص ٥٤٣ : ٥٤٥ .

قال القاضي : وما هى تلك الصفات ؟

قالت الجارية : ان الله حاضر وناظر وشاهد وعليم بأسرار جميع الخلائق ، وهـو يعلم أنك تريد الشر وتضمر الخيانة مع امرأة مثلى ينقصها العقل ويعجزها التدبير ويعوزها المعرفة ، وليس لها ناصر ولا تملك الاختيار ، فبماذا يمتاز العالم عن الجاهـل ؟) .

وهكذا يستمر الحوار بين الجارية والقاضي (ثم مرت الأيام وعاد التاجر الى المدينة وذهب الى القاضي بهـدايا وفيرة وطلب اليه أن يحـدد له موعـدا ليعيد اليه جاريته ، فماطله القاضي وبعـد لأى شـديد استقبله القاضي ورحب به وهنأه بسلامة العودة ، ثم فاجأه قائلا : ان الجارية خرجت من البيت ذات يوم الى الحمام ولم تعـد ، وسمعت بعـد ذلك أن فتوة الحى قتلوا امرأة عاهرة ثم تبين أنها هى جاريتك .

وييئس التاجر من القاضي فرفع الى السلطان محمود مظلمة يستغيث به فيها .

فاستدعى السلطان القاضي واستجوبه أمام التاجر فزور القاضي وثائق وشهودا تفند دعوى التاجر ، فأمر السلطان محمود بانصرافهما لعـدم توافر أدلة قاطعة تثبت ادانة القاضي الى أن خرج السلطان محمود ذات ليلة من قصره يتجول فى المدينة متنكرا كعادته ، فبينما هـو يسير فى حى من أحيائها اذا جماعة من الأوباش يتقامرون ويلعبون لعبة الأمير — وهى لا تزال من الألعاب المعروفة فى مقاطعة خراسان — وسخر بعضهم من السلطان محمود فى حكمه بين القاضي والتاجر حين فاز أحـدهم بلقب الأمير ، وكان السلطان محمود واقفا يستمع الى حـديثهم ، ثم انصرف وعاد الى قصره فورا واستدعى لمقابلته الشخص الذى كان يسخر منه ، وسأله عما قاله فى حق السلطان فأخبره الشاب بأن الجارية ما تزال تعيش وهى مسجونة فى بيت القاضي ، وانه على استعداد لو كانت فى يده سلطة أن ينتزعها من القاضي ويعيدها الى التاجر ، فمنحه محمود السلطة فى مدينة غزنين لمدة ستة أيام .....) .

وهـذه القصة تشبه الى حـد كبير قصة مغامرات الحسن التى وردت فى كتاب ألف ليلة وليلة مع الخليفة هارون الرشيد الذى كان يتجول فى بعض الأحيان متنكرا فى أحياء مدينة بغـداد ، ونحن نعلم أن حكايات كتاب ألف ليلة وليلة ذات طابع هندى تشبه بدورها حكايات كليلة ودمنة فى خصائصها الفنية ، وخاصة

تلك التى يجرى الحوار فيها على ألسنة الحيوانات ، وهى رموز لشخصيات تتحرك وتتكلم أمام القارىء كما رأينا فى حكايات كليلة ودمنة •

ومن ثم لا يستبعد الباحث أن تكون هـذه الحكايات قـد اقتبست من كتاب كليلة ودمنة أو تأثرت به من ناحية المضمون والأسلوب •

ويذكرنا مدخل الحكاية أى سفر التاجر وايداعه الجارية عند القاضى ، كذلك بقصه التاجر والحـديد التى وردت فى باب الأسـد والثـور من كتاب كليلة ودمنة ، ويبدأها ابن المقفع بقوله :

(زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر فأراد الخروج الى بعض الوجـوه لابتغاء الرزق ، وكان عنده مائة طن حـديدا ، فأودعها رجلا من اخـوانه وذهب فى وجهه ثم قـدم بعـد ذلك بمدة فجاء والتمس الحـديد فقال له انه قـد اكلته الجرذان فقال : لقـد سمعت أنه لا شىء أقطع من أنيابها للحـديد ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادعى ، ثم أن التاجر خرج فلقى ابنا للرجل فأخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغـد ، فقال : هل عندك علم بابنى ؟ فقال له التاجر : انى لمـا خرجت من عندك بالأمس رأيت بازيا قـد اختطف صبيا ولعله ابنك ، فلطم الرجل على رأسه وقال : يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تخطف الصبيان ؟ فقال : نعم وان أرضا تأكل جرذانها مائة طن حديدا ، ليس بعجب أن تخطف بزاتها الفيلة • قال له الرجل : أنا أكلت حـديدك وهـذا ثمنه ، فاردد على ابنى) •

ونقاط الالتقاء بين القصتين التاجر يسافر ويضع وديعة عند صديق يأتمنه الا أن هـذا الصديق يبـدد الأمانة ويستبد بالوديعة ولكن فى النهاية يعود الحق الى صاحبه ويسترد التاجر وديعته •

٥ ــ كتاب جـواهر العقول :

ألفه محمد باقر المجلسى على شاكلة كتاب بند أهل دانش وهوس بزبان كربة وموش (للعاملى) المتقـدم ، فجعله على لسان القط والفأر ، واتبع فيه الاطار الفنى لابن المقفع ، من حيث تداخل القصص وبدء القصة بالتساؤل والاستفهام •

وبالموازنة بين كتابى العاملى والمجلسى يتبين لنا أن المجلسى نقل حكايات كتاب العاملى وتصرف فى بعض مضامينها من حيث الزيادة والنقصان والتنسيق والترتيب ، ثم نسبها الى نفسه يقول الأستاذ سعيد النفيسى فى معرض حديثه عن آثار الشيخ بهاء الدين العاملى : ان لمحمد باقر المجلسى كتابا ألفه على لسان القط والفأر تقليدا للعاملى وقد طبع الكتاب فى الهند عام ١٣٢٤ هـ(٣٢) .

ويبدو أن هذين الحيوانين (القط والفأر) قد جذبا انتباه الأدباء فأخذوا يؤلفون المناظرات التى تجرى على لسانهما كما رأينا فى الكتب الثلاثة السابقة .

ونجد فى كتاب كليلة ودمنة بابا بعنوان السنور والجرذ ، وفى ألف ليلة وليلة قصة عنوانها السنور والجرذ ، وفى الباب السادس من كتاب مرزبان نامه قصة القط والفأر ، وفى خرافات عثمان جلال قصة جماعة الفيران ، ونجد القصة عند أحمد شوقى كذلك فى الجزء الرابع من الشوقيات .

وأرى أن هؤلاء الأدباء أرادوا بهذا الأسلوب الرمزى أن يقدموا لمواطنيهم دعوى لجمع القلوب ونبذ الأحقاد والكراهية من نفوس البشر ، واقامة مجتمع انسانى آمن مطمئن لا يعرف الا الحب والسلام ، فاذا كانت الحيوانات المتعادية المتنافرة أرادت أن تتآلف وأن يانس بعضها للبعض ويستمع اليه ويدنو منه ويجتمع معه فى أمن وسلام وطمأنينة ، فلماذا لا يتناسى البشر أحقادهم وعداواتهم ويقبلون على حياة آمنة مطمئنة .

٦ — كتاب بهار دانش :

ألفه عنايت الله فى عام ١٠٦١ هـ ويوجد له مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم « ٣ — ٢ تاريخ فارسى » ويرجع تاريخ نسخها الى عام ١٢٥٨ هـ .

وقد أهدى المؤلف الكتاب الى السلطان (جهاندار شاه) وعشيقته (بهره وربانو) وللكتاب مقدمتان الأولى بقلم أحد أصدقاء المؤلف يثنى فيها على الكتاب وعلى صاحبه ، والثانية للمؤلف نفسه .

وموضوع الكتاب حكايات غرامية يدور حوارها بين الملك (جهاندار شاه) وعشيقته (بهره وربانو) ومن خلال هذا الحوار تجىء القصص الفرعية

---

(٣٢) أحوال وأشعار فارسى شيخ بهائى لسعيد النفيسى ص ٩٤ .

بأسلوب الاستطراد ومعظم هـذه القصص تجرى على ألسنة الحيوانات والطيور على نحو ما تجرى القصص فى كليلة ودمنة كما يشبه الكتاب كليلة ودمنة فى الاطار الفنى ويشبه قصص ألف ليلة وليلة فى المضمون العام .

د — تلخيص الكتاب

قام الفرس بتلخيص الكتاب على نحو ما فعل الأدباء العرب وثمة كتب كثيرة فى ذلك كان آخرها كتاب الأستاذ (عبد العظيم قريب) أستاذ الأدب فى جامعة طهران وقـد قام عبد العظيم قريب بتلخيص كتـاب كليـلة ودمنـة (بهرامشاهى) لأبى المعـالى نصر الله وقد ألف كتابه سنة ١٣١٠ هـ لطلبـة المدارس الثانوية الايرانية ، والكتاب يتسم بالأسلوب السهل المبسط .

وهكذا لعب الكتاب دورا خطيرا فى الأدب الفارسى لا يقل عن الدور الذى لعبه فى أدبنا العربى وهكذا تأثر الايرانيون بالكتاب وراحوا يترجمونه وينظمونه ويحاكونه ويلخصونه على نحو ما فعل العرب . وكان للأدب الفارسى الفضل فى انتقال الكتاب الى الأدب التركى فالفرنسى فاللاتينى فالايطالى ثم الى سـائر اللغات العالمية التى ترجم اليها الكتاب ، والتى سنشير اليها فى الصفحات التالية .

هـ — ترجمة كتاب البنجاتنترا الى اللغة الفارسية الدرية

توجـد نسخة مخطوطة باللغة الفارسية الدرية لكتاب البنجاتنترا فى المتحف الوطنى بمدينة (نيودلهى) بالهند ، وقـد قام بترجمة الكتاب من الأصل الهندى السنسكريتى شخص يدعى (مصطفى خالد داد) وسماه (بنجا كيانا) ويرجع تاريخ هـذه الترجمة الى عهد أكبر شاه .

وقام منذ زمن قريب الدكتور العابدى رئيس قسم اللغة الفارسية بجامعة نيودلهى بمعاونة الدكتور (ناراجند) بتحقيق الترجمة الفارسية المشار اليها آنفا لكتاب البنجاتنترا تمهيدا لنشرها(٣٣) كما قام الدكتور (ايندوشيكهر) أحـد أدباء الهند المعاصرين بترجمة كتاب البنجاتنترا الى اللغة الفارسية وقـد طبعت هـذه الترجمة الفارسية فى الستينيات بمطبعة جامعة طهران(٣٤) .

---

(٣٣) انظر مجلة طهران مصور الفارسية بعـددها الصادر فى شـهر يناير سـنة ١٩٦٤ .

(٣٤) عبد الله بن المقفع — الخراسانى ص ٣١٦ .

ثانيا : كليلة ودمنة فى الأدب التركى

كان للترجمات الفارسية لكتاب كليلة ودمنة الفضل فى ترجمة الكتاب الى اللغة التركية فقد ترجمت كل من نسختى أبى المعالى نصر الله وحسين الواعظ الكاشفى وغيرهما الى اللغة التركية • وأهم التراجم التركية للكتاب هى :

١ ــ ترجمة خواجــة مسعود :

كان خواجة مسعود أول من قام بترجمة الكتاب الى اللغة التركية العثمانية فى عهد السلطان (أورخان) (٧٢١ ــ ٧٢٦ هـ) وقــد اهــدى خواجــة مسعود الترجمة الى (أمور بن محمد بن آيدين) المشتهر بــ (أموربك) ولــد بســنة ٧٥٠ هـ كما ألف خواجة مسعود كتابا آخر من الأبواب التسعة الأولى من كتــاب كليلة ودمنة وأهــداه الى السلطان مراد الأول بن (أورخــــان) (٧٦١ ــ ٧٩٠ هـ) •

٢ ــ ترجمة كليلة ودمنة (بهرامشاهى) لــ (ابى المعالى) الى اللغة التركية العثمانيــــة :

وقــدتمت هــذه الترجمة حوالى سنة ٩٥٥ هـ[٣٥] •

٣ ــ ترجمة نسخة حسين الواعظ الكاشفى الى اللغة التركية العثمانية :

وقــد قام بهــذه الترجمة (على شلبى بن صالح) أحــد أساتذة كليــة (أدرنة) وهى كلية أسسها السلطان مراد الثانى التركى (٨٢٤ ــ ٨٥٥ هـ) ــ (١٤٢١ ــ ١٤٥١ م) وقــد كانت الترجمة فى عهد السلطان ســـليمان الأول (٩٢٦ ــ ٩٧٤ هـ) (١٥٢٠ ــ ١٥٦٦ م) وعنوان هــذه الترجمة (همــايون نامه)[٣٦] أى سفر الملوك •

---

(٣٥) دائرة المعارف الاسلامية ــ مادة كليلة ودمنة .

(٣٦) همايون : المبارك والسعيد ويوصف به الملك كما يطلق « همايون كاه » على عاصمة الملك وهو لفظ فارسى ونامه بمعنى كتاب ومثله شاهنامه وسالنامه وسفرنامه وسياتنامه وغيرها ويطلق اللفظ الأخير حاليا على أوراق الاعتماد لسفراء الدول الأجنبية فى ايران ــ عبد الله بن المقفع ــ الخراسانى ص ٣١٤ •

ويقول ده ساسى فى مقدمته لكتاب كليلة ودمنة (لعل هذا الاسم قد أطلق على الكتاب بمناسبة اهدائه للسلطان سليمان الأول) •

وقد ترجم على شلبى نسخته عن ترجمة حسين الواعظ الكاشفى الفارسية • المسماة أنوار سهيلى •

ولما كانت نسخة أنوار سهيلى تمتلىء بالأبيات الفارسية الصعبة المعقدة التركيب فقد استبدلها على شلبى بأبيات تركية سهلة ومبسطة •

وقد أهدى السلطان (سليمان) كتاب همايون نامه الى الامبراطور الفرنسى (لويس الرابع عشر) وأمر الامبراطور الفرنسى بترجمة الكتاب الى اللغة الفرنسية وكان ذلك سبب شهرة كتاب (همايون نامه فى أوربا) •

وأول ترجمة فرنسية لكتاب همايون نامه قام بها المستشرق (كالان) ثم أكملها المستشرق (كاردن) وطبعت فى باريس سنة ١٧٢٤ م •

وهناك ترجمة أسبانية لكتاب همايون نامه نشرت فيما بين سنتى ١٦٥٢ و ١٦٥٨ م[٣٧] •

٤ ـ تلخيص ترجمة حسين الواعظ الكاشفى (أنوار سهيلى) الى اللغة التركية العثمانية :

قام الترك بتلخيص كتاب أنوار سهيلى الى اللغة التركية العثمانية وأهم هذه التلخيصات •

(أ) كتاب (زبدة الاثمار فى الحكايات)

وقد ألفه أحمد نائب بن عثمان المعروف بعثمان زاده المتوفى سنة ١١٣٦ هـ ، ويصرح المؤلف فى مقدمة كتابه أنه اعتمد فى تلخيص كتاب كليلة ودمنة على ترجمة حسين الواعظ الكاشفى (أنوار سهيلى) ، وتوجد لكتاب زبدة الاثمار فى الحكايات نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٢/

---

(٣٧) مقدمة كليلة ودمنة ص ٢٩ تحقيق نائل المرصفى •

مخطوطات فارسية وتركية زكية) • وقــد ختم أحمد نائب بن عثمان كتــابه بخاتمة سماها (ثمار الاثمار) وهى فى نصائح الملوك •

ويقول اسماعيل بغــدادى باشا فى كتابه (هــدية العارفين)[38] ان هــذه الخاتمة تعتبر كتابا مستقلا •

(ب) كتاب نافــع الآثار نوباوى ثمار الآثار

وقــد ألفه عبد النافع عفت ويشتمل على حكايات من كليلة ودمنة اقتبسها مؤلفها من كتاب (زبدة الاثمار) السابق الذكر ، وتوجــد لهــذا الكتاب أيضا نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٥/ مخطــوطات فارســية وتركية زكية) •

٥ ـ ترجمة كليلة ودمنة العربية الى اللغة التركية الحــديثة :

وقــد قام بهــا (عمر رضى دوغرول) ونشرها ســنة ١٩٤٨ م بمدينــة استانبول[39] وهى ترجمة من النسخة العربية إلى التركية مباشرة •

٦ ـ ترجمة الكتاب الى اللغة المغولية (التتارية) :

يقول حمد الله المستوفى فى كتــابه (تاريخ كزيدة) : كان زعيم الأسرة الافتخارية افتخار الدين محمد البكرى (المنسوب الى أبى بكر الصديق) رجلا زاهــدا عالمــا تتلمذ على يدى الامام (سعيد بن محمد بن يحيى النيسابورى) ومن أحفاد الملك سعيد افتخار الدين محمد بن أبى نصر حاكم قزوين وتومان فى عهد الامبراطور (منكوقا آن) وكان يتقن اللغة المغولية وكتابتها اتقــانا جيدا ، ونقل كتاب كليلة ودمنة الى هــذه اللغة[40] •

٧ ـ تلخيص كتاب (بنجاتنترا) عن الأصل الهندى السنسكريتى الى اللغــة التركيــة :

وفى عهد دولة أكبر شاه جلال الدين أبى الفتح محمد الكوركانى قــام

---

(٣٨) نقلا عن كتاب عبد الله بن المقفع للخراسانى ص ٣١٥ •

(٣٩) نقلا عن كتاب عبد الله بن المقفع للخراسانى ص ٣١٥ •

(٤٠) « تاريخ كزيدة » لحمد الله المستوفى ص ٨٤٣ ، ٨٤٤ طبعة لندن •

تاج الدين بتلخيص كتاب البنجاتنترا الى اللغة التركية ، وسماه (مفرح القلوب) ، وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة (منشى نول كشور) ثم قام الأمير (بهادر على الحسينى) وهو أحد علماء الهند المشهورين بترجمة كتاب (مفرح القلوب) الى اللغة الهندية الحديثة ، وكان هذا فى عام ١٨٠٢ م ليعيد بذلك الكتاب الى موطنه الأول(٤١) .

ثالثا : الترجمة السريانية لكتاب كليلة ودمنة

وهناك ترجمتان سريانيتان للكتاب ، الأولى هى الترجمة السريانية القديمة وقد مرت الاشارة اليها(٤٢) .

والثانية : هى الترجمة السريانية الحديثة . وكان المستشرق (رايت) أستاذ الآداب العربية بجامعة (كمبردج) هو أول من اكتشفها ثم قام بطبعها بعد ذلك .

وقد أخذت هذه الترجمة عن الترجمة العربية لعبد الله بن المقفع ، والدليل على ذلك فيما يذهب اليه (نولدكه) — تلك الألفاظ التى نقلت فى النسخة السريانية من العربية بنطقها العربى والتى دل بها المترجم السريانى أنه لم يستطع أحيانا أن يفهم اللفظ العربى فكان ينقله بلفظه نقلا لا تصرف فيه ، ومثال ذلك لفظة العنقاء ولفظ المطوقة ، وهما مكتوبان فى النسخة السريانية بهذا النطق عينه ولكن فى حروف سريانية ليس غير .

ومثال ذلك لفظ (عداوة الجوهر) فان المترجم يترجم كلمة الجوهر هنا بمعنى (الحجر النفيس) وهى تدل على الأصل أو الطبيعة .

ولاحظ الأستاذ (نولدكه) أيضا أن المترجم السريانى كان يقرأ كلمة (حجر) بفتح الحاء والجيم على أنها (حجر) بضم الحاء وسكون الجيم وانه قرأ كلمة (الدين) بمعنى (الاستدانة) وهكذا .

وهذه الترجمة السريانية لها أهمية خاصة كما يقول الدكتور عبد اللطيف

---

(٤١) درباره كليلة ودمنة لمحمد جعفر محجوب ص ١٣٧ .
(٤٢) انظر ص ٨١ .

حمزة (فان لهـــا مع سوء ترجمتها وكثرة أخطائها ــ قيمة عظيمة فى نظر العلماء فهى التى تعطينا صورة دقيقة عن الترجمة العربية التى نسبت الى ابن المقفع تلك الترجمة التى استخرج من بعض نسخها البارون ده ساسى طبعته العربية المشهورة وهى الطبعة التى كانت أساسا عندنا لجميع الطبعات المصرية وغيرها من الطبعات الأخرى فى أكثر بلاد الشرق)(٤٣) .

رابعا : ترجمة كتاب كليلة ودمنة الى العبرية

وهناك ترجمتان عبرانيتان لكتاب كليلة ودمنة :

أما الأولى : فينسبها بعض المؤرخين الى (ربى يوئيل)(٤٤) وقـــد أضيف الى هـــذه الترجمة بابان : البـــاب السادس الخاص بالبجعتين والبطة ، والبـــاب السابع عشر الخاص باليمامة والثعلب ، وقـــد عثر ده ساسى على الباب السادس الخاص بالبجعتين والبطة فى احـــدى النسخ الخطية للترجمة العبرية ، بينما لم يوفق فى العثور على الباب السابع عشر الخاص باليمامة والثعلب .

وقـــد قام (يوحنا الكابونى) عام ١٢٧٠ م بنقل هـــذه الترجمة العبرانية الى اللغة اللاتينية ، وعن هـــذه الترجمة اللاتينية ترجم الكتاب الى عـــدة لغات منها الايطالية والأسبانية والألمـــانية .

ولم يقف الباحثون على تاريخ هـــذه الترجمة العبرانية وتوجـــد نسخة وحيدة لهـــذه الترجمة عثر عليها المستشرق ده ساسى ، وأشار اليها فى مذكراته عن المخطوطات فى مكتبة باريس الأهلية ، ونشر المستشرق نيوباور قسما من هـــذه الترجمة العبرانية مع ترجمة ألمـــانية لها فى مجلة الشرق والغرب ثم نشرها كاملة المستشرق (يوسف دير نبرك) فى باريس عام ١٨٨١ م مع ترجمة فرنسية لهـــــا .

وأما الترجمة العبرانية الثانية فنقلها من العربية (يعقـــوب بن العـــازر) وهو واحـــد من كتاب القرن الثالث عشر الميلادى وهو صاحب المعجم العبرانى

---

(٤٣) ابن المقفع عبد اللطيف حمزة ص ٢١١ .
(٤٤) Rabbi Joel

المسمى (سفر هشالم) وتوجـد نسخة مخطوطة من هـذه الترجمة محفوظة فى مكتبـة كمبردج وقـد قـام المستشرق الفرنسى (ديرنبرك) بنشرها وعـلق عليها بعض الملاحظات[٤٥] •

الترجمـات العـالمية الأخرى للكتـاب

١ ــ الترجمة الانجليزية :

وفى سنة ١٥٧٠ نشرت ترجمة انجليزية قام بنشرها (توماس نورث) أخـذت عن أصل ايطالى حاكى فيه أديب اسمه (دونى) الترجمة اللاتينية[٤٦] ليوحنا كابونى وسماها (الفلسفة الخلقية لدونى) •

وهناك ترجمة انجليزية أخرى قام بها القس (وينـد هام نانتشيول) عن العربيـة ونشرت سـنة ١٨١٩ م فى مدينة (اكسفورد) ثم أعـاد المستشرق (ادوار فانديك) طبعها عام ١٩٠٥ م •

٢ ــ الترجمة الفرنسية :

وفى سنة ١٦٤٤ م قام (داوود سعيد الاصفهانى) بترجمة بعض قصص كليلة ودمنة وجمعها فى كتاب سماه (الأنوار فى سلوك الأقيال) باللغة الفرنسية وقـد ظل هـذا الكتاب غير معروف لدى الأوربيين حتى جاء (جلاند) مترجم كتاب (ألف ليلة وليلة) الى الفرنسية ، فقام بترجمة الأربعة أبواب الأولى من كتاب كليلة ودمنة باللغة الفرنسية عن الترجمة التركيـة المسماة همايون نامة (لعلى شلبى) •

وقـد ظهرت فى عام ١٦٤٤ أيضا ترجمة فرنسية أخرى للكتاب بعنوان (خرافات بلباى) وهـذه الترجمة الفرنسية قـد أخـذت عن (أنوار سهيلى) لحسين الواعظ الكاشفى[٤٧] •

---

(٤٥) عبد الله بن المقفع ــ الخراسانى ص ٣١٦ ، ٣١٧ •

(٤٦) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية ط لجنة البيان العربى ص ٣٦ •

(٤٧) انظر ص ٢٠١ •

ويرى الأستاذ (جب)(٤٨) أن لهـذه الترجمة أهمية خاصة لسببين هامين : أولهما أنها كانت أول اتصال بين أوربا الغربية والأدب الفارسى ، والثانى لأنها كانت المصدر الذى استقى منه (لافونتين)(٤٩) عـددا كبيرا من خرافاته يصل الى نحو عشرين خرافة ، ضمنها الجزء الثانى من خرافاته على ما صرح به فى مقـدمة هـذا الجزء .

وفى عام ١٧٨٨ قام (كاردن) أستاذ اللغة الفارسية فى الكليـة الملكيـة بباريس بترجمة الكتاب كاملا الى اللغة الفرنسية تحت عنـوان (الأمثال والقصص الحيوانية الهندية المنقولة عن بيدبا ولقمان)(٥٠) وقـد أخـذ كاردن ترجمته عن كتاب همايون نامه لعلى شلبى أيضا .

ويقال : ان ترجمة فرنسية أخرى ظهرت قبل ذلك سنة ١٧٠٩ م وعنها أخذت ترجمة انجليزية بعنوان (قصص حيوانية مثقفة مسلية منقولة عن بلباى من قدماء فلاسفة الهند) وقـد نشرت الطبعة الخامسة لهـذه الترجمة سنة ١٧٧٥ م(٥١) .

٣ — الترجمة الأسبانية :

وقـد تمت فى وسط القرن الثالث عشر الميلادى عندما نقـلها الأسـبان مباشرة من ترجمة (عبد الله بن المقفع) أثناء نقلهم آداب العرب الى اللغـة الأسبانية وقدمت الى (الفنسو الحكيم) (١٢٥٢ — ١٢٨٣ م) ، وكان ينتظر لهـذه الترجمة الأسبانية أن تلعب دورا خطيرا فى ترجمة الكتاب منها الى اللغات الأوربية المختلفة ، ولكن هـذا ما لم يحـدث فلم تعرف أوربا الكتاب عن طريق هـذه الترجمة . وانما عرفته عن طريق ترجمة لاتينية لكتاب كليلة ودمنة بعنوان (مرشد الحياة الانسانية) وقـد ترجمت هـذه الترجمة الأسبانية بدورها الى اللاتينية باسم (نسخة ريموند) وقـد أشار ده ساسى فى فهرس مخطوطات مكتبة باريس الوطنية الى هـذه الترجمة اللاتينية ، وذكر أن ريموند قـد قام

---

(٤٨) تراث الاسلام تاليف جيده ترجمة د. عبد اللطيف حمزة ص ١٨٧ .

(٤٩) من أسرة فرنسية أرستقراطية وقـد أراد أن يدرس الدين فى أول الأمر ولكنه عدل عنه الى دراسة القانون ثم بدأ الكتابة بعـد الثلاثين وبدأ كتابة الخرافات بعد ذلك .

(٥٠) — Cont et fahles Indiennes de Bidpai et de Lokman Trduites de Ali Tchaluli bess Seleh A Mteus Tres

(٥١) القصص الحيوانى وكتاب كليلة ودمنة لحامد عبد القادر ص ٣٨ .

بهـذه الترجمة اللاتينية عن الترجمة الأسبانية بايعاز من الملكة (حنا دى ناوار) عام ١٣١٣ م)[٥٢] •

٤ ـ الترجمة اليونانية :

قام بها سيمون سيث وقـد ترجمها فى أواخر القرن الحادى عشر بأمر من الامبراطور (الكس كمنينس) وقـد قام سيمون سيث باستبدال الاعـلام الشرقية بأخرى اغريقية •

وقـد اختفت هـذه الترجمة فترة من الزمن الى أن عثر عليها الأب (بطـرس بوسينون) اليسوعى وترجمها الى اللاتينية ، ثم عثر المستشرق (ستارك) على نسخة أخرى من هـذه الترجمة اليونانية فى (هامبورج) ونشرها سنة ١٦٩٧ م مع ترجمة لاتينية جـديدة لها ، ثم طبعت بعـد ذلك عـدة مرات ، وترجم الكتاب عنها الى اللغة الايطالية والسلافونية ، ونشرت الأولى سـنة ١٥٨٣ م ثم جـدد طبعها عام ١٨٧٢ م فى مدينة (بولونيا) ، ونشرت الثانية التى تعرف بالترجمة الروسية القـديمة عام ١٧٨٨ م فى مدينة (بطرسبورج) •

٥ ـ الترجمة التبتية :

وهى أقـدم الترجمات لكليلة ودمنة فى اللغات الأجنبية ولكنها ضاعت ولم يظهر منها ثانية عـدا ما اكتشفه المستشرق (انطون شفنر) وهـو قسم منها فقط ولكن أحـدا لم يكتشفها كاملة حتى اليوم •

ولعل الباحثين يظفرون بهـذه الترجمة كاملة فى المستقبل فيفتحون بذلك الباب أمام أبحاث جـديدة فى تاريخ الدراسات التقارنية حول هـذا الكتاب وخاصة أن لهـذه الترجمة قيمة عظيمة لانها كانت قريبة العهد بالنسخة العربية الأولى لعبد الله بن المقفع قبل أن تتغير وتتبدل •

---

(٥٢) نقلا عن مقـدمة كليلة ودمنة تحقيق نائل المرصفى ص ٣٠ ، ٣١ •

٦ ــ الترجمة الملايائية القــديمة :

وقــد تحــدث المستشرق (رندلي) عن هــذه الترجمة وطبعت فى مدينة (ليدن) سنة ١٨٧٦ م وأعيد طبعها سنة ١٨٩٢ م ، ثم أن هــذه الترجمة ترجمت بعــد ذلك الى لغة أهالى (جاوة)(٥٣) ٠

٧ ــ الترجمة الروسية :

ترجمها من العربية (ميخائيل عطايا) ونشرت فى موسكو سنة ١٨٨٩ م ٠

وأقــدم للقارىء الكريم فيما يلى جــدولا يبين الترجمات المختلفة للكتاب منذ نشأته فى بلاد الهند ، وعبر رحلاته المستمرة والتى لم تنقطع الى بلاد الفرس فالبصرة ٠ حيث التقى بعبد الله بن المقفع الذى عرفه بجنسيات مختلفة وقــدمه الى شعوب متعــددة أنطقته بلغاتها ، وألبسته من ثقافاتها وحضاراتها ما جعله يبدو متجــددا مع كل انتقالة ، ومتغيرا مع كل ارتحالة ، واذا به فى النهاية يجمع بين حضارات وثقافات متنوعة ومختلفة ٠

هــذا هــو كتاب كليلة ودمنة رائعة من روائع الأدب العالمى ومفخرة الثقافة الانسانية على مدى العصور والأزمان ، ولدى مختلف الشعوب والجنسيات فيا شباب العروبة أقبلوا على هــذه الدرة النفيسة المكنونة وحاولوا أن تستخرجوا ما فيها من نفائس لتطلعوا العالم أجمع على حضارة بلادكم العريقة وثقافــة شــعوبكم التليدة ، وماضيكم الذى يمتلىء مجــدا وفخرا ، وليشتد اقبالكم أيها الشباب العربى على كتاب كليلة ودمنة محاولين أن تكشفوا النقاب عن الغرض الرابع الذى كان يهــدف اليه ابن المقفع ، ولم يصرح به بل رمز اليه فى قوله (والغرض الرابع وهــو الأقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة) ٠

ولعلكم تكتشــفون هـــذا الغرض وانكم أن فعلتم وتحقق لــكم ذلك فستحققون الهــدف المنشود الذى كان يرمى اليه ابن المقفع من هــذا الكتاب ، والذى لم يكتشفة بعــد ٠

---

(٥٣) عبد الله بن المقفع ــ محمد غفرانى الخراسانى ص ٣١٧ ٠

تراجم كليلة ودمنة

منقول عن طبعة عزام سنة ١٩٤١ المأخوذة عن نلكوتشر

(الهندية السنسكرتية)

الترجمة التبتية

الترجمة الفهلوية

الترجمة العربية لابن المقفع (حوالى ٧٥٠هـ/ ٧٥٠م)

الترجمة السريانية القديمة (حوالى ٥٧٠ م)

السريانية الحديثة (القرن ١٠ أو ١١م) الانجليزية (١٨٨٥م)

اليونانية (١٠٨٠م)

الفارسية عصر اللمابو العالى (القرن ٦ هـ)

العبرية ليوحنا (١٢٧٠م)

العبرية يعقوب بن العازار (القرن ١٣ م)

اللاتينية القديمة (القرن ١٣ م) اللاتينية الوسطى (١٢٧٠م)

الاسبانية القديمة (١٢٥٠ أو ١٢٥١م) اللاتينية الاخيرة (١٣١٣م)

الفارسيه الثانيه (أنوار سهيلى للكاشفى) (القرن ٩ هـ)

الايطالية (١٥٨٣ م)

السلافونية القديمة (القرن ١٢ أو ١٣م)

الفارسية الهندية (٩٩٦ هـ)

التركيه همايون نامه (القرن ١٠ هـ)

فى الفصل الهندى

الفرنسيه (١٧٢٤) م

الالمانية (١٤٨٠م)

الاسبانية الحديثة (١٤٩٣ م)

الايطالية (١٥٥٢م)

الهولندية (١٦٢٣م)

الايطالية (١٥٤٨م)

الانجليزية (١٥٧٠م)

ملحوظة : الجدير بالذكر ان الباحثين قد اختلفوا فى تاريخ بعض الترجمات التى وردت فى هذا الفهرست ولكننا نقلناها دون أى تصرف

الخاتمـــــــة

وبعـــد هـــذه الجولة الطويلة مع كتاب كليلة ودمنة آخـــذا ومعطيا يحق لنا أن نقف هنيهة لننص على النتائج الرئيسية التى حققها البحث وهى :

أولا : كانت معظم الحقائق التى ذكرناها فى هـــذا الكتاب مجرد ترجيحات وافتراضات علمية ، ولم تكن حقائق قطعية أو نهائية لعدم توافر الأدلة والبراهين القاطعة فى معظم الأحيان ، فمثلا قلنا أن أسطورة معينة تدور حول الاسكندر ربما تكون الأصل لأسطورة أخرى فى كتاب كليلة ودمنة ، وربما تكون أسطورة كليلة ودمنة هى التى أثرت فى أسطورة الاسكندر الأكبر ، وربما لم تؤثر أى منهما فى الأخرى ، وأن ما يوجـــد بينهما من تشابه والتقاء يرجع الى ظاهرة تشابه الأساطير عند الشعوب المختلفة ، فنحن لا نستطيع أن نقطع بأى من هـــذه الاحتمـــالات .

ثانيا : أن البنجاتنترا التى بين أيدينا الآن ليست الأصل الأول للبنجاتنترا ، فهـــذا الأصل قـــد ضاع ولم يصل الينا ولكن الذى وصلنا هـــو ملخص لهـــذا الأصـــل ومختصر له .

ثالثا : هناك مجموعات قصصية هندية سنسكريتية اقتبس منها ابن المقفع بعض قصصه الى جانب البنجاتنترا ومن هـــذه المجموعات القصصية :

١ ــ كتاب تنترا خيابيكا .
٢ ــ المهـــابهرتا .
٣ ــ الهيتوباديسيا .

رابعا : بعـــد أن ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة عن الأصول البهلوية ضاعت هـــذه الأصول التى ترجم عنها ابن المقفع ، ولم يستطع الباحثون أن يقوموا بأى دراسة تقارنية بين هـــذه الأصول البهلوية وبين كتاب كليلة ودمنة

لعبد الله بن المقفع ، ومع هـذا فقـد استطاع الباحثون أن يضعوا ايديهم على الآثار الفارسية فى الكتاب حين وجـدوا أنها تحمل آثار عقائد وفلسفات وديانات ومبادىء فارسية كالنار المطهرة التى جاء ذكرها فى باب البوم والغربان ، حيث يقول ابن المقفع على لسان الغراب :

(وقـد روى عن العلماء أنهم قالوا : من طابت نفسه بأن يحرقها فقـد قرب لله أعظم قربان ، لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له ، فان رأى الملك أن يأمرنى فأحرق نفسى وأدعو ربى أن يحولنى بوما فأكون أشـد عـداوة وأقـوى بأسا على الغربان لعلى أنتقم منهن) •

وهـذه النار اقتباس من النار المطهرة التى قال عنها الزرادشتيون أنها من نفس طبقة أوهرمزد (اله الخير الذى يعبدونه) •

خامسا : أن الباحثين قـد اختلفوا فى أمر من ترجم كتاب كليلة ودمنة الى اللغة العربية ، ومن أى لغة ترجم هـذا الكتاب ، فهناك من يرى أن الذى قام بترجمة الكتاب الى العربية هـو عبد الله بن المقفع وأنه ترجمه من الأصول البهلوية ، وهناك فريق آخر من الباحثين يرى أن ابن المقفع ترجمه عن السريانية ، وهناك فريق ثالث يرى أنه ليس من المعروف بالضبط من الذى ترجم الكتاب ولا عن أى لغة أخـذ ، وقـد نسب زورا وبهتانا الى ابن المقفع ، بينما لم يترجم الرجل منه شيئا •

سادسا : نظم الكتاب كل من أبان اللاحقى فى منظومته التى ضاعت ولم تصلنا ، وابن الهبارية فى كتابه نتائج الفطنة ، وعبد الرحيم ترة فى كتـابه « زعمـوان » •

سابعا : من الكتب التى حاكت كليلة ودمنة فى الأدب العربى القـديم :

١ ــ كتاب ثعلة وعفراء لسهل بن هارون •
٢ ــ كتاب النمر والثعلب لعلى بن داود •
٣ ــ كتاب القائف وكتاب منار القائف وكلاهما لأبى العلاء المعرى •
٤ ــ رسـالة اخـوان الصـفا •
٥ ــ كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار لعز الدين بن عبد السلام •

٦ — الصادح والباغم لابن الهبارية •

٧ — سلوان المطاع لحجة الذين هاشم محمد بن أحمد •

٨ — فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لأحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الملقب بابن عرب شاه •

٩ — كتاب مرزبان نامه لابن عرب شاه أيضا •

١٠ — الأسـد والغواص وهـو مجهول المؤلف •

ثامنا : من الذين حاكوا كليلة ودمنة في أدبنا العربي الحـديث :

١ — عثمان جلال في كتابه العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ •

٢ — أحمد شوقي في خرافاته التي تبلغ اثنتين وخمسين خرافة تقع في الجزء الرابع من الشوقيات •

٣ — جبران النحاس في كتابه تطريب العندليب •

٤ — ابراهيم العرب في كتابه آداب العرب •

٥ — رزق الله حسون في كتابه النفاثات •

٦ — أحمد فارس الشدياق في كتابه اللفيف في كل معنى طريف •

تاسعا : لعب كتاب كليلة ودمنة في الأدب الفارسي دورا لا يقـل خطورة عن الدور الذي لعبه في الأدب العربي ، فما كاد الكتاب يترجم الى اللغة الفارسية على يد أبي المعالي نصر الله حتى أقبل الأدباء الفرس على الكتاب ينظمـونه ويحاكونه ويلخصونه ، على نحو ما فعل العرب وقـد انتقل الكتاب من خـلال الأدب الفارسي الى اللغة التركية العثمانية فاللغات العالمية المختلفة •

واني اذ اختم هـذا البحث أرجـو أن يلتمس لي القـارىء العـذر فيما أكون قـد أخفقت في تحقيقه وهـو كثير ، وأن يرتضي بما نجحت في تحقيقه

وهـو قليل ، وحسبى أننى أردت أن أقـدم بحثا جـديدا يضاف الى التاريخ الحافل لكتاب كليلة ودمنة رائعة الثقافة العربية ، ومفخرة الحضارة الاسـلامية ورمز العبقرية الشرقية الخالدة ٠

والله سبحانه وتعالى أعلم وهـو نعم المولى ونعم النصير ٠

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار الصالحين ، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين ، آمين يا رب العـالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ، والتابعين ، وتابعى التابعين ، الى يوم الدين ٠

المراجـــع

١ ـ ابن المقفـــع
الدكتور عبد اللطيف حمزة

٢ ـ ابن المقفع أديب العقل
الدكتور فكتور الــكك

٣ ـ أحـوال أشعار فارس
شيخ بهائى سعيد النفيسى

٤ ـ الأدب الكبير
أحمــد زكى

٥ ـ الأدب المقــارن
محمد غنيمى هــلال

٦ ـ الاسفار الخمسة أو البنجاتنترا
ترجمة عبد الحميد يونس

٧ ـ البيــان والتبيين
الجاحــظ

٨ ـ تاريخ الأدب العربى
بروكلمــــــان

٩ ـ تاريخ الفلسفة فى الاســلام
ديبيور ترجمة أبو ريدة

١٠ ـ تاريخ كزيدة
حمد الله المستوفى

١١ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة
البــــيرونى

١٢ ـ تداعى الحيوانات على الانسان
فاروق ســــعد

١٣ ـ تطريب العنـدليب
جبران النحـاس

١٤ ـ حكايات فارسية
يحيى الخشاب

١٥ ـ الحياة الأدبية فى البصرة
أحمد كمال زكى

١٦ ـ الحيـــوان
الجاحـــظ

١٧ ـ دائرة المعـارف
بطرس البستانى

١٨ ـ دربارة كليلة ودمنة
محمد جعفر محجوب

١٩ ـ رسائل اخـوان الصفا
اخـوان الصـفا

٢٠ ـ شرح العيـون
ابن نباته المصرى

٢١ ـ الصـادح والباغم
ابن الهبـارية

٢٢ ـ ضـحى الاسـلام
أحمـد أمين

٢٣ ـ طبقات الشعراء
ابن المعــتز

٢٤ ـ عبد الله بن المقفع
محمد غفرانى الخراسانى

٢٥ ـ عجائب المقـدور فى نوائب تيمور
ابن عرب شـاه

٢٦ ـ عيـار دانش
أبو الفضل محمد مبارك شاه

٢٧ ـ العيـون اليواقظ
محمد عثمان جلال

٢٨ ـ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء
ابن عرب شـاه

٢٩ ـ الفهرسـت
ابن النـديم

٣٠ ـ قصص الحيوان فى الأدب العربى
عبد الرازق حميدة

٣١ ـ قصص الحيوان وكتاب كليلة ودمنة فى الآداب الشرقية والغربية
حامد عبد القادر

٣٢ ـ كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار
عز الدين محمد عبد السلام

٣٣ ـ كليـلة ودمنـة
الأميرية بالقـاهرة

٣٤ ـ كليـلة ودمنـة
عبد الوهاب عزام

٣٥ ـ كليـلة ودمنـة
نائل المرصـفى

٣٦ ـ لافونتيين فى الأدب العربى الحـديث ـ د. مجـدى محمد شمس الدين ابراهيم
ـ آفاق عربية ـ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٨٥ .

٣٧ ـ مرزبان الحكيم
محمد قنـديل البقلى

٣٨ ـ مرزبان نـامه
القـزوينى

٣٩ ـ معجم المطبوعات العربية
سركيس

٤٠ ـ نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة
ابن الهبـارية

٤١ ـ النفـاثات
رزق الله حسون

٤٢ ـ وفيـات الأعيـان
ابن خلكان

الفهرس

صفحة

الفصـــل الأول

الفصـــل الثانى

الفصـــل الثالث

صفحة

الفصـــل الرابع

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٦/٤٦٣٤

شركة دار الانشعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد ــ جنينة قاميش ــ السيدة زينب
ت : ٣٦٣٠٤٦٩